



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المثنى / كلية التربية

قسم اللغة العربية

خطابُ الحبِّ في نهجِ البلاغةِ دراسة أسلوبية

رسالة تقدّم بها الطالب

حيدر وحيد مجيد وادي الكرعاوي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ . م . د . ناجح جابر جخيور الميالي

٢٠١٩ م

١٤٤١ هـ



الإهداء

إلى شمس الشموس و أنيس النفوس

إلى السلطان علي بن موسى الرضا (ع)

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ
مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

أهديك هذا الجهد المتواضع و هو : بضاعتي
المزجاة و صحائف ولأبي الخالص؛ فتفضل عليّ
بالقبول؛ وأحسن إليّ إن الله يحب المحسنين .

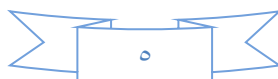
و إلى روح من زرع في أعماقنا حب علي و آله و
الأئمة الطاهرين والذي رحمه الله أهدي ثمرة
غرسه فينا .

المحتويات

الموضوعات	رقم الصفحة
الآية الكريمة	
إقرار المشرف	
الإقرار العلمي	
إقرار لجنة المناقشة	
الإهداء	
الشكر و التقدير	
المقدمة	أ - ب - ج
التمهيد - خطاب الحب قراءة في المفهوم	١١ - ٢
أولاً: مفهوم الخطاب	٦ - ٢
١- عند العرب	٤ - ٢
٢- عند الغرب	٦ - ٤
ثانياً: مفهوم الحب	١١ - ٦
الفصل الأول - الانزياح في خطاب الحب	٩٢ - ١٢
مدخل : مفهوم الانزياح	١٣ - ١٣
المبحث الأول : الصوتي	٣٦ - ١٣
أولاً: التكرار	٢٩ - ١٥
١- تكرار الصوت الواحد	٢٢ - ١٦
٢- تكرار اللفظ	٢٧ - ٢٣
٣- تكرار الجملة	٢٩ - ٢٧
ثانياً: السجع	٣٦ - ٢٩
المبحث الثاني :المعجمي	٦٠ - ٣٧
١- الجزاء و الأجر	٤١ - ٣٨
٢- دخل - ولج	٤٥ - ٤٢
٣- ألخشية و الخوف	٤٨ - ٤٥

٥٢ - ٤٨	٤- الله - ربّ
٥٥ - ٥٢	٥- الضياء و النور
٦٠ - ٥٥	٦- الغيث - المطر
٩٢ - ٦١	المبحث الثالث : الانزياح التركيبي
٨٤ - ٦٢	أولاً: الالتفات
٧٥ - ٦٣	١- الالتفات في الضمائر
٦٧ - ٦٣	أ- من الغيبة إلى التكلم
٦٨ - ٦٧	ب- من التكلم إلى الغيبة
٧٠ - ٦٨	ج- من الخطاب إلى الغيبة
٧٢ - ٧٠	د- من الغيبة إلى الخطاب
٧٤ - ٧٣	هـ- من الخطاب إلى التكلم
٧٥ - ٧٤	و- من التكلم إلى الخطاب
٧٨ - ٧٥	٢- الالتفات في الأسماء
٨٤ - ٧٨	٣- الالتفات في الأفعال
٨٩ - ٨٤	ثانياً: التقديم و التأخير
٩٢ - ٩٠	ثالثاً: الحذف
١٦٨ - ٩٣	الفصل الثاني - الإقناع و الإمتاع في خطاب الحب
٩٥ - ٩٤	مدخل : مفهوم الإقناع والامتناع
١٢٦ - ٩٦	المبحث الأول: الصوتي
١٠٩ - ٩٦	أولاً: السجع
١٠٢ - ٩٦	١- السجع المتوازي
١٠٧ - ١٠٢	٢- السجع المرصّع
١٠٩ - ١٠٧	٣- السجع المطرّف
١٢٦ - ١٠٩	ثانياً الجناس
١١١ - ١١١	أنماط الجناس
١١٣ - ١١١	١- الجناس التام

١١٦ - ١١٣	٢- الجناس الناقص
١٢٠ - ١١٧	٣- الجناس المضارع
١٢٢ - ١٢٠	٤- الجناس الاشتقاقي
١٢٤ - ١٢٢	٥- الجناس المحرّف
١٢٦ - ١٢٤	٦- الجناس المعكوس
١٤٧ - ١٢٧	المبحث الثاني: المعجمي
١٣٦ - ١٢٧	أولاً: المصاحبة اللغوية
١٣١ - ١٢٨	١- بين الموصوف و صفته
١٣٤ - ١٣١	٢- بين المضاف و المضاف إليه
١٣٦ - ١٣٤	٣- بين المعطوف و المعطوف عليه
١٤٧ - ١٣٧	ثانياً: التضاد
١٤٥ - ١٣٨	١- الألفاظ التي تحمل المعنى و ضده
١٤٧ - ١٤٥	٢- الدال على التضاد بالتركيب مع غيره
١٦٨ - ١٤٨	المبحث الثالث: التركيبي
١٥٤ - ١٤٩	١- الاستفهام
١٥٩ - ١٥٤	٢- النداء
١٦٢ - ١٥٩	٣- الدعاء
١٦٥ - ١٦٢	٤- الأمر
١٦٨ - ١٦٦	٥- القسم
٢٢٩ - ١٦٩	الفصل الثالث - التأثير و التأثر في خطاب الحب
١٧١ - ١٧٠	مدخل : مفهوم التأثير والتأثر
١٩١ - ١٧١	المبحث الأول: الصوتي
١٨٤ - ١٧١	أولاً: التنغيم
١٧٦ - ١٧٢	١- النغمة المستوية
١٨٠ - ١٧٦	٢- النغمة الصاعدة
١٨٤ - ١٨٠	٣- النغمة الهابطة



١٨٤ - ١٩١	ثانيا: الموازنة
١٩٢ - ٢١٨	المبحث الثاني: المعجمي
١٩٣ - ٢٠٧	أولاً: المشترك اللفظي
١٩٤ - ١٩٨	١ - عدل
١٩٨ - ٢٠١	٢ - عين
٢٠١ - ٢٠٣	٣ - حميم
٢٠٤ - ٢٠٧	٤ - قرن
٢٠٧ - ٢١٨	ثانيا: التقابل
٢٠٨ - ٢١١	١ - التقابل في الألفاظ المفردة
٢١١ - ٢١٤	٢ - التقابل في الجمل
٢١٤ - ٢١٥	٣ - التقابل في الصور
٢١٥ - ٢١٨	٤ - التقابل الموقفي
٢٠٩ - ٢١٨	المبحث الثالث : التأثير و التأثير التركيبي
٢١٩ - ٢٢٩	التوازي التركيبي
٢٣٠ - ٢٣٦	الخاتمة
٢٣٧ - ٢٥٦	المصادر و المراجع
A - B	الخلاصة باللغة الانكليزية

شكر و تقدير

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على الرسول الكريم محمد و على آله و صحبه المنتجبين .

إلى الذين مدّوا لي يد العون و تحمّلوا معي مشقة الرحلة
إلى أستاذي العزيز الدكتور ناجح الميالي الذي عانى معي منذ ابتداء عملي في إعداد الرسالة حتى أنجزها . أتقدم إليه بالشكر و التقدير .
و أتقدم أيضا إلى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة المثنى ، و إلى الدكتور أحمد حسين رئيس قسم اللغة العربية ، و أساتذة القسم المحترمين شاكرًا لهم دعمهم و تعاونهم.

أتقدم بشكري و تقديري إلى الدكتور رحمن غركان في جامعة القادسية و الدكتور ظافر عبيس الجياشي في جامعة الإمام الصادق و الاستاذ رياض رحيم المشرف الاختصاصي في المديرية العامة لتربية المثنى و الاستاذ كريم غاوي عباس.

و لا يفوتني أن تقدم بوافر شكري و تقديري إلى الدكتورة لارا عدنان ستيي
أستاذة الأدب الجاهلي في جامعة تشرين السورية ،والاستاذة سامية معمرى من الجزائر
و الشكر موصول إلى العاملين في مكتبة الروضة الحيدرية و مكتبة كلية التربية في
جامعة المثنى .

و أعود بالشكر و الامتنان و العرفان إلى أمي الغالية أقف أمامها حبا و اعتزازا
ففي عنقي دين لها عسى أن يوفقني الله لرد جزء يسير من هذا الفيض الزاخر الذي
غمرني بالحب و الطمأنينة و إلى أخوتي (منتظر و دنيا و آمنة) و أبنائي (علي و
مؤمل)

و أتقدم بباقات الحب و الشكر الجزيل إلى القلب الحنون النابض بالحياة .. زوجي

الباحث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ ، و الصلاة و السلام على النبي محمد خير الأنام المبعوث رحمة للعالمين و على آله الطاهرين و صحبه المنتجبين .

يُعد نهج البلاغة من أرقى الكتب التي ضمت جواهر نصوص اللغة العربية و أبلغها بعد القرآن الكريم و السنة النبوية المشرفة، فهو مثلما قيل: دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين، لما فيه من مسحة جمالية و عبق من الكلام الإلهي المشرق بألفاظ لها من القوة و البيان ما لا يخفى كما ازدادت بانزياحاتها اللغوية التي لها من الجمال اللغوي ما يقنع و يمتع السامعين، فيمتلك شعورهم بالتأثير و التأثير بخطابه على الرغم من الفاصل الزمني ؛ لأنه بلغ مبلغا من البلاغة في سنامها الأعلى فأطلق عليه الشريف الرضي (نهج البلاغة) استشعارا ببلاغة هذا الكلام و ادراكا لمراميها الجمالية ، الأمر الذي دفع الدارسين على اختلاف توجهاتهم من شراح ونقاد و لغويين و أكاديميين إلى استجلاء خصائص هذا النص و استظهار تفرد التعبير من البيان و الابداع .

لذلك عد نهج البلاغة من الناحية الفنية من النصوص التي جمعت عمق المضمون، و جمال الشكل في كل ما ورد فيه من أنواع نثرية خطبا ، و رسائل ، و حكما ، و لعل هذه المزية المهمة جعلت نهج البلاغة ميدانا خصبا دائما للدراسات الأكاديمية .

و قد آثرت ان يكون بحثي في نهج البلاغة، و هذا ما كنت أتمنى أن أكتب فيه شيئا يسيرا و تحقق ذلك بعد اقتراح استاذنا المفضل الدكتور ناجح الميالي ليكون موضوع البحث (خطاب الحب في نهج البلاغة دراسة اسلوبية) شاكرا له ذلك و جعل الله ما قدمه نورا يسري بين يديه يوم الجزاء .

وتقود أهمية البحث في نهج البلاغة إلى الأمور الآتية :

١- إنه يبحث في ذلك السفر العظيم الآخذ من الفكر و الخيال و العاطفة آيات تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي الإنسان، و ما بقي له من خيال و عاطفة و فكر مترابط متساق ، متفجر بالحس المشبوب ، و الادراك البعيد من خلال كشف أسرار خطاب الحب و آثاره فيه

٢- لا تتوافر دراسة اسلوبية مستقلة تعنى بخطاب الحب لنصوص نهج البلاغة .

٣- الاعتماد على المستويات الصوتية و المعجمية و التركيبية لإظهار جماليات النص و دلالاته ، و الكشف عن قدرة الباحث و مهاراته في انتقاء المفردات المعبرة عن الحب لتكون منسجمة مع دلالة النص ، و هذا ما حاولت الكشف عنه في نصوص خطاب الحب في نهج البلاغة .

٤- محاولة لدراسة أكاديمية في عنوانات تجذب القارئ العادي بعنوانها (الحب) .

لذا عازمت بعد التوكل على الله أن يكون عنوان رسالتي (خطاب الحب في نهج البلاغة دراسة اسلوبية) و قد اقتضت الدراسة أن تكون على ثلاثة فصول ، تسبقها مقدمة ، و تمهيد ، و تتلوها خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، و ثبت لمصادر البحث و مراجعه :

و أما التمهيد فوسمته بـ (خطاب الحب قراءة في المفهوم) و كان بمثابة استقراء لمفهوم الخطاب عند علماء اللغة من العرب و غيرهم، و كذا مفهوم الحب في التراث العربي و ماذا نعني به في نهج البلاغة.

و جاء الفصل الأول موسوما بـ (الانزياح في خطاب الحب) و تكوّن من ثلاثة مباحث ، إذ جاء المبحث الأول معنيا بدراسة (الانزياح الصوتي) و بحثنا فيه موضوعات (التكرار، السجع)، و المبحث الثاني كان معنيا بدراسة (الانزياح المعجمي) و بحثنا فيه مجموعة من الفروق اللغوية ، أما المبحث الثالث فكان معنيا بدراسة (الانزياح التركيبي) و بحثنا فيه موضوعات (التقديم و التأخير ، الالتفات ، الحذف) .

و جاء الفصل الثاني موسوما بـ (الاقناع و الامتاع في خطاب الحب) و تكوّن من ثلاثة مباحث ؛ إذ جاء المبحث الأول معنيا بدراسة (الاقناع و الامتاع الصوتي) و بحثنا فيه موضوعات (السجع ، الجناس) ، و المبحث الثاني كان معنيا بدراسة (الاقناع و الامتاع المعجمي) و بحثنا فيه موضوعات (المصاحبة اللغوية ، التضاد) ، أما المبحث الثالث فكان معنيا بدراسة (الاقناع و الامتاع التركيبي) و بحثنا فيه موضوعات (الاستفهام ، النداء ، الدعاء ، الأمر ، القسم) .

و جاء الفصل الثالث موسوما بـ (التأثير و التأثير في خطاب الحب) و تكوّن من ثلاثة مباحث ، إذ جاء المبحث الأول معنيا بدراسة (التأثير و التأثير الصوتي) و بحثنا فيه موضوعات (التنظيم ، الموازنة) ، و المبحث الثاني كان معنيا بدراسة (التأثير و التأثير المعجمي) و بحثنا فيه موضوعات (المشترك اللفظي ، التقابل) ، أما المبحث الثالث فكان معنيا بدراسة (التأثير و التأثير التركيبي) و بحثنا فيه موضوع (التوازي التركيبي) .

أما الخاتمة فقد لخصت فيها أشهر النتائج التي توصلت إليها في ضوء البحث و قد اتبعت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي .

و أما الطبعة المعتمدة لمتن نهج البلاغة، فكانت نهج البلاغة، ضبط و تعليق ، د . صبحي الصالح ، لما انماز به عمله من الضبط المتقن ، فقد حقق متن نص نهج البلاغة ، و اطلع على أكثر اصول مخطوطاته ، و عمل فهارس مفصلة لنهج البلاغة تتفع الباحثين .

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على محمد و آله الطاهرين .

الباحث

التمهيد

خطاب الحب قراءة في المفهوم

أولاً: مفهوم الخطاب

ثانياً: مفهوم الحب

خطاب الحب قراءة في المفهوم

أولاً : مفهوم الخطاب

يأتي لفظ الخطاب مقترنا بوصف آخر، مثل الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب الاجتماعي، الخطاب الثقافي، الخطاب التاريخي، الخطاب الديني، لذلك يرد الخطاب بتعريفات متنوعة، بوصفه فعلاً يجمع العمل بالقول، و هذا من سماته الأصلية، و في ذلك غنى و سعة في التصنيف. فقد ورد مصطلح الخطاب قديماً عند العرب، و كذا عند الغربيين، مع وجود التقارب أو التفاوت في معناه^(١)

١ - عند العرب

"خطب : الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلامُ بين اثنين، يقال خاطبه يُخاطبه خطاباً، والخُطبة من ذلك. وفي النِّكاح الطَّلَبُ أن يزوجه، قال الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، و الخُطبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القومُ فلاناً، إذا دَعَوْهُ إلى تزوج صاحبته. و الخطب : الأمرُ يقع؛ وإنما سُمِّيَ بذلك لما يقع فيه من التَّخاطب والمراجعة" ^(٢) ، و خاطبه أي حادثه و كالمه، و خاطبه في الأمر أي حدثه بشأنه ، و الخطاب : الكلام و في القرآن الكريم ورد بصيغ متعددة منها المصدر قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٢) و قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ (النبا: ٣٧) والفعل قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (هود: ٣٧) و قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣) و الخطاب : الرسالة ^(٣) .

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ص ٣٤

(٢) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، مادة (خطب) ، ٢ / ١٦٠

(٣) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص ٢٤٣

أما اصطلاحاً: استتدت أعمال علماء الأصول على الخطاب ، بل كان محور بحثهم ، و نتيجة لذلك لم يحفل الكثير منهم بتعريف الخطاب ، لأنه في نظرهم كان واضح المعنى ، و من الذين تصدوا لتعريف الخطاب (الآمدي) فقال هو : " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه " (١) .

" يشترط الآمدي في الخطاب من خلال تعريفه ثلاثة شروط ، هي

١- مضمون الخطاب : اللغة المشتركة بين المتخاطبين

٢- المقصد من الخطاب : تحقيق الافهام لدى المخاطب أو المستمع

٣- وضعية المتلقي أو المستمع : تهيؤ المخاطب أو المستمع لتلقي الخطاب " (٢)

و قد شبّه الجرجاني واضع الكلام بمن " يأخذ قطعاً من الذهب إلى الفضة ، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة فيربط بين أجزاء الخطاب ربطاً علائقياً بحيث يصبح مجموع الكلام كلاماً واحداً . و يشير العلماء القدماء الى الترابط العضوي بين الوحدات اللغوية داخل الخطاب - بالعبرة الشهيرة : (كل كلمة مع صاحبها مقام) ، إذ إنّ التغيير الحادث في أي وحدة لغوية يصاحبه تغيير في سائر الوحدات اللغوية . و لم يكتفِ القدماء بدراسة العلاقات الداخلية للخطاب، بل تعدوها إلى دراسة العلاقات الخارجية من حيث مطابقة مفردات الخطاب للواقع الخارجي من عدمها " (٣).

و قد ربط علماء العربية القدماء الخطاب بالمتخاطبين، فالتكلم ألف خطابيه على وفق غاياته و معتقداته و افتراضاته، و كل ذلك مؤثر في إفهام خطابه و المتلقي يستمع إلى الخطاب و ذهنه يحوي قراءات و تجارب و افتراضات سابقة تؤثر في فهمه للخطاب (٤) .

٢- عند الغرب

اتسم مفهوم الخطاب بالتعدد و التنوع نتيجة لتأثير الدراسات التي أجراها الباحثون عليه ، حسب اتجاهي الدراسات التواصلية و الدراسات اللغوية الشكلية ، لذا فهو يُطلق على

(١) الاحكام في اصول الاحكام ، علي بن محمد الآمدي، ١ / ٩٥

(٢) آليات الاقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء انموذجا) دراسة حجاجية ، هشام بلخير ، ص ٦٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣ - ٦٤

(٤) ينظر : آليات الاقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء انموذجا) دراسة حجاجية ، ص ٦٤

أحد مفهومي، متفقاً أحدهما مع ما جاء عند العرب قديماً، أما المفهوم الآخر، فيتصف بجديته في الدرس اللغوي الحديث . و هذان المفهومان هما:

١- الخطاب هو الملفوظ الموجه إلى الغير بقصد الإفهام لأمر معين .

٢- الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة^(١).

" و ارتبط استعمال مصطلح الخطاب عند الغربيين بفكرة الثنائية اللغوية - اللغة و الكلام التي وضعها دي سوسير ، الذي ميّز بدقة بين اللغة و الكلام ، و اللغة عنده نتاج اجتماعي لمملكة اللسان "^(٢)، " فاللغة ظاهرة عامة يشترك فيها أفراد مجتمع معين ، في حين أن الكلام هو كل ما يلفظه أفراد مجتمع معين ، أي ما يختارونه من مفردات و تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة "^(٣) .

و الكلام عند سوسير ينشأ انطلاقاً من الدائرة الكلامية مفترضة وجود شخصين (متكلم ، مخاطب) _ و نقطة الانطلاق للدائرة الكلامية كامنة في ذهن أحد الطرفين فيكون هو المتكلم^(٤) .

و قد تنبّه سوسير في الدائرة الكلامية لضرورة وجود طرفين في قيام العملية التخاطبية ، و لكن اهتمامه انصب على اللغة بوصفها نظاماً و قد أهمل الكلام " لأنه يتحقق في صور مختلفة لا حصر لها، و يتعذر دراسة هذه الصور في الواقع "^(٥)، " و هذا الإهمال من طرف سوسير كان محل اهتمام و اجتهاد اللغويين فحاولوا بذلك وضع مفهوم دقيق للخطاب، و إذا عدنا إلى القواميس اللغوية نجد أن للخطاب معاني متعددة فهذا(جون ديبوا) و أصحابه يعرفونه بقولهم :

١- هو الكلام الموضوع في الاستعمال أو اللغة المضطلة من طرف الفاعل المتكلم

و هو بهذا المفهوم (مرادف : الكلام) .

٢- الخطاب وحدة مساوية أو أعلى من الجملة ، و هو مكون من سلسلة مشكلة

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص ٣٦ - ٣٧

(٢) الاسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص ٧١

(٣) لسانيات التلفظ و تداوليات الخطاب ، ذهبية حمو الحاج ، ص ٧٨

(٤) ينظر : الاسلوبيات و تحليل الخطاب ، ص ٧٢

(٥) لسانيات التلفظ و تداوليات الخطاب ، ص ٧٩

رسالة لها بداية و نهاية (مرادف : للمفوض) .

٣- الخطاب يعني كل الملفوظات الأعلى من الجملة

و يلاحظ في هذه التعريفات أن الخطاب له جانبان : شكلي ، و جانب وظيفي ، و يتضح الأول في كون الخطاب بناء أو كتلة تفوق أو تساوي الجملة و بالتالي فهو مكون من وحدات متماسكة و منسجمة ، و أما الجانب الثاني فينظر إلى الخطاب بأنه استعمال اللغة من طرف الفاعل المتكلم ^(١) .

و يعرف (بنفنست) الخطاب انطلاقا من الهدف منه و تحديد طرفيه فيقول " الخطاب كل ملفوظ يفترض متحدثا و مستمعا ، ينوي الأول التأثير على الثاني بطريقة ما " ^(٢) . و يعرفه (جاك موشلار) و (ريبول) بأنه: " نشاط إنساني منطلقه حدث مخصوص أو مثير يتواصل به متكلم ما مع مخاطب " ^(٣) .

" فالخطاب عبارة عن شبكة من النظم الاجتماعية و السياسية والثقافية التي تبرز فيها الطريقة التي ينتج فيها الكلام كخطاب و تبادل رسائل لغوية بين المخاطب و المخاطب. و كمفهوم عام لمصطلح الخطاب ، هو انجاز في زمان و مكان معينان ، يقتضي لقيامه شروط تتمثل في تواجد المخاطب و المخاطب، إضافة إلى كيان الخطاب الذي يشمل الأصوات، المعجمات، الدلالة ، التراكيب، التداول ، فغرضه الاساسي البحث عن العلاقات التي تربط هذه المكونات بالإنجاز الكلي " ^(٤) .

ثانيا: مفهوم الحب

حب " الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها اللزوم والثبات، والآخر الحبة من الشيء ذي الحب، والثالث وصف القصر... أما اللزوم فالحب والمحبة، اشتقاقه من أحبه إذا لزمه ^(٥) و " الحب تقيض البغض والحُبُّ الودادُ و المحبةُ ... وأحبهُ فهو مُحِبٌّ وهو مَحْبُوبٌ على

(١) استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي ، دليلة قسمية ، ص ١٧ - ١٨

(٢) تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، ص ١٩

(٣) القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلار ، ص ٥١

(٤) الآليات اللسانية في بنية الخطاب الحجاجي في كتاب (أخبار الطرّاف و المتماجنين) لابن الجوزي ، صليحة

هروج ، نسيمه هروج ، ص ١٦

(٥) مقاييس اللغة ، مادة (حب) ، ٢ / ٢١

غير قياس "(١) .

أما اصطلاحاً " لقد تعددت التعريفات واختلفت الآراء حول عاطفة الحب، هذه الظاهرة الغامضة التي لطالما حيرت الإنسان البسيط و العالم الفقيه، و هذا لا لسبب إلا لكونها - بالدرجة الأولى عاطفة تختلف معالمها و تأثيراتها باختلاف التجارب الفردية ، فالحب على رغم التسليم بقدر مشترك له بين الافراد، يظل تجربة ذاتية ، تجربة تؤثر أشد التأثير على عملية تصوره و الحكم عليه، و من هذا المنطلق ، فكل إنسان يمكن أن يعد نفسه خبرة في هذا الحب ينبغي اعتبارها للإفادة منها .و قد احتل الحب مكانة مرموقة في ديوان الأدب العربي ، فلهج به الشعراء زمناً طويلاً، و انتشر فيه القول من خلال رواة الأخبار و قصص العشاق و أصحاب النوادر، ثم ما لبث أن صار رسالة من بين رسائل الفلاسفة من الشراح و المنجمين "(٢) .

" و يكاد ينعقد إجماع الدارسين على أن دراسات الحب في التراث العربي تنقسم إلى نوعين : نوع اعتبر مؤلفوها المحبة و العشق ظاهرة إنسانية لا تعدو حدود الأحوال البشرية المشهودة من ألهما، من الحيرة عند مشاهدة جمال مخلوق ، و من تعلق القلب بالمعشوق و الألم عند هجره أو فراقه ، و النوع الثاني : هو ما ألفه أهل التصوف الذين يعتبرون محبة الجمال المخلوق مرحلة أولية في سلوك السالك، يجب أن يرتقي منها إلى محبة خالق الجمال ،و يعتبرون هذه المحبة هي المحبة الحقيقية أو العشق الحقيقي، أما ما يكون بين البشر فهو عشق مجازي "(٣) .

و من جهة أخرى انقسمت آراء العلماء في تعريفه إلى قسمين ، أما القسم الأول فهم العلماء الذين يقولون بعدم وجود تعريف دقيق للحب؛ لأنه لا يوصف و إنما توصف آثاره فقط ، و القسم الثاني يصف الحب بأنه نوع من أنواع الميل أو الجذب إلى شيء جميل. و أحياناً يخلط بعضهم بين هذين النوعين(٤).

(١) لسان العرب ، ابن منظور، مادة (حب) ، ١ / ٢٨٩

(٢) الحب في التراث العربي في ضوء الفكر السيميائي المعاصر (طوق الحمامة إنموذجاً) ، كهينة أيت ساحل ، ص ١٢

(٣) الحب في التراث العربي ، محمد حسن عبد الله ، ص ٤٠

(٤) ينظر : الحب في القرآن الكريم ، غازي بن محمد بن طلال الهاشمي ، ص ٥٦

" و :المحبة ميل القلوب ، معناه : أن يميل قلبه إلى الله و إلى ما لله من غير تكلف و المحبة : هي الموافقة و معناه: الطاعة له فيما أمر، و الانتهاء عما زجر، و الرضا بما حكم وقدر، والمحبة أيضا: الإيثار للمحبوب، وهي إيثار لمن تحب ...فمحبة العبد لله تعظيم يحل الأسرار، فلا يستجيز تعظيم سواه ، و محبة الله للعبد : هو أن يبليه به فلا يصح لغيره ، و هو معنى قوله تعالى : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١) ،و معنى لا يصلح لغيره : أن لا يكون فيه فضل لمراقبة الأغيار و مراعاة الاحوال ...إن للقوم عبارات تفردوا بها، و اصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم ، نخبر ببعض ما يحضر، و نكشف معانيها بقول وجيز. و إنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة ، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلا عن الكشف، و أما كنهه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة و هي لأربابها مشهورة "(١).

و قيل في الحب : " لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن و الملائم جدا" (٢).

و قيل أيضا في تعريف الحب: " الذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع... والحب أيضا اتصال بين النفوس في أصل عالمها العلوي "(٣).

" إن نهج البلاغة و هو من كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أعظم الكتب الإسلامية شأنًا و إنه لبّ و نجاة و برهان و نور لمن استضاء و تمسك به و اعتمده و تدبره فإنه من روافد البلاغة التطبيقية ، فهو إمام الفصحاء و البلغاء بعد رسول الله (ﷺ) ، و قد سخر له الخطاب في إلقاء المواعظ البليغة " (٤) المتضمنة لمعنى الحب و التي تحمل طابع الإقناع و تؤثر على أذواق السامعين بأعلى درجاته و الممتلئ خطابه بالشحنات العاطفية التي تملأ شعور المتلقي فيتأثر بدلالات الخطاب إقناعا و إمتاعا و تتجه نحو التربية و استقامة السلوك .

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، ص ١٢٨ - ١٣٠

(٢) رسالة في ماهية العشق ، ابن سينا ، ص ١٠

(٣) طوق الحمامة في الألفة و الألف ، علي بن حزم الأندلسي ، ص ١٢

(٤) تحليل الخطاب الادبي في نهج البلاغة ، أمير فرهنك نيا ، ص ٣

إن ظاهرة الحب من أبرز ظواهر الإبداع الفني في نهج البلاغة، و يكسو النسق الجمالي هذه الظاهرة و يمنحها قدرة على التأثير السلوكي و الوجداني، و ترتبط جماليات الصياغة بمجموعة من الوجوه تتسم بالدقة و العمق دالة على الترابط في جزئيات الموضوع في الذهن " منها ما يرجع الى الجملة ، و منها ما يرجع الى الفصاحة ... و منها ما يرجع إلى غزارة المعاني ، و منها ما يرجع إلى تأثير الكلمة في الأسماع "(١).

فالحب له الأثر البالغ في النفس فإذا استمكن منها و استجمع صورته داخلها و انسجم مع متطلباته لم يكن للنفس من بد إلا الشعور بالراحة و الطمأنينة فتمتلئ فرحا و سرورا(٢) .

فالتأمل في نصوص نهج البلاغة يجعل القارئ المتأمل يدرك أن المبدع العظيم كان " يباشر عمله الإبداعي الفوري بعفويته الثاقبة فيأتي النص المرتجل مثل النص المكتوب ، آية في الاتقان و الروعة ، و ما جريان خطب الإمام علي (عليه السلام) على نحوه الباهر في طوله و قصره إلا دليل على الفاعلية الخارقة لعقل مبدع موهوب "(٣).

و قد زخرت نصوص نهج البلاغة بخطابات الحب، و تنوعت أغراضها و أهدافها حسب المواقف التي تقتضيها ، بل لا نبالغ لو قلنا أن نهج البلاغة جلّه حب ، أو هو نهج الحب الإنساني ، بيد أن الباحث اختار النصوص الأكثر بيانا و وضوحا ، منها :

١- تتجلى معاني الحب في النصوص المتضمنة للدعاء فهي تصف علاقة المبدع العظيم بالله تبارك و تعالى.

٢- النصوص التي يحث فيها أصحابه على الجهاد و مقاتلة الناكثين و القاسطين و المارقين ، فهي لا تخلو من معاني الحب لأن (الجهاد باب فتحه الله لخاصة أوليائه)(٤)

٣- الكتب و الرسائل التي بعثها لعمّاله على الأمصار و التي حثهم فيها على تقوى الله و إرساء قواعد العدل بين رعيته ، فهي رسائل حب لله تعالى و للرعية ؛ لأنهم عيال الله.

(١) جماليات الخطاب القرآني و إبداعه البياني (دراسة بلاغية لآيات الاسماء الحسنی)، محمد بوهند ، ص ٤٠

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٤٤

(٣) المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر ، نوفل ابو رغيف ، ص ٢٧ - ٢٨

(٤) نهج البلاغة ، للإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق : د . صبحي الصالح ، الخطبة ٢٧ ، ص ٦٠

- ٤- النصوص التي يبين فيها فضائل أهل البيت (عليهم السلام) و يدعو الناس فيها إلى ملازمتهم و عدم التقدم عليهم ؛ لأنهم الأدلاء إلى الله تعالى ، و هو محور الحب .
- ٥- النصوص التي يبين فيها فضائل القرآن الكريم و الدعوة إلى التمسك بتعاليمه؛ لأنه منهاج الحب الأول .
- ٦- النصوص التي يستذكر فيها أصحابه الذين قضوا حتفهم و هي لا تخلوا من اشارات الحب كونه عليه السلام كان يأنس بوجودهم حوله؛ لأن الرابط بينه عليه السلام و بينهم هو رابط روحي قائم بالدرجة الأساس على حب الله تعالى و حب نبيه عليه السلام.
- ٧- النصوص التي يبين فيها قربه من رسول الله عليه السلام و ملازمته له في جميع المواقف و المواطن ، و هي لا تخفى.
- ٨- النصوص التي يبين فيها شدة تأثره بوفاة النبي الاكرم عليه السلام و بضعته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) و هذا التأثر إشارة صريحة إلى حبه عليه السلام لهما و تعلقه بهما و هو أعلى درجات الحب؛ إذ لا يوجد إنسان من هو احب الى الامام من رسول الله .
- ٩- النصوص التي يبين فيها صبره على حقه في الخلافة حفاظا على دماء المسلمين و ببيضة الإسلام ؛ إذ ان الصابر يكون موضعاً لعناية الله و حبه عليه السلام والله يحب الصابرين عليه السلام (آل عمران : ١٤٦)
- ١٠- النصوص التي يبين فيها عظمة الله تعالى و قدرته و عجائب خلقه ، و هذا التبيان لا ينبع إلا عن قلب عرف الله تعالى فعشقه و أجرى ينابيع الحكمة و المعرفة على لسانه عليه السلام .
- ١١- وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام التي ضمت جملة من الإرشادات و النصائح و منها (التمسك بتعاليم القرآن، مراعاة حقوق الجار، إقامة الصلاة في مواقيتها، أداء الزكاة... إلخ) ، و هي تمثل أعلى درجات الحب الأبوي ((وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَ كَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي))^(١) .
- للخطاب في نهج البلاغة سلطة فائقة محكمة تحيل القارئ و السامع على انموذج

(١) نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) ، الكتاب ٣١ ، ص ٤٩٦

العلاقة بين الأفكار و تجلياتها في النص ... و لا ريب في أن التأمل في أسلوب تأليف نهج
البلاغة سيجعلنا نقف على أمور كثيرة لن تدّعي هذه الدراسة الإحاطة بها كلها ، لكن حسبنا
محاولة تذوّق أبرزها و أشدّها لصوقا بخطاب الحب في نهج البلاغة ما يعزز ملامح الجمال
في الكتاب ذاته^(١) .

(١) ينظر: المستويات الجمالية في نهج البلاغة ، ص ٣١ - ٣٣

الفصل الأول

الانزياح في خطاب الحب

المبحث الأول: الصوتي

المبحث الثاني: المعجمي

المبحث الثالث: التركيبي

مفهوم الانزياح

اهتمت الدراسات اللغوية الحديثة بظاهرة الانزياح بعدّه " قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية و بوصفه - أيضا - حدثا لغويا في تشكيل الكلام و صياغته ، و الانزياح هو خروج الكلام عن نسقه المثالي المألوف ، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم ، أو جاء عفو خاطر ، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى و بدرجات متفاوتة " (١) .

و يعد نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بما تضمنه من خطب و رسائل و حكم غنيا بالانزياحات المتنوعة التي شكلت طابع المفاجأة للمتلقي تاركة أثرها في نفس السامع . و سيقنصر هذا الفصل على ثلاثة أنواع من الانزياح هي : الانزياح الصوتي ، الانزياح المعجمي ، الانزياح التركيبي ؛ لأن محور الدراسة فيهما ، و بروز جوانب الحب و الجمال في هذه المجالات أكثر من غيرها.

المبحث الأول : الانزياح الصوتي

إن الدراسات الصوتية هي المحور الأساس للولوج الى النص ، فهي تمثل " نتاج الدراسات القرآنية التي تسعى جميعها الى تجويد قراءته ، و فهم مراده فهما لا يتبادر اليه شك و لا يقدر فيه قاذح ، و إن نقطة الانطلاق في الدراسات الصوتية بدأت من قراءة القرآن على أيدي القراء ، ثم تطورت فيما بعد على أيدي علماء اللغة من أمثال الخليل و سيبويه و ابن جني و غيرهم " (٢) .

وقد اهتمت الدراسات الأسلوبية بالجانب الصوتي اهتماما كبيرا لما في هذا الجانب من عناية و دراسة في مناهج علم اللغة الحديث ، فالدراسات الاسلوبية تهتم بالمستوى

(١) اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، احمد غالب النوري ، ص ٥

(٢) جمالية الانزياح في القرآن الكريم ، عبد القادر بن زيان ، ص ١٨

الصوتي في مختلف جوانب العمل الادبي^(١) و عناصره من " اصوات و ايقاعات خارجية و داخلية و تنعيم و نبر ، لما تحدثه من أثر على المتلقي للنص الادبي ، فإذا سيطر التنعيم على السامع وجدنا له انفعالا حزنا حيناً ، أو بهجة و حماسة حيناً آخر " ^(٢) .

و من وجهة النظر الانزياحية فان المستوى الصوتي يتناول المتغيرات الصوتية التي تؤدي إلى خلق اثر على المتلقي ، أو المتغيرات التي تنتج عن المزاج و السلوك التلقائي للمخاطب^(٣) ، " و يمكن أن يقال عنه اختلال الموازنة بين جانب الصوت و الدلالة فأى تغيير بزيادة ، أو غيرها يحصل في الأصوات الحاملة للدلالات سيؤدي الى انزياح مقصود ترجع فائدته إلى ما يبيغيه المتكلم " ^(٤) .

و تمثل خطب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام و رسائله و حكمه جنبه موسيقية مؤثرة في نفس السامع ، فهي تصوّر الحدث الواقع تصويراً دقيقاً لا يعثره الريب ، يقول محمد عبدة في مقدمة شرح النهج : " فكان يُخِيلُ إلي في كل مقام أن حروبا شبت ، و غارات سُنت ، و أن للبلاغة دولة و للفصاحة صولة و أن للأوهام عرامة ، و أن جحافل الخطابة ، و كتائب الذرابة في عقود النظام و صفوف الانتظام تتافح بالصفيح الأبلج و القويم الأملج ... بل كانت كلما انتقلت من موضع إلى موضع آخر أحس بتغير المشاهد و تحوّل المعاهد ، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية و تدنو من القلوب الصافية ... و طورا كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسره و أنياب كاشره و أرواح في أشباح النمر و مخالب النسر قد تحفّزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب " ^(٥) .

و يتضح لنا مما سبق أن نصوص نهج البلاغة غنية بالانزياحات الصوتية المختلفة التي لها دورها الابرز في تشكيل الصور المتنوعة ذات الطابع التأثيري في نفس السامع

(١) ينظر ، جمالية الانزياح في القرآن الكريم ، ص ١٩

(٢) موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس ، ص ١٩

(٣) ينظر ، الاسلوبية الرؤية و التطبيق ، د يوسف ابو العدوس ، ص ١٠١

(٤) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن، ص ٥٢

(٥) نهج البلاغة ، جمع محمد عبدة ، ص ٧- ٨

، و في هذا المبحث سنلقي الضوء على بعض صور هذا النوع من الانزياح بحسب ما يتسع لها المقام .

أولاً : التكرار

التكرار لغة مصدر "كَرَّرَ عَلَيْهِ يَكُرِّرُ كَرَّراً وَكُرُوراً وَتَكَرَّراً عَطَفَ وَكَرَّرَ عَنْهُ رَجَعَ وَكَرَّرَ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرِّرُ وَرَجُلٌ كَرَّارٌ وَمَكَّرَ وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ وَكَرَّرَ الشَّيْءَ وَكَرَّرَهُ أَعَادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى" ^(١) ، و التعريف بهذا المفهوم لغة لا يبتعد عن معناه في الاصطلاح ، قيل : " التكرار هو عبارة عن الاتيان بشيء مرة بعد أخرى " ^(٢) ، إذ إن التكرار لا يكون على مستوى محدد بعينه ، فتارة يكون على مستوى الحرف و تارة يكون على مستوى الكلمة ، أو الجملة ، و العرب لا تكرر الكلام عبثاً و إنما لغاية معينة يبتغيها المتكلم للتأثير في نفس المتلقي ، " و من سنن العرب التكرير و الإعادة ، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالإمر " ^(٣) . و سنقف على ثلاثة من مظاهر التكرار وردت في نصوص نهج البلاغة منها :

١ - تكرار الصوت الواحد

استثمر المبدع كافة العناصر الإيقاعية اللغوية في خطبه و رسائله و حكمه و من أبرز تلك العناصر (الحرف)، فنجد مكرراً لصوت خاص في خطبه ، ربّما نستطيع أن نعدّه ممثلاً لدلالة مضمرة ؛ إذ " تستمد العناصر قيمتها من تشكيلها الصوتي و ترتيبها في نسق يفرض مخزونها الدلالي على وجه يحقق خصوصية التشكيل وفق ترتيب معين يجعلها تتوالى في النص استجابة لمعاني النص ... " ^(٤) ، فتكرار صوت بعينه يسهم في خلق الإيقاع

(١) لسان العرب ، مادة (كرر) ، ٥ / ١٣٥

(٢) التعريفات ، الشريف الجرجاني ، تحقيق : د . ابراهيم الابياري ، ص ٥٨

(٣) الصاحبى في فقه اللغة ومسائلها و سنن العرب في كلامها، ابن فارس ، تعليق : احمد حسن بسبح ، ص ٣٤١

(٤) نظرية التشكيل الدلالي للكلمة في ضوء اوهاج السياق و الابلاغية و الاسلوبية ، عبد الله عنبر ، ص ٧٣

الصوتي الذي يردده الحرف المكرر ، و هذا ما نلّمحه في خطب الامام ﴿عليه السلام﴾ ، فمن خطبة له لما يذكر فيها النبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ جاء فيها : ((اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَشْكَاةِ الضِّيَاءِ وَ ذُوَابَةِ الْعُلْيَاءِ وَ سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ))^(١).

هذا الخطاب من أمير المؤمنين يشهد على أنّ النبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ حتّى قبل بعثته كان موضعاً للعناية الإلهية بالتربية الكاملة و محلاً لحب الله تبارك و تعالى ، لذا لم يتمكّن أعداء رسول الله ممّن حارب دعوته أن يعيب على رسول الله بشيء من مثالب الأخلاق أو الانتساب الى الاصلاب الطاهرة و الارحام المطهّرة قبل البعثة ، مع أنّه قد لبث فيهم أربعين سنة ، يعيش بينهم كعيشتهم ، ولكنّه امتاز عنهم بما وهبه الله من لطف ، فهو حبيب الله و خاتم انبيائه ؛ إذ اختاره الله تعالى من تلك الشجرة المباركة (اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ) و المقصود منها ابراهيم الخليل ﴿عليه السلام﴾ و (وَ مَشْكَاةِ الضِّيَاءِ) النفس الزكية و (الذُّوَابَةِ) هم الطيبون من قريش ، و (وَ سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ) أشرف الأمكنة من مكّة المكرمة ، (وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ) هم ولد ابراهيم الخليل ، و من ليس بجَدّ للنبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ منهم فهو عمّ لأجداده^(٢)

لقد جاءت أصوات مفردات الخطاب بأسلوب وافق دلالتها المعبرة عن الخير و السعادة للبشرية جمعاء ؛ إذ تتأغم الصوت في الكلمة مع المعنى و الاستعارات التي اختارها الإمام ﴿عليه السلام﴾ فتشكّلت نتيجة لذلك صورة مفعمة بالحب أضفت عليها شخصية الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ عظيمة فزادتها جمالا و رونقا ، و لعل الهدف من هذه الاستعارات هو " تمكين المعنى في نفس المتلقي بأقل وقت و لفظ "^(٣) ، فمفتاح الخطاب هو صوت الهمزة (اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ) ؛ إذ ابتدأ المقطع الأول بالهمزة في أول كلمة (اخْتَارَهُ) و انتهى بها في الكلمة الأخيرة (الْأَنْبِيَاءِ) فانغلقت فتحة الوترين الصوتيين و انطبقت انطباقاً محكماً لهذا الصوت ، فلا مجال لمرور الهواء ، ثم أعقبتها مرحلة انفراج ، و الانتقال من صوت الهمزة إلى صوت التاء المربوطة جعلنا أمام انزياح من الجهر إلى الهمس بما تحمل التاء

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٥

(٢) ينظر : في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد ، العلامة محمد جواد مغنية ، ٢ / ٤٤٢

(٣) الاقتصاد اللغوي المعايير الاقتصادية في تفسير مبادئ العربية ، د . محمد كشاش ، ص ٩٢

المربوطة من خاصية الوقوف عليها بهاء ، و صوت الهمزة له خصوصية في نطقه اختلف فيها كما اختلف في رسول الله ﷺ بعد غلق الباب عن الإتيان برسول بعده ؛ لأنه خاتم الانبياء و المرسلين إلا بانفراجها عن أصل الإمامة لتكتمل رسالة السماء بمرحلتين ، فبالإمامة تم الدين و كمل دور الرسول الأكرم ﷺ على أصح الآراء و التفاسير^(١) كما الهمزة تتم بمرحلتين " المرحلة الأولى مرحلة انطباق الوترين ، و فيهما ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس ، و المرحلة الثانية مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثا انفجارا مسموعا ، و هاتان المرحلتان متكاملتان و لا يمكن الفصل بينهما^(٢) ، و بقي صوت الهمزة هو الخاتم لنهايات المقاطع (الأنبياء ، الضياء ، العلياء ، البطحاء) كما بقي صوت الرسول الكريم ﷺ خاتما لنهاية الأنبياء و الرسل ممتدا إلى آخر الزمان بصوته و صورته التي رأتها العيون في زمانه و أدركتها القلوب بحقائق الإيمان و عشقتها نفوس المحبين بعده بالصورة البهيّة العظيمة التي رسمها أمير المؤمنين ﷺ بأسلوبه الخاص المطرّز بالحب و الولاء ، فمع أن جرس الهمزة من أشق الحروف و أعسرّها حين النطق ؛ لأن مخرجها فتحة المزمار و يتطلب النطق بها جهد عضلي كبير و ربما فيها من الصفات ما لا نجده في غيرها من الأصوات^(٣) كل ذلك و المبدع أطلقها لما فيها من احتياج لرفع الصوت الذي يعطي بدوره الرفعة و الشموخ و هو معنى تواشج مع الشموخ الذي عليه نبينا الكريم محمد ﷺ و الذي بقي ممتدا إلى يومنا الحاضر و مؤثرا في نفس المتلقي ، و هذا الامتداد الرائع المتصف بالجمال يعطي السعادة للعالم امتدت به اصوات المد المكررة في جميع مفردات الخطاب تقريبا مشفوعة بأصوات لها قيمة تنغيمية كصوت الحاء الذي جاء في المقاطع الثلاثة الأخيرة (وَ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ) (وَ مَصَابِيحُ الظُّلْمَةِ) (وَ يَتَابِعُ الْحِكْمَةِ) بمعدل مرة واحدة في كل مقطع ، و الحاء مع كونها صوت مهموس بيد أن لها حفيفا مسموعا مدركا مصدره الحلق و قد ناسب بجرسه أن يكون ختاماً للفقرة متناسقا مع جرس الهمزة في كونها حلقين^(٤) و يعد الذوق من العوامل المهمة في الحكم على جمالية الصوت

(١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، العلامة محمد حسين الطباطبائي ، ٥ / ١٩٤

(٢) علم الاصوات ، الدكتور كمال بشر ، ص ٢٨٨

(٣) ينظر : موسيقى الشعر ، ص ٢٦ ، الاصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس ، ص ٧٧

(٤) ينظر : الاصوات اللغوية ، ص ٧٦ - ص ٧٧

؛ لأن علم الصوت بمفرده لا يكفي لتفسير العلاقات الصوتية^(١) فنلاحظ أن الصوت يجري في اللسان ليعلن الخطاب بكل انسيابية جميلة ، و أن صوت الهمزة بجرسها المميز جاءت في أحد المقاطع في كلمة واحدة (نَوَابَة) معلنة أنها من أرقى الأصوات و أكثرها درجة في الجهد ؛ لأنها تخرج من أقصى الحلق ، بل سابقة له^(٢) و هو ما دلّت عليه كلمة (نَوَابَة) عند تدليها من شعر الرأس إشارة إلى حسب قریش و نسبها الرفيع^(٣) ، و قد جاءت أصوات اللغة في هذا الخطاب إلا النزر اليسير (الثاء ، الدال ، الزاي ، الغين ، الفاء ، القاف)؛ لأن بعض هذه الأصوات لو وردت مع أصوات الخطاب لدلّت على الضعف ، أو الهوان و هو ما لا يتناسب مع المقام ، فلو جاء صوت (الفاء) بدلا من قوله ﴿الْعَلَمُ﴾ (من شجرة) (من فرع الأنبياء) لأحدث صوته مع الراء ضعفا ؛ لأن الفرع ليس فيه من القوة ما يتناسب مع مقام الخطاب و المعنى الذي يؤديه^(٤) ، و أصوات أخرى مثل (الخاء ، الجيم ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، القاف) تناسب المعاني العنيفة و تكرارها يعطي مزيدا من القوة و العنف الذي لا يستشعره المتلقي مع غيرها من الأصوات ، و ربما لهذا لم ترد هذه الأصوات في خطاب المبدع ، و إن ورد بعضها فمرة واحدة فقط ، و مع أن الاختيار يصعب بسبب التغيرات التي تحدث في اللغة و احتياج الباحث لدلالة معينة بيد أن الإمام قد حققها في هذا الخطاب على أكمل وجه دلالي و أتم أسلوب^(٥) .

و من تكرار الحرف أيضا ما ورد من كلام له ﴿الْعَلَمُ﴾ عند دفن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، قال فيه: ((قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَ رَقٌّ عَنْهَا تَجَلْدِي إِلَّا أَنَّ لِي فِي النَّاسِ بَعْظِيمَ فُرْقَتِكَ وَ فَادِحَ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزُّ فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْهُودَةِ قَبْرِكَ وَ فَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَ صَدْرِي نَفْسُكَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةُ وَ أَخَذَتِ الرَّهْيْنَةُ أَمَّا حُزْنِي فَسَرَمَدٌ وَ أَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ

(١) ينظر : أسلوبية البناء الشعري ، دراسة في شعر أبي تمام د . سامي عبد الجبار ، ص ١٩

(٢) ينظر : علم الأصوات ، ص ٢٩٣

(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ١ / ٥٠٩ ، في ظلال نهج البلاغة

٤٤٢ / ٢ ،

(٤) ينظر : علم الاصوات النطقي دراسات وصفية تطبيقية ، أ . د . هادي نهر ، ص ٥٠

(٥) ينظر : صورة النبي في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الأسلوبية التطبيقية ، د . ناجح الميالي ، ص ٣٢

لِي دَارِكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ وَ سَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَ
اسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ هَذَا وَ لَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَ لَمْ يَخُلْ مِنْكَ الذِّكْرُ وَ السَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودَعٍ لَا
قَالَ وَ لَا سِمْ فَإِنْ أَنْصَرَفَ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ وَ إِنْ أَقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ
الصَّابِرِينَ))^(١)

تجلت إشارات الحب للإمام علي عليه السلام و" الذي وظفه المبدع فكربا على وفق
مقتضيات الصورة النبوية المرسومة و المشاركة الدلالية لعنوان النص مع النص ... فتكرار
النداء للنبي بوصفه محور الحب و من خلاله جاء حب الزهراء (عليها السلام) ؛ و لأن
النبي ﷺ مصطفى من الله كان المحبوب الاول ، فكذا الزهراء عند الإمام ؛ لأنها
اصطفاء النبي (قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي) ، فالضلع الاول في مثلثنا انت يا
رسول الله و انت في عظيم فرقتك موضع تأس و تعزّ " (٢) ، و هنا الحب ممزوج بالشوق و
هو أعلى درجات الحب ؛ لأنه شوق بعد الموت و هو حب و حنين لا يوصف ، بل لم
يذكر مثله أو أعلى منه درجة فكأنه يحاكي قول الشاعر المفعم بالحب و الشوق :

شممت تربك لا زلفى ولا ملقا وسرت قصدك لاخباً ولا مذا

وكان قلبي إلى رؤياك باصري حتى اتهمت عليك العين والحدقا

شممت تربك أستاذ الصبا مرحا و الشمل مؤتلفا و العقد مؤتلفا

وسرت قصدك لا كالمشتهي بلدا لكن كمن يتشهى وجه من عشقا^(٣)

و كانت أصوات النص موحية مع بُعد زمن النص؛ لأن القلب هو باصرة القارئ
فيها.

بدأ المبدع العظيم خطابه بقوله : (السلام عليك يا رسول الله عني و عن ابنتك
النازلة في جوارك و السريعة اللحاق بك) بنذب بضعة النبي ﷺ ، ثم قال : (قُلْ يَا
رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، و رق عنها تجلدي): أي يشير الى مكانتها عند الله و
رسوله ، (إلا أن في التأسي...) المصاب بفقد السيدة بضعة النبي ﷺ عظيم و أليم

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠٢ ، ص ٤٠٢

(٢) صورة النبي في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية ، ص ١٤٩ - ١٥٣

(٣) ديوان الجواهري ، محمد مهدي الجواهري ، ٣ / ٣٢٢

على قلب الإمام ، و لكنه جلل اذا قيس بفقد رسول الله ، و قد صبر الإمام على هذا فبالأولى ان يصبر على ذاك ، **(فلقد وسدتك في ملحودة قبرك)** فكأنه **﴿عليه السلام﴾** وسّد رسول الله **﴿عليه السلام﴾** و الحال انه يوسّد الزهراء (عليها السلام) فأى درجة من الحب هذه صاغها أسلوب المبدع بعفوية الخطاب البلاغي، و هي بمجازاتها اللغوية حقيقة واقعية ، و هنا يكمن عمق الحب ، و نوعه الصادق ، فأى قارئ له بتأمل يسير، يشعر بإحساس الإمام **﴿عليه السلام﴾** و يتصوّر بالصورة الحركية هيئة أمير المؤمنين و هو يدفن الزهراء (عليها السلام) ، بل كأنه يشاهد ذرف الدموع كاللآلى من عينيه ، و لا تجد نفسك أمام هذا الخطاب إلا خاشعة ساكنة تجري عبراتها بهدوء المحب لآل البيت (عليهم السلام) ، و كل هذا ما كان ليكون لولا الأسلوب البلاغي الرائع و صدق الخطاب من المبدع ، كأنّ الإمام يقول بهذا لرسول الله : انه معه في عقله و روحه و جسمه بعد أن انتقل الى الرفيق الأعلى تماما كما كان معه في حياته ، **(فلقد استرجعت الوديعة ، و أخذت الرهينة)** المراد بالوديعة و الرهينة السيدة أم الحسين ، و كانت عند الإمام عوضا عن رؤية رسول الله كما تكون الرهينة عوضا عن الأمر الذي أخذت عليه **(أما حزني فسرمد) دائم (و أما ليلي فمسهد)** و السهد قلة النوم^(١) كناية عن شدة الآلام و الاتراح التي تمنع من النوم ، **(و ستنبتك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها)** يشير بهذا الى قصة فدك و ما جرت من أحداث تخصها ، **(سلام مودع)** لا قال و لا مبغض **(و لا سئم)** لا ملول **(و ان أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين)** إن اخترت المقام عند قبرك يا رسول الله فأقيم عنده و أنا صابر و راض بقضاء الله طلبا لثواب الصابرين ، لا جازع و لا متبرم^(٢).

نلاحظ في خطاب المبدع تكرارا لحرف (التاء) ، حيث ورد هذا الصوت احدى و عشرين مرة في عدة مواضع من كلامه **﴿عليه السلام﴾** ، **(صفيتك ، تجلدي ، التآسي ، فرقتك ، مصيبتك ، تعز ، وسدتك ، ملحودة ، فاضت ، استرجعت ، الوديعة ، اخذت ، الرهينة ، يختار ، التي، انت ، ستنبتك ، ابنتك ، بتضافر ، امتك ، استخبرها)** ، وهذا الصوت هو صوت لثوي ذلقي

(١) ينظر : مقاييس اللغة ، مادة (سهد) ، ٨٢ / ٣

(٢) ينظر: في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد ، ج ٤ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٧

مهموس انفجاري ^(١) ؛ إذ أنه اضى جرسا شديدا منسجما مع حالة الحزن التي يمر بها المبدع العظيم ، فضلا عن ذلك أن ما يمر به المبدع من حالة الحزن تطلبت بما يناسبها من الحروف المهموسة ، ليكون المعنى بهذا التصوير المتقن و المؤثر في نفس المتلقي ، وهذا يدل على أن " للصورة قدرة على خلق دهشة مهما كانت درجتها تشدّ الذهن و تثير الانتباه لربط موسيقى الصوت بالإطار الدلالي " ^(٢) ، أضف الى ذلك أن المشهد يتحدث بنبرة عالية تصوّر لنا أحداث استشهاد بضعة النبي الأكرم (عليه السلام) ، و مما زاد في ذلك قصر الجمل التي تضمنها النص متّسحة بنغم صوتي منتظم تكررت فيه بعض الاصوات ذات التأثير المباشر على نفس السامع ومنها صوت الالف و هو من أصوات المد الذي تكرر أكثر من خمس و اربعين مرة (يا ، الله، عنها ،إلا ، أنّ التّاسّي ، فادِح ، فاضّت ، فإنّا ، إنّنا، إليه ، راجعون ، استرجعت ، الوديعة ، أخذت ، الرّهينة ، أمّا ، أمّا ، إلى ، أن ، يختار ، الله ، دارك ، التي ، أنت ، بها ، بتضافر ، أمّتك ، هضمها ، فأحفها ، السّؤال ، استخبرها ، الحال ، هذا ، العهد ، الذّكر ، السّلام ، ليكما ، سلام ، لا ، قال ، لا ، فإن ، أنصرف ، فلا ، ملالة ، إن ، أقم ، فلا ، بما ، الله ، الصّابرين) ، وهذا الصوت (الالف) من أكثر الأصوات قدرة على التعبير عن مشاعر الحزن و الألم المعبرة عن شدة حب المرسل لمن فارقه ، و تردد هذا الصوت بنسب عالية في مقاطع النص منح الخطاب دوره الإيقاعي في تحقيق التناغم الموسيقي المعبر عن آهات المبدع العظيم (عليه السلام) وأحزانه المنبثقة من خلال مدّاته المتوالية ، و كذلك صوت (الذال) و هو من الاصوات المجهورة ^(٣) الذي تكرر أربع عشرة مرة ، (فادِح ، فلقد ، وسدّتك ، ملخودة ، فلقد ، الوديعة ، فسرمّد ، فمسهّد ، دارك ، العهد ، مؤدّع ، وعدّ ، صدري ، تجلّدي) ليعطي المعنى وضوحا أكثر تنعكس آثاره على المتلقي ، و هذا يتواشج مع الموقف العام و هو الحزن على بضعة خاتم الانبياء و المرسلين فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، و صوت الراء الذي تكرر ما يقرب من أربع عشرة مرة (رسول ، استرجعت ،

(١) ينظر: كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ٤ / ٤٣٣ ، و المقتضب ، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، ١ / ١٩٥ ، علم

الاصوات النطقي دراسات وصفية تطبيقية ، ص ٢٥

(٢) رماد الشعر ، عبد الكريم راضي جعفر ، ص ٣١٠

(٣) ينظر : الاصوات اللغوية ، ص ٢٢

الرَّهِيْنَةُ، يَخْتَارُ، دَارَكَ، بِتَضَافِرٍ، اسْتَخْبِرَهَا، الذَّكْرُ، أَنْصَرَفَ، قَبْرِكَ، نَحْرِي، رَقٍّ، رَاجِعُونَ، صَبْرِي)؛ إذ أسهم هذا الصوت في منح الخطاب أجواء موسيقية خاصة، فتكريره الصوتي يعبر عن حالة الحزن المستمرة للإمام (عليه السلام).

٢- تكرار اللفظ

يتجلى هذا النوع من التكرار في مواضع عدة في نصوص نهج البلاغة؛ إذ تتكرر بعض الالفاظ في نسق معين و الغاية من ذلك هو التأكيد و ترسيخ الصورة في ذهن المتلقي إذا كان اتفاق اللفظين في المبنى و المعنى، و أما اذا كان الاتفاق في اللفظ دون غيره، فتكون فائدته للدلالة على معنيين مختلفين^(١).

"و قد تتجاوز الدلالة ذلك الإطار لتحدث صورة صوتية لا تنفصل عن المعنى؛ لأن اللغة تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة ومسموعة يؤدي فيها الصوت المكرر فيما إيقاعية داخلية تشير الى قيم مدلولية و إيحائية من خلال الالفاظ المكررة بأصواتها؛ إذ تزيد من تضعيف المعنى و جمالية المبنى بذلك الملمح من التكتيف الدلالي"^(٢).

و قد ورد هذا النوع من التكرار - تكرار اللفظ - في نصوص نهج البلاغة، فمن خطبة له في أوائل خلافته (عليه السلام) قال: ((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدْوَاهَا إِلَى اللَّهِ تَوَدُّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ... اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَ الْبَهَائِمِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ لَا تَعْصُوهُ وَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ وَ إِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ))^(٣).

"محبة الله تعالى للعبد أمر عظيم ولها منزلة رفيعة، لا يمكن الوصول إليها إلا باتّباع المنهج الذي رسمه الله لعباده من اتباع لكتابه المنزل و أداء الفرائض كما أمر الله تبارك و

(١) ينظر: معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، ١ / ٣٧٠

(٢) الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة، هادي شندوخ حميد، ص ٧٩

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٧، ص ٣٠٤

تعالى، و تقديم أوامره تعالى ورسوله على هوى النفس و شهواتها، و كذلك الإكثار من التّوافل و الطاعات و القربات؛ فإذا ما حصل العبد على محبة ربه فستسعد نفسه و ستهال عليه الخيرات و البركات في الدنيا والآخرة^(١) ، فقول الإمام عليه السلام : (إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَنْزَلَ) ، " على نبيّه أشرف المرسلين (كتاباً هادياً) بما يصلح الناس ، و هذا يدل على محبة الإمام عليه السلام لعباد الله تعالى ، و من أكثر من الإمام حبا لخلق الله جل شأنه ؛ إذ يهدي هذا الكتاب إلى نهج الحقّ اليقين كما قال عزّ من قائل ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ٢) (بين فيه الخير) المقرب إلى رضوانه (و الشرّ) المبعد عن جنانه (فخذوا نهج الخير) لـ (تهتدوا) إلى الصراط المستقيم المؤدّي إلى نضرة النعيم (واصدفوا عن سمت الشرّ) :أي أعرضوا عن طريقه لـ (تقصّدوا) أي تطلبوا السداد ، و تسلكوا سبيل الرّشاد ، ثمّ حتّى على مواظبة الفرائض و الواجبات و المراقبة عليها في جميع الحالات فقال عليه السلام : (والفرائض الفرائض أدوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنة) : أي أوصلوها إليه سبحانه لتوصلكم إلى الجنّة، و هو من باب المشاكلة ؛ إذ المراد بإيصالها إلى الله التقرب بها إليه و طلب الزّلفى بها لديه ، و نسبة التّأدية إلى الجنّة إليها من باب المجاز العقلي و الاسناد إلى السبب ، ثمّ أمرهم بالتقوى ؛ لأنّه الزّاد إلى المعاد فقال : (اتّقوا الله في عبادته) و رعاية ما يجب مراعاته من حقوقهم (و بلاده) بترك العلوّ و الفساد فيها قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣) ، (فانكم مسؤولون) لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَسألُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٣) و قوله : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٤) (حتّى عن البقاع) فيقال لم استوطنتم هذه و تركتم هذه ، (والبهائم) فيقال : لم ضربتم هذه و أوجعتم هذه ، فأنّه تعالى قد جعل للبهائم حقّا على صاحبها ، (أطيعوا الله و لا تعصوه و إذا رأيتم الخير فخذوا به) ؛ لأنّه ينفعكم في العاجل و الآجل، (و إذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه) ؛ لأنّه يسوقكم الى الجحيم و يؤدّي إلى العذاب الأليم^(٢) .

نلاحظ في هذا الخطاب تكرارا لألفاظ عدة ، منها تكرار لفظ الخير ثلاث مرات (بينّ

(١) علامات محبة الله للعبد ، بتول الدغيم ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع (موضوع) ،

<https://mawdoo3.com>

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ، ١٠ / ٧٨ - ٨١

فِيهِ الْخَيْرُ)، (فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ) ، (وَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ) و الشر ثلاث مرات (وَ الشَّرُّ) (اصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ) ، (وَ إِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ)، و لفظ الفرائض مرتين (الْفَرَايِضُ الْفَرَايِضُ) ، وهذا التكرار جاء لتأكيد المعنى و تقريره في ذهن السامع ، ويوفر تكرار اللفظ في خطاب الإمام ﴿عليه السلام﴾ إيقاعا نغميا و تكثيفا دلاليا، و بذلك تتحد الدلالة الصوتية مع الدلالة الفنية في إبراز النص معمقا في كلتا الداليتين، و بهذا يتلقى السامع نصا نابضا بالحركة والحيوية و يتأصل الهدف المراد - من تكرار هذه الألفاظ - في أجلي صوره ، و هو محبة الإمام ﴿عليه السلام﴾ لعباد الله تعالى حيث يكرر عليهم لفظ الخير للأخذ به و لفظ الشر للابتعاد عنه و لفظ الفرائض لأدائها على أكمل وجه في أجلي صوره ... فهذا الحرص على تكرار هذه الألفاظ له ما يبرره ؛ إذ هو محور الفكرة التي بصدها الإمام ﴿عليه السلام﴾^(١) .

و من هذا النوع من التكرار ما ورد من كلام له ﴿عليه السلام﴾: ((مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَ لِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَ مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ))^(٢).

حب بطعم العلم والمعرفة و التوجيه و التهذيب ، فإن المبدع ﴿عليه السلام﴾ لا يرى التهذيب إلا من خلال حب الناس ، و هذا الحب يدعو بتعليم نفسه و التأديب العملي ، فالمبدع يعطي مفاتيح الحب في خطابه ، ثم إن إصلاح النفس هو مفتاح سعادة الإنسان في الدنيا حيث يجنبه الأمراض النفسية من اكتئاب وما الى ذلك مما يفقده الأمل في الحياة، كما إنه مفتاح سعادة الانسان في الآخرة بلا ريب حيث يمكنه من الفوز برضا الرحمن والخلد في الجنان ، و قد أشار الشاعر إلى حسن الأدب قائلا :

فَقُلْ لِلْجَانِحِينَ إِلَى حِجَابٍ أَتُحَجَّبُ عَنْ صَنِيعِ اللَّهِ نَفْسُ ؟ (الوافر)
إِذَا لَمْ يَسْتَرْ الْأَدَبُ الْغَوَانِي فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدِّمَقْسُ^(٣)

و بالأخص لو كان هذا الإنسان إماما تقتدي الناس بقوله و فعله، و هذا ما أشار إليه أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ في خطابه؛ إذ حثَّ على إصلاح النفس قبل كل شيء (فمن

(١) ينظر : الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل و المضمون ، عباس علي حسين الفحام ، ص ٢٤٠

(٢) نهج البلاغة ، ص ٦١١

(٣) الشوقيات ، أحمد شوقي ، ج ٢ ، ص ٤٣٤

نصّب نفسه إماما...) ، " و لم يكن قد علّم نفسه ما انتصب ليعلمه الناس ، كان مثل من نصّب نفسه ليعلم الناس الصياغة و النجارة ، و هو لا يحسن أن يصوغ خاتما ، و لا ينجر لوحا ، و هذا نوع من السفه ، بل السفه كله ، و ينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله و سيرته قبل تأديبه لهم بلسانه ، و ذلك ؛ لأن الفعل أدل على حال الإنسان من القول "(١) .

نلاحظ في خطاب المبدع تكرارا لألفاظ التعليم و التأديب للتأكيد على أهميتهما في حياة الإنسان ، لقد تكررت الفاظ التعليم اربع مرات (معلّم ، معلّم ، تعلّم ، تعلّم) ، و كذلك ألفاظ التأديب (مؤدّب ، مؤدّب ، تأديب ، تأديب) ، و لفظ (نفسه) ثلاث مرات ، و لفظ (الناس) مرتان ، فتكرار هذه الألفاظ في النسق اللغوي يُضفي جوا إيقاعيا تتشكل من خلاله بؤرة المعنى العام للنص (إصلاح النفس) الذي تتجذب و تدور حوله المعاني الثانوية الأخرى ، فخطاب المبدع يرشدنا الى أمور منها أولا : ينبغي على كل من تصدى الى موقع المسؤولية أن يبادر بتعليم نفسه و ترويضها ، لتكون افعاله و أقواله على توافق مع علمه ، لأن الناس اقرب الى التأثر بما يُشاهد من الافعال و الاقوال منهم بالأقوال فقط ، و الثاني : أرشده الى التعليم بالسيرة في بداية الأمر قبل البدء بتأديبه لهم بلسانه ، فالفعل أدلّ من القول على حال الإنسان ، ثم أرشده بعد ذلك الى حقيقة مهمّة فقال : (و مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ) و هذا هو عين الصواب ؛ لأن من روّض نفسه وعلمها محاسن الاخلاق الفاضلة أعظم قدرا و أرفع درجة من تعاطي تعليم الناس ذلك و هو لا يعمل بشيء منه ، و من علّم نفسه و علّم الناس ايضا فهو أكثر فضلا و أجلا قدرا ممن اقتصر على نفسه ، و بذلك تتضح اهمية التكرار لما فيه من تقوية المعنى و توكيده في ذهن السامع^(٢) ، و هو أيضا يوحى بحرص الإمام على الإرشاد ، ذلك الحرص النابع من حب الإمام (عليه السلام) ، الحب الذي مزجه المبدع في خطابه البلاغي و لغته و أسلوبه ليؤكد لنا النجاح الذي ينتظرنا ، و منه يفهم أن هذا الخطاب في الحب سجية المبدع ، و على القارئ

(١) شرح نهج البلاغة ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله الشهير بابن ابي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦هـ ،

ج ١٨ ، ص ٣٢٨

(٢) ينظر: التكرار في الحكم و المواعظ في نهج البلاغة دراسة دلالية ، د . تحسين فاضل عباس ، الباحث :

ميثاق علي عبد الزهرة ، ص ٢٨١

التأمل في الخطاب ليشتم عبير هذا الحب .

٣- تكرار الجملة

ورد هذا اللون من التكرار في نصوص نهج البلاغة و منها ما جاء من وصية للإمام (عليه السلام) لما ضربه ابن ملجم قال فيها : ((أَوْصِيكُمْ وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ... يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخَوُّضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَ لَا تُمَتَّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَ الْمُثَلَّةَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعُقُورِ))^(١).

إن الحب هنا فيه جوانب عدة منها : حب الله تعالى و تطبيق دينه ، قال تعالى : **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** (البقرة: ١٧٩) ، و حب الإمام للسلام و الخير و للناس جميعا و هو يريد إبعادهم عن الفتنة بأن لا يعاقب إلا المذنب ، و لا يؤخذ الناس بجريرة غيرهم ، فحث أهله و من بلغه كتابه على تقوى الله ؛ لأنها من أسباب نيل حب الله تعالى ، و قربه، فهي السبيل إلى الجنة و زاد الآخرة **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾** (البقرة : ١٩٧) ، و لباس المؤمن **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾** (الاعراف: ٢٦)، لذا فالإمام (عليه السلام) يؤكد على ملازمة التقوى و جملة من الأمور الأخرى التي يرى فيها صلاح النفس و سعادة الدارين ، منها : " التزام النظم في كل الأمور ، فإن عدم رعاية النظم يوجب عدم الوصول إلى المآرب و الحوائج ، و إصلاح ذات البين و ترك الخصومة و النزاع و النفاق ... ثم ينتقل بالخطاب إلى بني عبد المطلب (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخَوُّضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ...) بالاكْتِفَاء بالقصاص عن القاتل و عدم الأخذ بالظنّة و التهمة و عدم الانتقام من سائر الأئمة و إن كانوا أعداء و عدم التجاوز

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ١٧ / ٦

على الجاني دون ضربة ارتكبه في قتله ^(١) تطبيقاً لشرع الله تبارك و تعالى .

هياً تكرر التركيب (قُتل أمير المؤمنين) السامع للولوج في أعماق المعنى ، فقد أكد تكرر التركيب أهمية القضية المكررة و أثرها في النفس و الوجود ، و لم يكن التكرار قيمة جمالية صوتية فحسب ، بل كان إيقاعاً مترافقاً مع وحدة معنوية منسجمة ، فأخرج العبارة المكررة بمنظور شعوري و رؤيوي له طبعه الخاص ، و قد كان هذا التكرار إيقاعاً ثابتاً جعلنا أمام تنمة متغيرة ، وذاك الجزء المتغير المتمثل ببقية العناصر النصية اللفظية غير المكررة حفز إثارتنا و تأثيرنا فزاد أفق التلقي و التفاعل ، و حقق دائرية التفاعل بين المتلقي و المبدع ، و كان الهدف من ذلك هو النهي عن الاقتصاص ؛ إذ جاء تكرر (لا) الناهية لترسيخ هذا المنع في أذهانهم و نفوسهم كي لا يمتد أثره إلى ما لا يُحتمل ، فيبتعد بذلك عن تعاليم السماء و يدخل في العصبية القبلية ، و هذا المعنى يتواشج مع بناء الفعل (قُتل) للمجهول و تغييب من قام بالفعل وهو (ابن ملجم) إشارة الى ترك من قام بفعل القتل و توسيع دائرة الاقتصاص إلى ذويه، و هذا الإطناب في خطاب المبدع غايته الأساسية أن يبتعد بخطابه عن أمن اللبس من ركوب الباطل و الابتعاد عن الحكم الالهي في القصاص هذا من جهة المعنى ، أما العناصر الصوتية المضافة ، فكان لها دوراً في إبراز الوظائف الجمالية الناتجة عن التكرار الصوتي الذي يحفزّ الذهن و يدفعه إلى النشاط من خلال الإعادة و الترجيح ^(٢) ، و تأكيد الحب الذي يبديه الإمام عليه السلام للبشرية جمعاء من خلال بثّ روح العدالة و التسامح بينهم .

ثانياً: السجع

(١) منهاج البراعة ، ٢٠ / ١١٧ - ١٢٠

(٢) ينظر : اساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية و الجمالية ، خالد كاظم حميدي ، ص ٩٤ ، و بلاغة الخطاب و علم النص ، د . صلاح فضل ، ص ١٩٦ ، و الإيقاع في شعر نزار قباني من خلال ديوان قصائد ، د . سمير سميجي ، ص ١٣٠

السجع (هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)^(١)، و يُعد السجع من أهم العناصر الإيقاعية التي اعتمدت عليها نصوص نهج البلاغة في صنع التناغم الصوتي و الذي يمثل احد مقومات الموسيقى الداخلية ؛ إذ ان القيمة الموسيقية له لا تنحصر في تكرار الحروف في نهاية الفواصل ، و إنما قيمته الحقيقية تكمن في كون علاقاتها تتحدد بالمدلول^(٢).

و يهيمن السجع على نصوص النثر بشكل عام و على نصوص نهج البلاغة بشكل خاص ، فالنثر الفني يُفترض ان تتحقق فيه الأدبية الموازية لخصائص الشعر و المتمثلة بالقافية و الوزن ، لكن بدرجة أقل و ذلك من خلال استعمال بدائل أخرى و منها السجع ... فالسجع عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليس مقصودا لذاته و إنما كان مجيؤه عفوَ الخاطر :أي أن السجع تابع للمعنى و ليس العكس ، فيتجه السجع بتنويعات تمس الأوزان أو الأصوات أو كليهما حيثما تتجه الدلالة^(٣).

و قد ورد هذا النوع من الانزياح في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة له و هي من الخطب التي تشتمل على قدم الخالق و عظم مخلوقاته جاء فيها: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتَ أَبْرَاجٍ وَ لَا حُجُبَ ذَاتَ إِرْتَاجٍ وَ لَا لَيْلٍ دَاجٍ وَ لَا بَحْرٍ سَاجٍ وَ لَا جَبَلٍ ذُو فِجَاجٍ وَ لَا فَجٍّ ذُو اغْوَجَاجٍ وَ لَا أَرْضَ ذَاتَ مِهَادٍ وَ لَا خَلْقٍ ذُو اعْتِمَادٍ ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ... وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ))^(٤).

هنا حب الله تعالى لعباده بيّنه المبدع في خطابه الرائع " فالحمد هو ثناء العبد على الله بذكر صفاته وأسمائه وخِصاله وفضائله وأفعاله الحسنة ، مع التذلل و المحبة و الخضوع ، فيتضمن الحمد إقرار العبد بكمال الله وغناه، وافتقاره إلى ربه لهديته و نعمه، فيؤمن بقلبه

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الاثير ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،

(٢) ينظر : الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص ، ورود سعدون عبد ، ص ١٤

(٣) ينظر : اساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية و الجمالية ، ص ٤٨

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٩٠ ، ص ١٤٦

أنَّ الله هو الْمُتَفَضِّلُ والمُنْعَمُ ، و يكون حمد العبد لربه بحدوث نعمةٍ أو بعدمها، فهو مشروعٌ في كل الأحوال والأوقات، و الحمد تختصُّ به آلة اللسان ، و الله مُسْتَحَقٌّ للحمد المطلق ، فهو الخالق و المُدَبِّر و الرازق و المالك ، و هو المتفضِّل على أوليائه بصنوف النعم، و من أسمائه الحمد، و ذلك لكثرة ما يحمده من الخلق ؛ و لأنَّه كثير المحامد ؛ و من الحمد العام لله الثناء عليه لما أبدعه و خلقه ، و لمُلكه الذي يقصر عقل الإنسان عن تخيُّله ؛ و لأنَّه سبحانه لم يتخذ ولداً، وأرسل الرُّسل، ونَزَلَ القرآن " (١) ، فقول الإمام «عَلَيْهِ السَّلَامُ» : (الحمد لله المعروف من غير رؤية) يعني أنَّه سبحانه " معروف بدلائل الملك و الملكوت و آثار القدرة و الجبروت و مدرك بحقائق الايمان من غير رؤية و مشاهدة بالعيان ، لكونها من لواحق الإمكان ، (و الخالق من غير رؤية)، أراد أنَّه تعالى خالق للأشياء بنفس قدرته التامة الكاملة غير محتاج في خلقها إلى رؤية و فكرة كما يحتاج إليها نوع الانسان في إيجاد شيء، و ذلك أنَّ فائدة القوَّة المفكِّرة تحصيل المطالب المجهولة من المبادئ المعلومة و الجهل محال على الله سبحانه (الذي لم يزل قائماً دائماً) ، أمَّا دوامه سبحانه؛ فلأنَّ وجوب الوجود يستحيل عليه العدم في الأزل و الأبد ، و أمَّا قيامه ، فالمراد به إما الدوام و البقاء و إمَّا القيام بأمور العالم و القيمومة على كلِّ شيء بمراعاة حاله و درجة كماله و الحافظ لكلِّ شيء، و المدبِّر لأمره أو الرقيب على كلِّ شيء و الحافظ عليه ، (إذ لا سماء ذات أبراج) ؛ لأنَّ القيمومة بالمعنى الأوَّل من صفات الذات و بالمعنى الثاني من صفات الفعل و بعد السماء و وجود العالم ؛ لأنَّه إذا لم يكن العالم مخلوقاً بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلاَّ بالقوَّة لا بالفعل ، (و لا ليل داغ) :أي مظلم (و لا بحر ساج) : أي ساكن (و لا جبل ذو فجاج و لا فجّ ذو اعوجاج) و هو مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (نوح: ١٩-٢٠) ، (و لا أرض ذات مهاد) و هو مأخوذ من قوله سبحانه : ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات، ٤٨) ، (مبتدع الخلق) و مخترعه على غير مثال سبق أو موجد من العدم المحض (و وارثه) الباقي بعد فنائه (و إله الخلق) و معبوده (و رازقه) بجميل آلائه و جزيل نعمائه (و الشمس و القمر

(١) أفضل الدعاء ، مريم أيمن العريني ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع (موضوع) ،

دائبان في مرضاته) هو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (ابراهيم: ٣٣) و أصل الذئب هو مرور الشيء في العمل على
عادة مطردة أراد ﴿الْعَالَمِينَ﴾ أَنَّ الشَّمْسَ و القمر يدأبان في سيرهما و إنارتها و تأثيرهما في
إزالة الظلمة و في إصلاح النبات و الحيوان على ما فيه رضاؤه سبحانه و يقتضيه حكمته
البالغة و يرتضيه تدبيره التام الكامل^(١).

نلاحظ في خطاب المبدع ان النص ينقسم الى مقاطع مسجوعة تبدأ من المقطع الأول
بعد عبارة الحمد لله وهي عبارة افتتاحية (المعروف من غير رؤية و الخالق من غير
رؤية) حيث اننا نجد ان المقطع ينقسم الى فقرتين الفاصل بينهما حرف العطف (الواو) وكل
فقرة منهما مكونة من اربع كلمات ، ثم يأتي بعد ذلك الموصول و صلته (الذي لم يزل قائما
دائما) و هما يتبعان الجملة النواة و الغاية من ذلك التأسيس لوصف القدم في مقابل
الوصف المتصل بالواصف ؛ لأن الوصف قد انتقل من (هنا ، الآن) إلى ابعد من ذلك و
هو (هناك ، و في الأزل) ، و هذا يتطلب تنويع الإيقاع من حيث طول الفقرات و عدد
الكلمات ، و كذلك تغيير حروف الروي لخصوصية الرؤية العميقة و التي تشابه الاضواء
الخاطفة التي تظهر ثم تختفي^(٢).

و أما المقطع الثاني من النص و الذي ينتهي بقافية (الجيم) ، (ابراج ، ارتاج ، داج
، ساج ، فجاج ، اعوجاج)، و مؤلف من ست فقرات متفاوتة في الطول والقصر فالأولى
والثانية مكونة من اربع كلمات، و الثالثة و الرابعة من ثلاث كلمات ، و الخامسة و السادسة
من اربع كلمات ، نلاحظ من خلال هذا المقطع انتقالا من الفقرة الاولى و الثانية (إِذْ لَا سَمَاءَ
ذَاتُ أُبْرَاجٍ وَ لَا حُبُّ ذَاتُ إِرْتَاجٍ)، و التي تتألف من اربع كلمات لكل فقرة ، إلى الفقرة
الثالثة و الرابعة (وَ لَا لَيْلٌ دَاجٍ وَ لَا بَحْرٌ سَاجٍ) ، و المؤلفة من ثلاث كلمات لكل فقرة، ثم
الانتقال الى الفقرة الخامسة والسادسة (وَ لَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لَا فَجٌّ ذُو اَعْوِجَاجٍ) و التي
تتألف من أربع كلمات لكل فقرة ، " و هذا الانتقال يكسر النمط اللغوي المعهود في النص
القائم على الرتابة مما يولد ايقاعا موسيقيا غير متوقع عند السامع و هو من المثيرات

(١) منهاج البراعة ، ٦ / ٢٢٥ - ٢٢٨

(٢) ينظر : اساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية ، ص ٤٩ - ٥٠

الاسلوبية التي تثير انتباه المتلقي وتجعله مقبلا بكل جوارحه الى ما يقوله المتكلم ، و اما المقطع الثالث من النص (و لَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ) و ينتهي في هذا المقطع وصف الخالق في أزليته و تتساوى فيه كلمات الفقرتين ، فكل فقرة تتألف من أربع كلمات ، و كذلك هناك تشابه في الروي بينهما و لكن هناك اختلاف يكمن في كسر النمط لكلمة (اعتماد) فهي تتألف من ثلاثة مقاطع ، فيحصل فيها نبران يشدان الكلمة في بدايتها و نهايتها و هذا جعل من الروي مختلف من حيث النبر، و أما المقطع الرابع من النص فيختلف فيه صوت روي الفاصلتين و كذلك عدد كلمات السجع (ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخُلُقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخُلُقِ وَ رَازِقُهُ) ، فالفقرة الاولى تتألف من أربع كلمات و الثانية من ثلاث كلمات ، و نبر الفاصلة (وارثه ، رازقه) ، وسرّ الانتقال من جهة عدد الكلمات و تبديل الروي (وارث ، رازق) حيث أنّ الانتظام اقتصر على الوزن وحده و كذلك اضافة الضمير (الهاء) الى (وارث ، رازق) وهنا تنوّعت إحالة الضمير فهو عائد على لفظ الجلالة (الله) في الفقرة الأولى، و على (خلقه) في الفقرة الثانية ولعلّ من أهم اسباب هذا الانتقال ، هو الانتهاء من بيان وصف الخالق جلّ شأنه المتصف بالصفات الأزلية، والموصوف بالأوصاف السرمدية، فهو مبتدئ الخلق و مخترعه من غير مثال سبق أو موجد من العدم المحض^(١) ، كما أننا نجد في هذا المقطع تنبيه للسامع للتركيز على المعنى ، و تجسّد ذلك في الفقرة ما قبل الاخيرة (وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يَقْرَبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ) و هو مأخوذ من قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (ابراهيم : ٣٣)؛ إذ إنها جاءت بأسلوب التقابل (الشمس، القمر) وفيهما تقابل عطاء الضوء وأخذ الضوء ، و (بالي ، جديد) وفيهما تقابل في الزمن الماضي و الحاضر ، و (قريب ، بعيد) و فيهما تقابل المسافات^(٢) ، أما الفقرة الأخيرة وقع السجع بين (ناواه ، و عاداه) ، في قوله ﴿ تَتَلَوَّاتٍ ﴾ : (وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَ غَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ) ، و أصل ناواه هو ناواه^(٣) " لكنها لُيِّنَتْ من أجل إحداث السجع بينها و بين عاداه " ^(٤).

(١) منهاج البراعة ، ٦ / ٢٢٨

(٢) ينظر : اساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية ، ص ٥٣

(٣) ينظر : لسان العرب ، مادة (نوأ) ، ج ١ ، ١٧٤

(٤) التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام) ، عباس علي الفخّام ، ص ٢٤٢

و من تمثّلات هذا النوع من الانزياح الصوتي ايضا ما ورد من خطبة للإمام عليه السلام جاء فيها : ((ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله) بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ وَ أَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ وَ أَظْلَمَتْ بِهِجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَ قَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ وَ خَشَنَ مِنْهَا مِهَادٌ وَ أَرْفَ مِنْهَا قِيَادٌ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَ اقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَ تَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا وَ انْفِصَامٍ مِنْ حَلَقَتِهَا وَ انْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَ عَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا وَ تَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَ قِصَرٍ مِنْ طُولِهَا جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامَةً لِأُمَّتِهِ وَ رِبْعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ وَ شَرَفًا لِأَنْصَارِهِ))^(١) .

و هنا منتهى الحب الإلهي أن بعث الله تعالى محمدا عليه السلام رحمة للعالمين، فالله تعالى فضّل الرسل و الأنبياء على سائر خلقه ، و فضّل أولي العزم من الرسل في محبته على سائر الرسل، و فضّل نبينا الأكرم عليه السلام على سائر أولي العزم ، فهو حبيب الله و نجيبه و خيرته من خلقه ، و من أعظم النعم علينا أن بعثه الله لهداية خلقه^(٢) ، فقول الإمام عليه السلام : (ثم ان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله) بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع) المراد بالدنيا هنا دنيا أهل ذاك الزمان الذي بعث فيه محمد عليه السلام و حياتهم ، و المراد بالانقطاع نهايتهم و هلاكهم بسبب الفساد و الضلال (و أقبل من الآخرة الاطلاع) و المراد بالآخرة نهاية أهل ذاك الزمان المظلم ، و بإقبال الاطلاع قرب هذه النهاية ، (و أظلمت بهجتها بعد إشراق)، رسالة محمد عليه السلام حلقة من سلسلة الرسالات السابقة التي أشرقت الدنيا بها كرسالة ابراهيم و عيسى و غيرهما من الأنبياء ، ثم أظلمت الدنيا من بعدهم برهة من الزمن حتى ولد الهدى و النور بمولد رسول الله عليه السلام

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ	وَقَمَ الزَّمَانُ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ	(الكامل)
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ	لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ	
وَالْعَرْشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدْهِي	وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ ^(٣)	

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٨ ، ص ٣٩٣

(٢) ينظر : الحب في القرآن الكريم ، ص ١٢٦

(٣) الشوقيات ، ص ٤١

(و قامت بأهلها على ساق)، كناية عن عصر الجاهلية الجهلاء ، و جرائمه و آثامه (و أُرِفَ منها قياد...): أي أوشكت الجاهلية المجرمة أن تقود أهلها الى الهلاك (و اقترب من اشراطها) : أي اقتربت علامات النهاية ^(١)، (جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته): " أي تبليغا لها، (و كرامة لأمته): أي أكرمهم عزّوجلّ بجعله رسولا لهم و جعلهم أمة له ﴿ ﷺ ﴾ و فضّلهم بذلك على ساير الامم ،(و ربيعا لأهل زمانه) تشبيهه بالربيع إمّا من أجل ابتهاجهم ببهجة جماله و بديع مثاله كما يبتهج الناس بالربيع و نصارته و طراوته ، أو من أجل أنّ أهل زمانه قد خرجوا بوجوده الشريف من ضنك المعيشة إلى الرخاء و السعة ، كما أنّ الناس يخرجون في الربيع من جذب الشتاء وضيق عيشها إلى الدعة و الرفاهة ،(و رفعة لأعوانه و شرفا لأنصاره) يحتمل رجوع الضميرين الى الله كما في الفقرة الاولى و إلى محمّد ﴿ ﷺ ﴾ كما في الفقرتين الأخيرتين ، و على أي تقدير فالمراد بالأعوان و الأنصار المسلمون أمّا كونهم أنصارا له ﴿ ﷺ ﴾ فواضح ، و أمّا جعلهم أنصارا و عوناً لله عزّ و جلّ على الاحتمال الأول فلكونهم أنصار دين الله و أعوان رسوله ، أضافهما إليه تعالى تشريفا و تكريما " ^(٢) .

الشاهد في خطاب المبدع (الانقطاع ، الاطلاع) ، (إشراق ، ساق) ، (مهاد ، قياد) ، (مدتها ، أشراطها ، أهلها ، حلقتها ، سببها ، أعلامها ، عوراتها ، طولها) ، (رسالته ، أمته ، زمانه ، أعوانه ، أنصاره) .

" كان للسجع دور بعده مكونا للإيقاع المثير للمتلقي ليتأمل في الدلالة المنشودة في رسم صورة النبي الأكرم ﴿ ﷺ ﴾ التي منها ابتدأ معهم النبي الأكرم ﴿ ﷺ ﴾ فمثلت حياتهم الابتداء مع الصورة النبوية المشرفة من الفترات و الأحوال التي ذكرها المبدع فأفرد لها أسلوبا يثير المتلقي بتكرار أصوات السجع في نهايات المقاطع في مواضع مختارة ، إذ بدأ ذكر النبي و أن الله بعثه ، ليشير إلى جمال الحب الإلهي و مصاديق الحب جمال الصورة النبوية في كل الأحوال باق على مكانته و لذته في جسم الأمة التي ابتدأ معها تغيير النفس و إن إخفائه عن الدنيا بموته لن يضر إلا من ينقلب على هذه الصورة النبوية ﴿ أَفَإِنْ

(١) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، ٤ / ٣١١ - ٣١٢

(٢) منهاج البراعة ، ١٢ / ٢٧١ - ٢٧٢

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴿١٤٤﴾ (آل عمران: ١٤٤)، بهذا السجع الإيقاعي المكرر بتنوع نهايات الفقرات شكل اللفظ المنتظم إيقاعاً مثيراً و منبهاً إلى ابتداء شيء تحول إلى الأفضل يدعو المتلقي إلى تفاعل شعوري عملي غير التفاعل الشعوري الذي يبدو منه و أراد المبدع أن يغيّر الحال التي عليها المتلقي بإثارته بأسلوب السجع الإيقاعي الجميل ليعيد شعوره الحق بعد الإفهام و التركيز على نقطة البدء التي منها بدأ تغيير الحال بسبب النبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ و منها ترسم صورة النبي في ذهن المتلقي ليصبح أمام ضميره المغيب عن هذه الصورة العظيمة ... فكأن المبدع بأسلوبه التكراري لهذا السجع الإيقاعي المتنوع و الإلحاح به أراد إثارة المتلقي عن طريق الفضول الغريزي لديه ليسأل نفسه لماذا لم يتخذ الموقف المناسب اتجاه ذلك لتبدأ مسألة حساب النفس و تفاعل الشعور ثم يأخذ المتلقي بعد الإفهام دور المبدع نفسه ؛ لأنه من الغايات العليا للمبدع أن يريد نقله لنفس الشعور الذي عنده ؛ لأن المبدع ممن عاش هذه الحالة من أولها إلى وقت الخطاب ، و هو خبير بكل تفاصيلها و مخلص لها ^(١) و الحب هو الإخلاص، و كان الحب في هذا الخطاب مضافاً بجماله على النفس ، فجمال السجع تواشج مع جمال الصياغة و الدلالة فكان خطاب الحب حبا للحبيب المصطفى ﴿ﷺ﴾.

المبحث الثاني: الانزياح المعجمي

يتمثل هذا النوع من الانزياح في الالفاظ التي تلتقي مع بعضها بعضاً بعلاقة الترادف الجزئي ، أو شبه الترادف ، إذ تشترك بعض الالفاظ في المعنى الاساسي العام ، ثم ينفرد

(١) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ٩٣ - ٩٥

كل لفظ ببعض الخصوصيات التعبيرية ، أو الطاقات الياحائية التي تحول دون اتفائه التام مع غيره من الالفاظ ، فطرفا الانزياح في هذا المجال هما لفظان يشتركان ، فيما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون: الدلالة المعجمية ، أو المركزية ، أو الاساسية ، ويستقل كل لفظ عن الاخر فيما يسمى عندهم الدلالة الهامشية ، أو السياقية ، أو الظلال والالوان العاطفية والجمالية للمعنى^(١) ، فلا يمكن فهم الدلالات من خلال النظرة المجردة لمعنى المفردة المعجمي ، إلا بالنظرة المركبة ، وأقصد بالمركبة هنا المعنى المعجمي الداخل في السياق ، فبمثل هذه التركيبية تتكون عندنا الصورة الواضحة لمعنى المفردة ، و تتولد عندنا دلالات جديدة وياحياءات ، ويمكننا التفريق بين المعنى المعجمي والمعنى المجازي لها من خلال النظر الى المعاني الجزئية للمفردة وعلاقة هذه المعاني بالسياق^(٢)

وقد ورد مصطلح السياق كثيرا في كتب علماء الفقه والاصول ، و لعل أوضح من حد هذا المصطلح هو السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ، فقد عرفه قائلا : " ونريد بالسياق كل ما يكتنف اللفظ الذي نريد فهمه من دوال أخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاما واحدا مترابطا ، أم حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع "^(٣). فالسياق اللغوي الصحيح هو الذي يكشف لنا الترادف في الالفاظ ويمكن ان تتبادله سياقات معينة وليست كل السياقات . وقد زخرت نصوص خطاب الحب في نهج البلاغة بهذا اللون من الانزياح المعجمي ، و سيلقي الباحث الضوء على هذا النوع من العدول الذي سيبحث في النصوص الخاصة بالحب أو إشاراته ، موضحا دور السياق في الكشف عن معاني الألفاظ .

١ - الجزء و الأجر

جزى : " الجيم والزاء والياء: قيام الشيء مقام غيره ومكافأته إياه. يقال جَزَيْتَ فلاناً أَجْرِيه جزاءً، وجازيئُهُ مجازاةً. وهذا رجل جازيكُ مِنْ رجلٍ "^(٤)، و الجزاء في الثواب والعقاب

(١) ينظر : اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، ص ٨٨

(٢) ينظر : مفهوم الترادف وقيمتة الدلالية بين لغة القرآن الكريم ونهج البلاغة ، فراس تركي عبد العزيز، ص ١٣١

(٣) دروس في علم الاصول ، السيد محمد باقر الصدر ، الحلقة الاولى ، ص ٩٠

(٤) مقاييس اللغة ، مادة (جزى) ، ١ / ٤٠٦

، قال تعالى : ﴿ فَاتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ٨٥) و قال تعالى : ﴿ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة : ٢٦).

أجر : " الأجرُ الجزاء على العمل والجمع أجور والإجارة من أجر يأجر وهو ما أعطيت من أجر في عمل والأجر الثواب وقد أجره الله يأجره ويأجره أجراً وأجره الله إيجاراً وأتجر الرجل تصدق وطلب الأجر" (١)

ورد هذا اللون من الانزياح في نصوص خطاب الحب في نهج البلاغة بين كلمتي (الجزاء، والأجر) على الرغم من انهما تتفقان في المعنى المركزي - على أن الأجر هو الجزاء، أو المكافأة على عمل معين ، إلا أن السياق يضع الجزاء في مفهوم أعم و هو الثواب و العقاب ، أما الأجر فلا يأتي إلا مع الثواب فقط ، وهذا ما دلّت عليه النصوص القرآنية ، و خطب نهج البلاغة ، فمن خطبة للإمام امير المؤمنين (عليه السلام) جاء فيها : ((وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ عِظَامٌ وَ نَارٌ شَدِيدٌ كَلْبُهَا عَالٍ لَجْبُهَا سَاطِعٌ لَهَبُهَا مُتَغَيِّظٌ زَفِيرُهَا مُتَأَجِّجٌ سَعِيرُهَا بَعِيدٌ خُمُودُهَا ذَاكٌ وَقُودُهَا مَخُوفٌ وَعِيدُهَا عِمٌّ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا حَامِيَةٌ قُدُورُهَا فَطِيعَةٌ أُمُورُهَا وَ سِيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ وَ انْقَطَعَ الْعِتَابُ وَ زُحِرُوا عَنِ النَّارِ وَ اطمأنّت بِهِم الدَّارُ ... فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَاً وَ الْجَزَاءَ ثَوَاباً وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَ نَعِيمٍ قَائِمٍ فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ وَ بِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ وَ مَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ وَ كَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ فَلَا رَجْعَةَ تَتَّالُونَ وَ لَا عَثْرَةَ تَقَالُونَ اسْتَغْمَلْنَا اللَّهَ وَ إِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَ طَاعَةِ رَسُولِهِ وَ عَفَا عَنَّا وَ عَنكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الزَّمُوا الْأَرْضَ وَ اصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ وَ لَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَ سِيُوفِكُمْ فِي هَوَى الْأَسْنَتِكُمْ وَ لَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَ هُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَ حَقِّ رَسُولِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى)) (٢).

الحب من الميول الفطرية المودعة في كل إنسان، وهو كامن في نفوس الجميع، ولا

(١) لسان العرب ، مادة (أجر) ، ٤ / ١٠

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ ، ص ٣٥٢

يمكن أن يخلو منه أيّ إنسان، و حقيقة الحبّ عبارة عن التعلّق الخاص والانجذاب المخصوص بين المرء و كماله ، و كلّ واحدٍ منّا يعلم حضوراً بوجود تعلّقٍ و انجذابٍ في قلبه، وإنّ اختلف هذا المتعلّق بين شخصٍ وآخر

فَلَا وَابِي الْعُشَّاقِ مَا أَنَا عَاشِقٌ إِذَا هِيَ لَمْ تَلْعَبْ بِصَبْرِي الْمَلَاعِبُ
وَمِنْ مَذْهَبِي حُبُّ الدِّيارِ لِأَهْلِهَا وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ^(١)

(الطويل)

فالثابت والمشارك بين الجميع هو أنّهم يتعلّقون بالكمال أو الكامل الذي يروونه بحسب اعتقادهم وتصوّره ، أمّا دور الحبّ فهو لا ينحصر فقط في طمأنينة الباطن وسكينته، بل للحبّ دور آخر أكثر أهميّة ؛ إذ إنّ هذا الحبّ هو المسؤول عن جميع توجّهات البشر وتحركاتهم^(٢)، فوصف الإمام لحال المتقين و سلوكهم دليل واضح على اكتسابهم الحب الذي ساقهم إلى الجنة (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ وَ انْقَطَعَ الْعِتَابُ وَ زُخِرُوا عَنِ النَّارِ وَ اطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ) و عقبه بذكر ما أعطاهم من فضله جزاءً لعملهم (فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَاً وَ الْجَزَاءَ ثَوَاباً وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلُهَا فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَ نَعِيمٍ قَائِمٍ فَارْعَوْا) : أي أن الله تعالى جعل لهم الجنة مركزاً يعودون إليه ، و يستقرون فيه ، وجعل لهم الجزاء الجميل ثواباً ، و بعد ذلك طيّب الإمام عليه السلام خواطرهم (مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَ هُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَ حَقِّ رَسُولِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى) بأن أعطاهم أجر الجهاد و الشهادة إذا ماتوا و لو بدون قتال ، بل مودة طبيعية تؤجرون عليها و يرجون الشهادة شرط ان يكونوا على معرفة بحق الله ، وحق رسوله ﷺ ، وحق اهل بيته من الأئمة (عليهم السلام) و يقع أجرهم على الله تعالى ، فإن النية تقوم مقام العمل ، فمن نوى الجهاد في سبيل الله ، و كان على معرفة تامة بحق الله تعالى، و حق رسوله ، و اهل البيت ، فإنه يكسب أجر ما

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، ت ٣٥٧ هـ ، ص ٤٠

(٢) ينظر : الأخلاق و الآداب الاسلامية ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع شبكة المعارف الإسلامية ،

نوى من الجهاد ، و هكذا يتفضل الله عليه بأن يكتب له أجر ما نوى^(١) .

نلاحظ في خطاب المبدع عدولا عن قوله: (و الجزاء ثوابا) الى قوله: (وقع أجره) ، فالجزاء يكون في النفع والضرر، أي في الثواب والعقاب، مثلما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٧)، و هو " بيان لعاقبة إيمانهم حق الإيمان المقارن للجهاد و يتبين به أن نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه و أنه عطية من الله و فضل " ^(٢)، و قوله تعالى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٣)، قيل: " المراد بيان جزاء ما هو أسوأ أعمالهم و سكت عن الباقي مبالغة في الزجر " ^(٣)، أما الأجر فلا يكون إلا في النفع دون الضرر، أي في الثواب دون العقاب ، كما في قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: ٣٥)، وهم الذين يكثر من ذكر الله بلسانهم و جنانهم فقد أعد لهم المغفرة و الأجر العظيم ^(٤) وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوُهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦): أي " فلهن عليكم أجر الرضاعة وهو من نفقة الولد التي على الوالد " ^(٥)، على الرغم من اتحاد المعنى في الدلالة المعجمية، إلا انهما يختلفان في الدلالة الهامشية او ما يطلق عليه بالدلالة الثانوية ^(٦)، فذكر المبدع للجزاء جاء عقب كلامه عن النار وأحوالها وكذلك كيف يساق المؤمن الى الجنة مضمنا حديثه بالقران الكريم، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر : ٧٣) ، فعندما كان السياق من المبدع يتضمن الحديث عن النار تارة ،و الجنة تارة أخرى ، أثر كلمة (الجزاء)؛ لأنها تتسجم مع السياق اللغوي الذي يذكر الاطراف المستحقة للثواب والعقاب نتيجة أعمالهم، أما عندما جاء الحديث عن الثواب فقط ، و هو الموت على معرفة حق الله

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي ، ٣ / ٢٧٠ - ٢٧١

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، ١٦ / ٥٣

(٣) المصدر نفسه ، ١٧ / ١٩٩

(٤) ينظر : المصدر نفسه ، ١٦ / ١٦٦

(٥) الميزان في تفسير القرآن ، ١٩ / ١٧٦

(٦) ينظر ، لسان العرب ، مادة جزى ١٤ / ١٤٥ ، مادة أجر ، ٤ / ١٠ ، وينظر ، اسلوبية الانزياح في النص

القرآني ، ص ٩٣

تعالى و حق نبيه الأكرم و أهل بيته صلوات الله عليهم و هي حقوق تشكل حلقة متصلة، فاتباع أهل البيت و حبهم يعني حب النبي الأكرم ﷺ و حب النبي و اتباعه يعني حب الله و الالتزام بأوامره و نواهيه قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١) أثر كلمة الأجر؛ لأنها تختص بالثواب دون غيره، فالأجر حب ؛ لأنه مكافأة و المكافأة أمر إيجابي ينمي الحب و يعزز الفضائل ، و كذلك الجزاء فهو في الثواب خير وحب ، و عندما يكون في العقاب يكون أيضا حبا إذا صدر من جهة عادلة ، لأن الغاية منه بتر الأخطاء و تصويب السلبيات ، و في الحالتين يكون الجزاء من مصدر عادل رمزا من رموز الحب.

٢ - دخل، ولج

دخل: " الدال والخاء واللام أصل مطرد منقاس، وهو الولوج. يقال دخل يدخل دخولا، والدخلة: باطن أمر الرجل. تقول: أنا عالمٌ بدخلته ... " (١)
أما ولج: " الولوج الدخول ولج البيت ولوجاً ولجة... وقد أولجه والمولج المدخل والولاج الباب والولاج الغامض من الأرض والوادي والجمع ولج ولوج الأخيرة نادرة لأن فعلاً لا يكسر على فُعول وهي الولة " (٢) .

ورد الانزياح بين كلمتي (دخول) ، و (ولج) في خطبة الإمام ﷺ، التي ينبه فيها على فضل الرسول الاعظم ، و فضل القرآن ، وحال دولة بني أمية ، جاء فيها: ((أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ انْتِفَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطَقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ ...فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا وَ أَدْخَلَهُ الظُّلُمَةَ تَرَحُّمَةً وَ أَوْلَجُوا نِقْمَةً فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ فِيهِ أَهْلُهُ وَأُورِدْتُمُوهُ غَيْرَ مُؤَرِّدِهِ وَ سَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَ مَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ وَ مَشَارِبِ

(١) مقاييس اللغة ، مادة (دخل) ، ٢ / ٢٧٦

(٢) لسان العرب ، مادة (ولج) ، ٢ / ٣٩٩

الصَّبْرِ))^(١).

أرسل الله الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى سبيل الحق، وخصّ هذه الأمة بالنبي الأكرم ﷺ، وهو أحب الخلق جميعاً إلى الله تبارك وتعالى، فجاءهم بالقرآن الكريم وحثهم أن يرجعوا إليه، فقول الإمام: (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ) :أي يتدبروا معانيه، و أسرارها و مراميها ،و لكن معرفته و حقيقته (القرآن الكريم) لا تكون إلا بتوسط من عنده علم الكتاب و هو الإمام المعصوم و يقصد نفسه، و فيه شفاء لدائكم و هو الجهل و الضلال، و ينظم حياتكم إلى الأفضل ،ثم ينتقل الإمام ﷺ بالخطاب إلى دولة الأمويين (فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا وَ أَدْخَلَهُ الظُّلْمَةُ تَرْحَةً وَ أَوْلَجُوا نِقْمَةً فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ وَ لَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ) وطغيانها و إفسادها في الأرض و كيف سينتهي بها المطاف إلى الانهيار والسقوط^(٢).

الشاهد في خطاب المبدع (لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا وَ أَدْخَلَهُ الظُّلْمَةُ تَرْحَةً وَ أَوْلَجُوا نِقْمَةً)، " فلفظ (يدخل) يشترك مع لفظ (يلج) في الدلالة المعجمية العامة ، لكن هناك بوناً في الدلالة الخاصة بين اللفظين، ومرد ذلك الى تلك الظلال الهامشية ،أو العاطفية الكامنة في هذين اللفظين ، فاللفظ الأول (يدخل) يشيع على الألسنة في مقامات كثيرة ، فيقال:(دخل البيت جذلاً)، و(دخل السجن)،أما اللفظ الثاني، فإنه يلقي بظلال سلبية على الحدث الكلامي، فإذا ما قيل (ولج الرجل بيت جاره)، فإن السامع قد يستشعر أن بغية الرجل السرقة،أو نيل مطلب ما، و لهذا فإن الظلال الهامشية، أو العاطفية تعمل على تحطيم الترادف التام، و تقويض أركانه، وعند ذلك تظهر فروق دقيقة بين الألفاظ المترادفة " ^(٣) .

نلاحظ في خطبة الامام ﷺ عدولا عن لفظة (أدخله) الى (أولجوا) ؛ إذ تبرز مفردة (أدخله) بإيحائية خاصة عندما شكلت مع الظلمة تركيباً له دلالة عميقة ، فلفظة (أدخل) فعل متعد ، و قد اكتسب تعديته من دخول الهمزة عليه ، فكان من الطبيعي أن

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٨ / ٢٧٨

(٢) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٣٥٣ - ٣٥٤

(٣) اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، ص ٨٨

يأخذ مفعولا به ، لكن الادخال إلى الظلمة يوحي بمزيد من الهلاك ، و الهلاك يشير إلى الناس الذين كانوا في هجعة و ضلال ، فكان الظلام بيئة تناسب ضلالهم ، لأن الظلام رمز ظلم و ضياع و ضلال ، ثم كانت لفظة (ترحة) متمما معنويا ليشير إلى ذاك المصير المأساوي للضالين ، و هذا يشكل وجها آخر من أوجه خطاب الحب ؛ لأن اعطاء توضيح لمصير داخلي الظلمة يشير إلى مصير الضد : أي إلى مصير المكملين بنور الله ، و جذب الناس عامتهم إلى النور و تحذيرهم ضمنيا من الظلمة و الترحة : أي السعي بهم إلى دروب الهدى ، و هذا خطاب حب عميق الدلالة ، و نلاحظ أيضا لفظة (أولجوا) بما يحمل الايلاج من دقة الدخول إلى ممر ضيق يناسب ضيق قلب الناقم (أولجوا نقمة) ، و النقمة تعني العقوبة و الاستياء ، فكان درب العقوبة ضيقا ، و هذا يناسب حشر الله تعالى الكافرين في ضيق على النقيض من المؤمنين الذين جعل لهم الجنات الواسعة، ما يعكس حبا عظيما أوحى بما يحمل من شدة العقوبة ، فبدأ بالحديث عن الادخال إلى الظلمة ثم انتهى بايلاج النقمة ، و هذا الأمر يحمل الانتقال من إيضاح حال عامة الناس ، ثم تخصيص تلك الحالة بهدف تضيق مساحة الشريحة المخاطبة و حصرها في الضالين ، وتعزيز عقوبة هؤلاء حبا بالمظلومين الذين لم يسلموا من جورهم و الدليل (لا يبقى بيت مدر و لا وبر) ما يعكس حبا عظيما يناسب حب المتقين ، والولوج هو " الدخول في مضيق " ^(١) ، وذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَغْلُمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (الحديد : ٤) ، " المعنى أنه يعلم ما يدخل و ينفذ في الأرض كماء المطر و البذور و غيرهما و ما يخرج من الأرض كأنواع النبات و الحيوان و الماء " ^(٢) ، وهذا يدعم المعنى الذي أشار اليه الراغب .

فالدول في خطاب المبدع عن لفظة (ادخله) الى (أولجوا) بمعنى انه " أخبر عن دولة بني امية، و ما يكون فيها من الظلم والجور بحيث تظال الناس كلهم، اهل المدر وهم سكّان المدن والحضر، واهل الوبر وهم سكّان البادية الذين يتنقلون وراء رزقهم في الصحراء ، انها فتنة تظال الجميع المقيم و الضاعن فلا يبقى بيت الا وأدخل عليه الامويون الحزن

(١) المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت ٥٠٢ هـ ، ص ٥٣٢

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، ١٩ / ٧٨

والأسى و نالوا أصحابه بالعذاب و العقاب، وإذا وصلت الأمور الى هذا المستوى فيومئذ يرفع الله رحمته عنهم و لا يبقى لهم في السماء عاذر و لا في الارض ناصر و عندها تحلّ النعمة بهم و ينزل العذاب عليهم و تنهاوى دولتهم و تتساقط عروشهم " (١) ؛ لأن الله تعالى عادل يحب العدل و ما إرسال الانبياء بالكتب السماوية إلا لإحقاق الحق و سيادة العدل و نشر روح التسامح و المحبة بين بني الإنسان و لا يرضى بالظلم، وعدالته جل شأنه تقتضي بإنزال العقوبة على الظالمين رحمة ورأفة بالمظلومين الذين يتشوقون إلى عدالة السماء والخلاص ممن ظلمهم .

٣- الخشية والخوف

" الخشية : الخوف ، فيقال : خشي الرجل يخشى خشية أي خاف ، وكذلك يُقال هذا المكان أخشى من ذلك أي أشد خوفاً " (٢) .

" إن الخوف والخشية وإن كانا في اللغة بمعنى واحد إلا أن بين خوف الله وخشيته وفي عرف أرباب القلوب فرقا وهو أن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات. وهو يحصل لأكثر الخلق و إن كانت مراتبه متفاوتة جدا، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل. والخشية: حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨)، فالخشية خوف خاص و قد يطلقون عليها الخوف ، قلت و الكلام هنا (لأبي هلال العسكري) و يؤيد هذا الفرق أيضا قوله تعالى يصف المؤمنين : ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد: ٢١)، إذ ذكر الخشية في جانبه سبحانه و تعالى ، و ذكر الخوف في جانب الحساب ، هذا وقد يُراد بالخشية الإكرام و الإعظام " (٣) .

و قد ورد كل من لفظ الخوف و الخشية في خطب الامام ﴿عليه السلام﴾، و إنّ اللفظين

(١) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٣ / ٢٧

(٢) لسان العرب ، مادة (خشي)، ١٤ / ٢٢٨

(٣) مفهوم الترادف وقيمه الدلالية بين لغة القرآن الكريم ونهج البلاغة ، ص ١٥٢ ، الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، ص ٢١٨ - ٢١٩

و إن كانا متوافقين في الدلالة المعجمية على معنى واحد ، إلا أنهما يختلفان في الدلالة الهامشية، أو الثانوية، فمن خطبة للإمام عليه السلام في تهذيب الفقراء بالزهد و تأديب الأغنياء بالشفقة جاء فيها: ((و إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَ اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ وَ اَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكُنْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ نَسْأُلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ))^(١).

ومن خطبة له ايضا في الحث على العمل الصالح جاء فيها : ((رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى وَ دُعِيَ إِلَى رِشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْرَةٍ هَادٍ فَتَجَا رَاقِبَ رَبِّهِ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً اكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَ اجْتَنَبَ مَحْذُوراً وَ رَمَى غَرَضاً وَ أَحْرَزَ عَوْضاً كَابِراً هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مِنْهُ جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةً نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُدَّةً وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ وَ لَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ اغْتَنَّمَ الْمَهْلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ))^(٢).

إن للأعمال الصالحة ثمرات كثيرة في الدنيا و الآخرة ، و هي السبيل الواضح للوصول إلى حب الله تعالى و قربه، يمن الله تعالى بها على من اصطفاه من عباده للتلذذ بنعيم قربهِ و مناجاته، و طريق الحصول على لذة الطاعة يحتاج لأسباب لو التزم بها العبد حصل له مقصودة، و جمع بين سعادة الدنيا و نعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧) ، فالعمل الصالح ثمرته عظيمة ونفعه جليل، ويكفي المؤمن شرفاً أن ينال الحياة الطيبة في الدنيا قبل أن ينتقل إلى الحياة الطيبة في الآخرة و ذلك عن طريق العمل الصالح الخالص لله والمتبع فيه لرسول الله ﷺ فلا سعادة للمرء إلا بسلوك طريق العبادة التي ارتضاها الله لعباده المؤمنين، وكلما كان العبد أحرص على أداء العبادة على الوجه الذي يرضيه ربه كان السبيل للحصول على اللذة سهلاً و ميسراً . فقول المبدع العظيم : ((و إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ فَأَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ...)): أي " أن حرث الدنيا حقير و

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٣ ، ص ٥٣

(٢) المصدر نفسه ، الخطبة ٧٦ ، ص ١١٥

حرث الآخرة جليل خطير، (و قد يجمعهما الله لأقوام)، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٧-١٤٨)، و قوله ﴿فاحذروا من الله﴾ (بما حذرکم من نفسه) بقوله : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (و اخشوه خشية) صادقة (ليست) بذات (تعذير) ؛ إذ الاعتذار إنما ينفع عند من هو جاهل بالسرائر و محجوب عما في الضمائر ، و أما الله العالم الخبير بما في الصدور فليس للاعتذار عنده نفع و لا ثمر، ولما كان همته ﴿العلية﴾ مقصورة على طلب السعادة الأخروية أردف كلامه بقوله: (نسأل الله منازل الشهداء و معايشة السعداء و مرافقة الأنبياء)، و يفهم من ذلك مدى حب الإمام للشهادة و مرافقة الأنبياء و الصالحين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩) و في ذلك جذب للسامعين إلى الاقتداء به في طلبها و العمل بها و بدء ﴿العلية﴾ بطلب أسهل المراتب الثلاثة للإنسان و ختم بأعظمها فإن من حكم له بالشهادة غايته أن يكون سعيدا ، و السعيد غايته أن يكون في زمرة الأنبياء رفيقا لهم ، و هذا هو الترتيب اللائق من المؤدب الحاذق ،فإن المرتبة العالية لا تتال دفعة دون نيل ما هو أدون منها ^(١).

أما في النص الثاني فقال ﴿العلية﴾: (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَتَجَا رَاقِبَ رَبِّهِ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصًا وَ عَمِلَ صَالِحًا ...) ، " أراد بالحكم الحكمة الأعم من العلمية، و الرشد هو رشد و هداية فدنى من الداعي و قرب من المرشد و الهادي ، و الاعتصام: أي اعتصم به و التجأ إليه و استهدى به فهداه من الضلالة و انقذه من الجهالة فاهتدى و نجى من الهلكة و امن من العقوبة ، (راقب ربّه) و المراقبة احدى ثمرات الايمان و هي على ما قيل رتبة عظيمة من رتب السالكين، و حقيقتها أنها حالة للنفس يثمرها نوع خاص من المعرفة و لها تأثير خاص في القلب و الجوارح أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب و اشتغاله به ، و أما العلم المثمر لها فهو العلم بأن الله تعالى مطلع على الضمائر و السرائر قائم على كل نفس بما كسبت كما قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) منهاج البراعة ، ٣ / ٢٧٩ - ٢٨٠

اللَّهِ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿النساء: ١﴾، (و خاف ذنبه ...) و الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب، (جعل الصبر مطيةً لنجاته) و الصبر قوّة ثابتة و ملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس و منعه عن قبائح اللذات و منى الشهوات و على حمله على مشاق العبادات و التكاليفات و على التحمل على المصائب و الآفات و الدواهي و البليات و بها يحصل النجاة و الخلاص من غضب الجبار و عذاب النار، و لذلك جعلها مطيةً يتمكن بها من الهرب ، و الفرار عن العدوّ في مقام الحاجة و الاضطرار^(١).

الشاهد في خطاب الإمام عليه السلام ﴿وَ أَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَّيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ﴾ و قوله: (خاف ذنبه) ، فالخشية في النص الأول تعني "خوف يشوبه تعظيم و أكثر ما يكون ذلك عن علم ما يخشى منه"^(٢)، و أما النص الثاني "فالخوف هنا أراد به الكف عن المعصية و اختيار الطاعة و ترك الذنب"^(٣).

نلاحظ في الخطابين السابقين عدولا (وَ أَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَّيْسَتْ بِتَغْذِيرٍ)، و (خاف ذنبه) عن لفظة الخشية الى لفظة الخوف، أو العكس، و السياقان اللذان وردت فيهما اللفظتان يقتضيان عدم امكانية استبدال لفظة مكان أخرى لخصوصية السياق الذي وردت فيه كل لفظة على المراد والنتيجة^(٤)، و الخشية الملازمة للعلم تولّد الحب لأنها تكون عن معرفة من تخشاه بأنه المحبوب الواحد الأحد الذي بيده ملكوت السماوات والأرض .

٤ - الله - ربّ

أله : " الإله الله عز وجل وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إلهٌ عند متخذه والجمع إلهةٌ والآلهةُ الأصنام سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحقُّ لها وأسمائهم تتبّع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه وهو بيّنُ الإلهةِ والألهانيّةِ وفي حديثٍ وُهِيب ابن الورد إذا وقع العبد في ألَهانيّةِ الرّبِّ ومُهَيِّمَنِيّةِ الصّدّيقين ورهْبانيّةِ الأبرار لم يجدْ أحداً يأخذ بقلبه أي لم يجد أحداً ولم يُحبَّ إلا الله سبحانه قال ابن الأثير هو مأخوذ من إلهٍ وتقديرها فُعْلانيّةٌ بالضم تقول إلهٌ

(١) منهاج البراعة ، ٥ / ١٩٥ - ٢٠٠

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٨٣

(٣) مفهوم الترادف و قيمته الدلالية بين لغة القرآن الكريم و نهج البلاغة ، ص ١٥٨

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٩

بَيْنُ الإِلَهِيَّةِ وَالْأُلْهَانِيَّةِ وَأَصْلُهُ مِنْ إِلَهٍ يَأْلُهُ إِذَا تَحَيَّرَ يَرِيدُ إِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي عِظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وَصَرَفَ وَهَمَّهُ إِلَيْهَا أَبْغَضَ النَّاسَ حَتَّى لَا يَمِيلُ قَلْبُهُ إِلَى أَحَدٍ الْأَزْهَرِيُّ قَالَ اللَّيْثُ بَلَّغْنَا أَنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَكْبَرِ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ " (١)

الرَّبُّ: " هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ أَيُّ مَالِكُهُ وَلَهُ الرُّبُوبِيَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَالِكُ الْمُلُوكِ وَالْأَمْلَاكِ وَلَا يَقَالُ الرَّبُّ فِي غَيْرِ اللَّهِ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ ... " (٢).

ورد في الكثير من نصوص نهج البلاغة انتقالاً من لفظة (الله) الى لفظة (رب)، فمن خطبة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يصف فيها المتقين جاء فيها: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ ... أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَتِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَ تَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ ... إِذَا زَكَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يَقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّْي بِنَفْسِي ...)) (٣).

" إن المريد السالك الذي تتور قلبه بنور الإيمان والطاعات يعلم أن قيام الليل بأنواع الطاعات هو عبادة عظيمة، فهو قرة عين أحباب الله الولهين بطاعته، ولذة أرواح المتقين الموحدين، وبستان العابدين، وتجارة الفائزين، و ثمرة نفوس الخاشعين المتبتلين، و محك أحوال الصادقين، و ميزان أحوال السالكين ، و هو طريق للمعالي ولنيل الدرجات العلى في جنات النعيم ؛ لأن فيه مجاهدة النفس ومخالفتها " (٤)، ملك الله أرواح المتقين فعشقوه و سكن قلوبهم ، فأصبحوا ينظرون بعينه و يسمعون بأذنه و يتحدثون بلسانه ، فقول الإمام (عليه السلام):

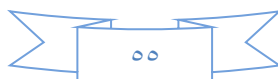
((أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ

(١) لسان العرب ، مادة (إله) ، ١٣ / ٤٦٧

(٢) المصدر نفسه ، مادة رب ، ١ / ٣٩٩

(٣) نهج البلاغة ، خطبة ١٩٣ ، ص ٣٨٠

(٤) قيام الليل لذة المتقين ، موقع دار الفتوى ، <https://www.darulfatwa.org.au/ar>



يَسْتَنِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا ...): أي " يقرؤون القرآن بصوت حزين، و المراد بدائهم هو داء الذنوب الموجب للحرمان من الجنة و الدخول في النار ، و بدوائه هو التدبّر و التفكير الموجب لقضاء ما عليهم من الحق و سؤال الجنة و طلب الرحمة و المغفرة ، (فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ) إلى الجنة (رَكَنُوا) ، (و إذا مَرَّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ) و تحذير من النار (أَصْغَوْا): أي أمالوا (إليها مسامع قلوبهم و ظنّوا) : أي علموا (أَنَّ زفير جهنّم و شهيقتها) : أي صوت توقدها (في اصول آذانهم) أو المراد زفير أهلها و شهيقتهم، (إذا زكي أحدهم) : أي وصف و مدح بما فيه من محامد الأوصاف و مكارم الأخلاق و مراقبة العبادات و مواظبة الطاعات (خاف مما يقال له) و اشمئز منه (فيقول أنا أعلم بنفسى) : أي بعيوبها (من غيري و ربّي أعلم منّي بنفسى) و إنّما يشمئزّ و يخاف من التزكية لكون الرضا بها مظنة الإعجاب بالنفس و الادلال بالعمل " (١) ، وهذا القول يتواشج مع قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (النجم: ٣٢).

نلاحظ في خطاب المبدع انتقالا من لفظ الجلالة (الله) الى (ربّ) وعلى الرغم من اتحاد اللفظين من جهة المعنى في الدلالة المركزية المعجمية إلا أن السياق اللغوي يضفي معاني ثانوية على لفظة (ربّ) ، فقول الإمام (عليه السلام) : (أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّْي بِنَفْسِي ...) ، فهو ديدن الاتقياء لا يُعجبون بأنفسهم أمام المدح و الإطراء ، و كذلك لا يتكبرون إذا ما امتدحهم أحد و قال : إنك تقى و ورع و زاهد و عابد ، بل يخاف على نفسه من العجب ، أو أن يُصيبها التكبر و التعاضم ، لذلك هو يبادر الى كبح جماح النفس فورا ، فيقول: أنا أعلم بما في نفسي ، و إنني مقصّر و مذنب و على علم بهفوات النفس و قبائحها من هذا المادح ، ويقول ايضا: إن ربي أعلم مني بهفوات نفسي ، فهو جل شأنه يعلم بالنوايا السيئة و الأعمال و التصرفات القبيحة ، فهو عزّ و جل يعلم إذا كنت مخلصا له ، أو لا ، و ما كان مشوبا بالرياء ، كما أن القول (ربي أعلم) فيه دلالة على مطلق التسليم والشعور الصادق بالعبودية لله تعالى (٢).

(١) منهاج البراعة ، ١٢ / ١١٤ - ١٢٣

(٢) ينظر ، شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٣ / ٣٦٢

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به كثيرا جاء فيه : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِـي مَيْتًا وَ لَا سَقِيمًا وَ لَا مَضْرُوبًا عَلَى غُرُوقِي بِسُوءٍ وَ لَا مَأْخُوذًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي وَ لَا مَقْطُوعًا دَابِرِي وَ لَا مُرْتَدًّا عَن دِينِي وَ لَا مُنْكَرًا لِرَبِّي وَ لَا مُسْتَوْحِشًا مِّنْ إِيْمَانِي ...))^(١)

" الدعاء هو ممارسة الحب في مخادع الروح التي يطيب فيها الانتظار. هو آلة موسيقية، ستسمع اللحن الذي يُمتعك حين تُجيد العزف عليها، وفي الحالتين تكسب، فأنت العازف والمستمع. إن فهمنا العميق لمعنى الدعاء هو اختبار لنقاء الحب فينا وصدق الانتظار، ذلك اننا حين نحب شيئا ما و نرغب به ونسعى للحصول عليه ، نحاول الاعتناء به ونُسخر كل الظروف لتحقيقه، و يصبح عطشنا له و ترقبنا و حرماننا منه محبباً لنا، وما نريدهُ بشدة ننتظره بصبر"^(٢)، فقول الإمام عليه السلام : (الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ...) ، " يحمد الإمام عليه السلام خالقه تعالى على نعمه التي لا تحصى ، و منها انه أصبح سليما معافى في بدنه و صحته، (و لا مأخوذاً بأسوأ أعماله) . حقر الإمام الدنيا و صغرها ، و قومها بعفطة عنز ، أو ورقة في فم جرادة ، و نعتها بالأفعى و بكل سوء و رذيلة ، و لذا قطع معها العلاقات و الصلات ، و مع هذا يتهم نفسه بسوء العمل ، و يحمد الله الذي لم يأخذه من مأمنه ، و ليس هذا مجرد تواضع ، و لا هو درس و تعليم للآخرين كما يقال كلا ، انه صدق في الايمان و رسوخ في اليقين ، و من بداهة الحقائق ان الخوف من الله يقاس بمعرفته و الفهم عنه و كذلك الرجاء"^(٣) .

نلاحظ في خطاب المبدع العظيم انتقالا من لفظ الجلالة (الله) في قوله (الحمد لله) ، إلى لفظ (ربي) ، و على الرغم من اتحاد اللفظين بالمعنى المعجمي إلا انهما يختلفان بالمعنى الثانوي حسب ما يفرضه السياق ؛ إذ حمد الله تعالى على نعمه ، ثم انتقل المبدع إلى قول (وَ لَا مُنْكَرًا لِرَبِّي) ، و كان المتوقع من القول ، و لا منكر الله ، و لكنه عدل إلى لفظ (ربي) للإشارة عن عدم الجحود بربوبية الله جلّ شأنه ، و فيه إشارة أيضا إلى أن لفظ

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٥ ، ص ٤٣٩

(٢) الدعاء اختبار الحب و الانتظار ، الموقع ، <https://blogs.aljazeera.net>

(٣) في ظلال نهج البلاغة ، ٤ / ٢١٤ - ٢١٥

(الرب) بأنه المربي جميع عباده و أخص بالذكر تربيته لأصفيائه بإصلاح أنفسهم و قلوبهم و جعلها عامرة بحبه و متشوقة إلى لقائه و متبعة لتعاليمه الحقّة (١) .

٥ - الضياء و النور

" الضاد و الواو و الهمزة أصل صحيح يدل على نور من ذلك ، و الضوء بمعنى و هو الضياء و النور ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ (البقرة: ١٧) ، قال أبو عبيد : أضاءت النار وأضاءت غيرها " (٢) ، " وجمعه أضواء و هو الضوء و الضياء " (٣) .

أما " النون و الواو و الراء اصل صحيح يدل على إضاءة و اضطراب و قلة ثبات منه النور و النار سميا بذلك من طريق الإضاءة ؛ لأن ذلك يكون مضطربا سريع الحركة ، و تتورت النار: تبصّرتها ، و منه النور: نور الشجر و نواره ، و أنارت الشجرة : أخرجت النور " (٤) .

على الرغم من اتحاد اللفظين (الإضاءة ، الإنارة) ، بالمعنى المركزي المعجمي إلا أننا نجد فروقا واضحة بينهما في الاستعمال الثانوي الذي يفرضه السياق ، و قد وردت كل من لفظة الضياء و النور في نصوص نهج البلاغة منها ، ما جاء من خطبة للإمام ﴿عليه السلام﴾ وهي من خطب الملاحم يقول فيها : ((اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَشَكَاتِ الضِّيَاءِ وَ ذَوَابَةِ الْعُلْيَاءِ وَ سُرَّةِ الْبَطْحَاءِ وَ مَصَابِيحِ الظُّلُمَةِ وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ)) (٥) .

و من خطبة له أيضا قال فيها : ((ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ وَ الْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ وَ الْمُنْهَاجِ الْبَادِي وَ الْكِتَابِ الْهَادِي أَسْرَتُهُ خَيْرُ أَسْرَةٍ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَ ثِمَارُهَا مُتَهَدِلَةٌ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَ هِجْرَتُهُ بِطَبِيبَةَ عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَ اِمْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ وَ مَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَ دَعْوَةٍ مُتَلَفِيَةٍ أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَ قَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَ بَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ وَ تَنْفَصِمَ

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ٤ / ٣٤

(٢) معجم مقاييس اللغة ، مادة (ضوأ) ، ص ٣٧٥ - ص ٣٧٦

(٣) لسان العرب ، (ضوأ) ، ١ / ١١٢

(٤) معجم مقاييس اللغة ، (نور) ، ٥ / ٣٦٨

(٥) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٥

عُرْوَتُهُ وَ تَعَظُمُ كِبَوْتُهُ وَ يَكُنْ مَابَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ وَ أَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَ أَسْتَرْشِدْهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ ((^(١))

ومن خطبة له ايضا قال فيها : ((وَ أُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَ بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَ ثَمَرٌ لَا يُنَالُ فَهُوَ إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى وَ بَصِيرَةٌ مَنِ اهْتَدَى سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَ زَيْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَ كَلَامُهُ الْفَصْلُ وَ حُكْمُهُ الْعَدْلُ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ هَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَ غِبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ))(^(٢)).

هنا الحب الغزلي بالنبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ و حب الله له ؛ إذ اختار الله لنبينا الأكرم ﴿ﷺ﴾ الأرحام المطهرة و الأصلاب الشامخة ، فهو حبيب الله و أفضل خلقه ، " فقد خصّه الله تعالى بأن أُلحِتْ له الغنائم على الرغم من تحريمها على من قبله، و جعلت له الأرض مسجداً و طهوراً، (جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً)(^(٣)) و جعلت صفوف المصلين من أمته كصفوف الملائكة، فوصف الإمام اختيار النبي ﴿ﷺ﴾ من شجرة الانبياء، و وجه الشبه كون ذلك الصنف ذا ثمر وفروع، وفروعه أشخاص الانبياء و ثمره العلوم و الكمالات النفسانية كما أن الشجرة ذات غصون و ثمر ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (إبراهيم: ٢٤) أما لفظ المشكاة لآل إبراهيم ، فوجه المشابهة أن هؤلاء قد ظهرت منهم الانبياء و سطع من بيتهم ضياء النبوة و نور الهداية كما يظهر نور المصباح من المشكاة " (^(٤)) ، ﴿ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ (النور: ٣٥).

نلاحظ في النصوص السابقة انتقالا في قول المبدع من لفظة (الضياء) الى لفظة (النور)، فعلى الرغم من اتحاد اللفظين بالمعنى المعجمي إلا أن السياق اللغوي أعطى دلالة هامشية تختلف كلياً أو جزئياً عن المعنى العام مما ولّد انزياحا معجميا اقتضاه السياق

(١) المصدر نفسه ، الخطبة ١٦١ ، ص ٢٨٦

(٢) المصدر نفسه ، الخطبة ٩٤ ، ص ١٧٣

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، ١١ / ٥٨٩

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٣٨ - ٣٩

ليصبح أكثر انسجاماً ، و لو أنعمنا النظر في السياقات التي ورد فيها كل من لفظ (الضياء ، النور) لوجدنا ذلك الاختلاف ، إذ إننا " نجد في القول الأول (اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ) صفة اختيار النبي الأكرم ﷺ وذلك بتحديد من أين اختاره وبالتأكيد فالانصراف سيذهب الى النسب ، و قد ذكر الإمام أن انتماء الرسول ﷺ و انتسابه إلى شجرة النبوة " ينتهي نسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، و نجد في القول الثاني صفة الابتعاث ، لكن ليس بسبب النسب وإنما أضفى عليها صفات (بِالنُّورِ الْمُضِيِّ وَ الْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ وَ الْمُنْهَاجِ الْبَادِي وَ الْكِتَابِ الْهَادِي) ، لكن نجد مناسبتهم من حيث الدلالة اللفظية (الضياء ، النور) في قوله ﷺ اختار الضياء ، و ابتعث النور ، فهنا توجد مناسبة الاختيار بين اللفظين، و دلالة الضياء هنا وفق ما ذكره شارحو النهج في قوله ﷺ (و مشكاة الضياء)، اتفقوا أن المقصود من مشكاة الضياء هو: آل ابراهيم فيما أنه اختاره من شجرة الأنبياء، فقد خصّ سبحانه وتعالى آل ابراهيم خاصة بالضياء و قد سطع ضياء هدايتهم للناس كما يسطع النور من المصباح ، و المشكاة :هي الكوة غير نافذة يُجعل فيها المصباح ، لذا فالرسول الأكرم ﷺ من ذلك الضياء المبتعث من شجرة النبوة ، و اختلفوا في تحديد المقصود بعثه ، أو ابتعثه (بالنور المضيء) فذهب ابن ابي الحديد في شرحه إلى أن المقصود بذلك هو بالدين ، أو بالقرآن ، و ذهب ابن ميثم و مجموعة من شارحي النهج بأن المقصود هو نور النبوة ، و لم يكنف السيد حبيب الله الخوئي بما ذهب إليه الآخرون ، بل ردّ على ابن ابي الحديد فقال: و تفسير الشارح المعتزلي له بالدين، أو بالقران وهم ؛ لأن المراد بالمنهاج الآتي ذلك و الكتاب أيضا يجيء ذكره ، و التأسيس أولى من التأكيد ، (و البرهان الجلي) ، أي بالمعجزات الباهرات و الأدلة الواضحات عل حقيقته ، لذا نجد أن آل ابراهيم كما دلّ السياق أنهم مشكاة الضياء لشجرة الأنبياء في نور هداية الناس ،بينما النور جاء مصاحباً للرسول ﷺ وهو نور النبوة الذي خُصّ به " (١) .

و أما في النص الثالث فقد جمع المبدع بين الضياء والنور في خطبته و المعنى لا يخرج عما ذكرناه في النصين السابقين حيث أشار ﷺ في قوله:(سراج لمع ضوؤه) و (شهاب سطع نوره) " الى نسب الرسول ﷺ المتصل بنبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام

(١) أثر السياق في توجيه المعنى لألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة ، ندى عبد الأمير هادي ، ص ١٦١ - ١٦٢

، كما أن الشهاب إذا سطع نوره اهتدى اليه الناس في إشارة الى كون النبي ﷺ باب هداية للبشرية جمعاء " (١).

٦ - الغيث و المطر

مطر: " المَطَرُ الماء المنسكب من السَّحَابِ والمَطَرُ ماءُ السحابِ والجمع أمطارٌ ، والمَطَرُ فعل المَطَرِ وأكثر ما يجيء في الشعر وهو فيه أحسن والمَطَرَةُ الواحدة ومَطَرَتُهُم السماء تَمَطَّرُهُمْ مَطَرًا وأمَطَرَتْهُمْ أصابَتْهُمْ بالمَطَرِ وهو أقْبَحُهما ومَطَرَتِ السماء وأمَطَرَهَا اللهُ وقد مُطِرْنَا وناس يقولون مَطَرَتِ السماء وأمَطَرْتُ بمعنى وأمَطَرَهُم اللهُ مَطَرًا أو عذابًا" (٢) اما غيث " الغَيْثُ المطر والكَلأ وقيل الأصلُ المطر ثم سُمِّي ما يَنْبُتُ به غَيْثًا و يقال غاثَهُم اللهُ وأصابَهُم غَيْثٌ غاث اللهُ البلادَ يَغِيثُهَا غَيْثًا إذا أنزل بها الغَيْث ... " (٣). نلاحظ ان كل من لفظ المطر و الغيث يتحدان في الدلالة المعجمية و هو الماء المنسكب من السماء (المطر) بيد أن السياقات اللغوية التي يرد فيها اللفظان تضيف عليهما دلالات هامشية تتزاح عن المعنى المركزي المعجمي للفظين ، ففي القرآن الكريم مثلا نجد أن لفظة المطر غالبا ما تأتي مقترنة بالعذاب ، قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٧٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الاعراف: ٨٤)، أما لفظة الغيث ،غالبا ما تأتي مقترنة بما يُشير الى الخير والرحمة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: ٣٤)، و قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى: ٢٨).

و قد ورد كل من لفظ المطر والغيث في خطاب نهج البلاغة و لا تختلف الدلالات الثانوية التي أضفتها في نصوص النهج عما هو موجود في القرآن الكريم ، فمن خطبة

(١) ينظر ، شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٢ / ١٣٢ ، شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٢ / ٤١٥

(٢) لسان العرب ، مادة (مطر) ، ٥ / ١٧٨

(٣) لسان العرب ، مادة (غيث) ، ٢ / ١٧٥

للإمام عليه السلام و هي من خطب الملاحم يقول فيها : (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمِيٍّ وَ آذَانٍ صُمٍّ وَ أَلْسِنَةٍ بُحْمٍ مُتَتَبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ ... فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا وَ الْمَطَرُ قَيْظًا وَ تَفِيضُ اللَّثَامِ فَيْضًا وَ تَغِيضُ الْكِرَامِ غَيْضًا وَ كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا وَ سَلَاطِينُهُ سِبَاعًا) ^(١) .

بين الرسول الأكرم عليه السلام المصداق الأجلى والأكمل للهداية و هو أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُزْهِقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَى عَنْهُ) ^(٢) ، و الرسول عليه السلام في مقام بيان حدود زمن و حال الهداية، وقد أطلق كلامه ولم يحدد في زمان أو حال، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام هو الهادي إلى الحق في كل الأحوال و الأزمان ، و هداية الناس إلى طريق الحق هي من موارد محبة الله تعالى ، فقول الإمام : (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ)، الطبيب الدَّوَّار هو القدير الذي يعرض العلاج على المرضى ، و أراد الإمام بالطبيب نفسه ، و انه يداوي الذين زاغت قلوبهم عن الحق و الصواب، (قد أحكم مراهمه) و هي حكمه و مواعظه الحسنة (و أحمى مواسمه) و هي تقريعه و تهديده بغضب الله و عذابه (يضع ذلك حيث الحاجة اليه ...)، يرشد من ضل عن الحق ، فيظهره جليا لمن عمي عنه، و يسمع صوته للأصم ، (متتبع بدوائه مواضع الغفلة ، و مواطن الحيرة) ينبه الغافلين ، و يهدي التائهين، ثم ينتقل الإمام عليه السلام للحديث عن تتاقل أصحابه و النتائج السلبية التي يترتب عليها هذا التتاقل فيقول : (فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا) لوالده الكادح من أجله، و الناصح له بصدق و حنان، و ليس من شك ان الجيل اللاحق يرى الأمور بغير العين التي ينظر بها الجيل السابق ، و من البداهة ان الاختلاف في الرؤية لا يستدعي بطبعه الغيظ و العقوق ، و لكن اذا فسدت الأوضاع و عمّت الفتن ضاقت المقاييس، و تمرد عليها من لا يرى في الوجود إلا نفسه (و المطر قيظا) المطر ينزل من السماء في أوانه، والفصول الأربعة لا تتغير ، فلا الشتاء يصير صيفا، و لا الصيف شتاء، جار الحاكم او عدل، فسدت الأوضاع ام صلحت، و عليه فالمراد بالمطر هنا و في بعض الروايات

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٨ ، ص ١٩٥

(٢) بحار الأنوار ، الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره) ٣٧٠ / ٢٠٨

الخير والخصب، و بالقيظ المحل و الجذب ، و المعنى ان قوى الشر اذا حكمت و سيطرت تحتكر خيرات الأرض، و تمنعها عن أهلها ، فيكون الخصب و الخير شرا عليهم ، و خيرا على الطغاة الغاصبين(و تفيض اللئام فيضا و تفيض الكرام غيضا) اذا كانت الثروة في قبضة الأشرار أغروا بها لئام الناس،(و كان أهل ذلك الزمان ذئابا) ، ذلك الزمان إشارة الى كل زمان تسود فيه الأنظمة الجائرة ، و يتولى مركز القيادة فيه غير الأكفاء "(١)

و من خطبة له ايضا في الاستسقاء يذكر فيها لفظ الغيث قال فيها : ((اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَكْنَانِ وَ بَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَ الْوِلْدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَ رَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَ نِعْمَتِكَ اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْفَانِطِينَ وَ لَا تَهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ وَ لَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأْنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةَ ...))(٢) .

لقد بيّنّا رسالة الحب في خطاب الدعاء فيما سبق من الصفحات(٣) و من يتأمل في نصوص الادعية الواردة على لسان الانبياء في القرآن الكريم، وفي المأثور من دعاء الرسول ﷺ و أهل بيته (عليهم السلام)، يستشعر أهمية الدعاء وقيمته الفكرية والروحية والنفسية التي تأخذ طريقها في حياة الإنسان ، لتتصب سلوكاً ومواقف إنسانية في محيط الفرد والجماعة البشرية ، و بالتأمل في المأثور عن أهل البيت (عليهم السلام)، بما بين أيدينا من أدعية و مناجاة ندرك أنّ هذه المدرسة الإسلامية اتخذت طابعاً خاصاً في الدعاء والمناجاة فصارت منهجاً للأخلاق والعقيدة والمفاهيم والسلوك"(٤)،فقول الإمام ﷺ : (اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَكْنَانِ وَ بَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ ...)، " ليس في هذا المقطع من الخطبة إلا الدعاء ، و الإلحاح على الله سبحانه في دفع البلاء ...و متى اشتد الفرع فالى الله المفزع، و هو وحده سلاح المتقين "(٥).

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٤٤٢ - ٤٤٤

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٣ ، ص ٢٥٠

(٣) خطاب الحب في نهج البلاغة ، ص ٤٩

(٤) الدعاء في الصحيفة السجادية (قراءة نفسية) ، أ . د . حيدر كريم سكر ، و أ . م . فرحان محمد حمزة ،

مقال منشور على الانترنت ، موقع : العتبة الحسينية المقدسة

<http://imamhussain.org/islamic/24040>

(٥) في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ١٩٣

نلاحظ في كلام المبدع انتقالا عن لفظ المطر في النص الأول (وَالْمَطَرُ قَيْظًا) الى لفظ الغيث في النص الثاني (اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ) ، و هذا العدول ولّد انزياحا عن المعنى المعجمي العام الى المعنى الثانوي الهامشي الذي فرضه السياق اللغوي، فقول المبدع (و المطر قَيْظًا): أي " جعل وقوع المطر قَيْظًا من علامات تلك الشرور و هو أيضا مما يعد شرا ؛ لأنه لا يثير نباتا و لا يقوم عليه زرع و يفسد الثمار القائمة و كأنه كنّى به عن انقلاب أحوال الخير شرورا " ^(١). و أما قوله ﴿الْعَلَّامُ﴾: (اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَ لَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ...) " أي السقيا و عدم الهلاك بالجذب ، و أن لا يؤاخذهم بأفعال السفهاء من المعاصي المبعّدة عن رحمته كما جاء في قوله تعالى حكاية عن موسى ﴿الْعَلَّامُ﴾: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (الاعراف: ١٥٥)، ثم عاد إلى تكرير شكوى الجذب بذكر أسبابها الحاملة عليها ليكون اقدم للعدر ، والمقاحط : أماكن القحط ، أو سني القحط ، و ظاهر كون الجوع و العري و سائر مسببات القحط فتنة : أي صارفة للقلوب عما يُراد بها ، ثم عاد الى طلب إجابة دعائه " ^(٢) .

و من هنا نلاحظ أن النصوص التي أوردناها و المتضمنة كل من لفظ (المطر) و (الغيث) لا تختلف عن المعاني المذكورة في الايات القرآنية ، فالمبدع ذكر لفظ (المطر) في الموارد التي يرد فيها ذكر العذاب او ما شاكلة (و المطر قَيْظًا) ، و ذكر لفظ (الغيث) في الموارد التي يرد فيها ذكر الخير و الرحمة (اللهم فاسقنا غَيْثَكَ)، لذا فالعدول الذي ذكر في النصوص جاء متواشجا مع المعاني المذكورة في النسق اللغوي مما ولّد انزياحا عن المعنى المركزي العام في كون الغيث بمعنى المطر الى معنى ثانوي أو هامشي فرضه السياق و هو ورود لفظ المطر في موارد العذاب و النقمة ، و لفظ الغيث في موارد الرحمة و تبدو الجزئيات المعجمية مولدا دلاليا خصبا يوحي بخطاب الحب في نهج المبدع العظيم ، فاستعماله لفظة (الغيث) يشير إلى تصريح بذاك الحب ، لأن الغيث رحمة و هو من الإغاثة و الخير، فالله تعالى عنده علم الساعة ، و هذا يعني قدرة مطلقة ينفرد بها سبحانه عن الوجود كله ، لكن صاحب هذه القدرة ينزل الغيث ، فهو المعطاء مع القدرة اللامحدودة

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٤٧

(٢) المصدر نفسه ، ٣ / ١٧٣

أي أنه العطاء المطلق و الخير المطلق ما يعكس حبا مطلقا ، و حين قال الإمام عليه السلام (اسقنا غيثك) فالسقاية إشباع الماء و الماء رمز الحياة ، و من يبيت الحياة في موجوداته يحبها ، ولذلك فلجوء الناس إلى الله عزوجل و طلبهم أن يسقيهم غيثا يشير إلى ثقتهم به و حبهم إياه ، و هذا الخطاب المشبع بالحب كللته لفظة ربنا بما تحمل من جمالية الانتماء الى الله عزوجل و الاعتراف بقدرته ووجوده ، و هذا يعمق خطاب الحب ، أما قوله (المطر قيضا) فالميم مع الطاء مع الراء تفيد سلبية النتيجة المرافقة العقاب و السوء ، لكنه مطر يصيب المجرمين ممثلا جانبا عميقا من جوانب الحب متمثلا في العدالة الإلهية.

و قد يرد لفظ المطر و ليس المقصود منه العذاب و هو قليل كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِّنْ مَّطَرٍ﴾ (النساء: ١٠٢)، فالمراد بالمطر هنا هو الغيث وليس العذاب قطعا ، والأذى هنا بمعنى بلل الثوب والجسم وغير ذلك ^(١)، وهذا المعنى نجده ايضا في نصوص خطاب الحب نهج البلاغة، فمن خطبة للإمام عليه السلام في تهذيب الفقراء و تأديب الأغنياء جاء فيها: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ ...)) ^(٢) ، فالمراد بالمطر هنا هو الغيث قطعا ولا يوجد في كلامه عليه السلام ما يشير الى معنى العذاب، وهذا يعني أن الاستعمال للفظ المطر بمعنى العذاب هو استعمال غالب لا مطرد بدليل ما أوردها من القرآن و نصوص النهج .

المبحث الثالث: الانزياح التركيبي

(١) ينظر: المطر والغيث في القرآن والحديث دراسة بلاغية اسلوبية ، د . خليل محمد ايوب ، ص ٩

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣، ص ٥٣

إنّ العناصر اللسانية في الخطاب المنطوق او المكتوب تخضع بشكل الزامي لسلطة الطبيعة الخطية فهي ترتبط مع بعضها بعضا بعلاقات ركنية تقتضيها طبيعة اللسان ... ويرتد ذلك في جوهره الى مجموعة السنن او القوانين التي تعتمد في الاجراء التأليفي بين العناصر المتعاقبة التي تكوّن المتوالية التلفظية وهو ما يطلق عليه بالتركيب^(١)، ف " العلاقات الوثيقة التي بين الأسلوب و النحو موضوع بارز في الدرس اللساني منذ زمن طويل ، و خاصة حين يصل فيها إلى درجة يعتقد فيها أن الأسلوب لا يمكن أن يعرّف بوضوح ما لم يرجع الباحث إلى النحو " ^(٢)

إن الانزياح التركيبي "لا يكسر قوانين اللغة المعيارية لبيحث عن قوانين بديلة ولكنه يخرق القانون باعتناؤه بما يُعد استثناءً او نادرا فيه" ^(٣) . " و لا تعد جميع الظواهر اللغوية في النص الخارجة عن النظام اللغوي ذات اهمية اسلوبية وقيمة فعلية" ^(٤) الا اذا احدثت قيما جمالية وكسرا للتوقع لدى المتلقي مما يجعل ابعادها الدلالية ذات قيمة فنية عالية المستوى . و سيعمد الباحث إلى الوقوف على أهم مظاهر الانزياح التركيبي التي انمازت بها نصوص الحب لسيد البلغاء امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام التي هي محور بحثنا ملقيا الضوء على ثلاثة من مظاهر هذا النوع من الانزياح باعتباره بؤرة مباحث الاسلوب الدائرة حول التراكيب التي هي :

أولاً:- الالتفات

ثانياً:- التقديم والتأخير

ثالثاً:- الحذف

فالالتفات حقل خصب يبرز انزياح الدلالة بتغير المستوى النسقي المتمثل بتغير نوع الضمير و كل تغير في نسق ظاهر يرافقه تغير في المعنى ، لكن ما يميز الالتفات أن تغير نوع الضمير يجعل المتلقي أمام انزياح عميق يتمثل في تقديم حالة دلالية بليغة التعبير عن

(١) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية ، احمد حساني ، ص ٩

(٢) نحو نظرية أسلوبية لسانية ، فيلي ساندريس ، ترجمة : الدكتور خالد محمود جمعة ، ص ١٠٩

(٣) فضاءات الشعرية دراسة في ديوان امل دنقل ، سامح الرواشدة ، ص ٥٣

(٤) علم الاسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، ص ٢١٣

أمرين هما الجانب النفسي الذي يوحيه هذا الانزياح ، و الجانب الموضوعي المرافق المعنى السطحي، أما الحذف ... فهو جانب مهم من جوانب الانزياح ؛ لأنه يحوّل الانتباه إلى ما تمّ حذفه فيثير كوامن دلالية مختلفة عن تلك التي يبديها السياق الظاهر بمفرداته الأخرى ما يقدم عدة معان قابلة للتأويل وفقا لانزياحات البنية الدلالية ، و فيما يخص التقديم و التأخير ، فإن تغير العلاقة الاسنادية يقدم انزياحا في المعنى العام و يحوله إلى معنى خاص متمثل في إبراز أهمية المقدّم و التشويق إلى ما تأخر .

أولا :- الالتفات

أجمع اصحاب المعجمات على أن الالتفات لغة : هو صرف الشيء عن جهته الى أخرى. جاء في السان " لفت وجهه عن القوم : صرفه، و التفت التفاتا ، و التفت أكثر منه . و تلتفت إلى الشيء و التفت إليه ... و قوله تعالى : ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك، امر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب ... و التفت : اللي . وهو ان ترمي به الى جانبك . و لفته يلفته لفتا: لواه عن الشيء يلفته لفتا: صرفه " (١).

أما اصطلاحا: " هو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الاخبار وعن الاخبار إلى مخاطبة وما يشبه ذلك ، و من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه الى معنى اخر " (٢) . و سأعرض في هذا اللون من الانزياح الى مايلي :

١- الالتفات في الضمائر

٢- الالتفات في الاسماء

٣- الالتفات في الافعال

(١) لسان العرب ، مادة (لفت) ، وينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي ، مادة (لفت)

(٢) فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي حسون ، ص ١٣١

١ - الالتفات في الضمائر

و يقصد بالانزياح في الضمائر الانتقال من ضمير اصلي الى ضمير اخر يغايره في الحضور، او الغيبة ، او التكلم ، ويشترك واياه في العودة الى مفسر واحد ^(١) . وعند رصد الانزياح في الضمائر ، يتبين انه يستعمل على ست صور ، وهذا يقتضي منا ان نقف مع كل صورة من صوره وقفة متأنية لنبرز ما وراء شواهدا من دقائق واسرار ^(٢) وهذه الصور هي :

أ - الالتفات من الغيبة الى التكلم :

ظهر الانزياح عن الغيبة الى التكلم في نماذج عدة من خطاب الحب في نهج البلاغة ، او إشاراته، منها ما ورد في كتاب ارسله الى معاوية، جاء فيه: ((فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ مُتَسَرِّبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَ قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَذْرِيَّةً وَ سُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ قَدْ عَرَفَتْ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)) ^(٣).

هذا النص هو جزء مستل من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام جواباً على رسالة من معاوية جاء فيها : ((اما بعد ، فان الله تعالى جدّه اصطفى محمداً (عليه السلام) لرسالته ، واختصه بوحيه ، وتأدية شريعته ، فأنفذ به من العماية ... فدع اللجاج جانباً ، وادفع الينا قتلة عثمان ، وأعد الامر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو الله رضا . فلا بيعة لك في أعناقنا ، ولا طاعة لك علينا ، ولا عتبي لك عندنا ، وليس لك ولأصحابك عندي الا السيف ...)) ^(٤).

أولى الإسلام الجهاد عناية خاصة، و أشارت الكثير من النصوص الشرعية إلى فضله وأهميته ، فهو عماد الدين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (الجهاد عماد الدين و

(١) ينظر :الالتفات في القرآن الكريم ، الشاذلي الهيشيري ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ، جامعة تونس ، العدد

٣٢ ، ١٩٩١ ، ص ١٦٩ ، ينظر : اسلوبية الانزياح في النص القراني ، ص ١٠٣

(٢) اسلوبية الانزياح في النص القراني ، ص ١٠٣

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٢٨ ، ص ٤٨٧

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ١٥ / ١٢٧

منهاج السعداء^(١)، و لما كان الجهاد في سبيل الله بهذه الأهمية و المكانة عند الله ، استحق أن يحبه المؤمنون ، و استحق المجاهد في سبيل الله أن يحظى بحب الله حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤)، و لم يغيب هذا المعنى في الشعر العربي فقد وصف الشعراء العرب المجاهدين في سبيل الله بأوصاف عدة ، قال عمر بن سعد الزهري في مدح أنصار الحسين لما أنكر عليه أحد أصحابه قتاله إلى جانب جيش عمر بن سعد فاعتذر بشجاعة و شهد باستقامة أنصار سيد الشهداء قائلاً :

قوم إذا نودوا لدفع ملّة و القوم بين مدّس و مكرّس

لبسوا القلوب على الدروع و أقبلوا يتهافون على ذهاب الأنفس^(٢) (الكامل)

و كذا يمثل هذا الخطاب تعبيراً عن شوق المبدع ، واهل بيته ، واصحابه الى الجهاد في سبيل الله تعالى ؛لأنه - الجهاد - ((بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَ شَمَلَهُ الْبَلَاءُ وَ دُيْتُ بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاعَةِ وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَ أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سِيَمِ الْخُسْفِ وَ مَنَعَ النَّصْفِ))^(٣) ، وهذا المعنى جاء متواشجا مع قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة: آية ٢٠)، و يذكر الإمام (عليه السلام) في خطابه المهاجرين الأنصار (فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ...) بأوصاف " تزلزل أركان العدو من شدة الزحام و سطوح القتام ، و سريال الموت كناية إما عن الدرع ، و إما عن ملابسهم من الثياب أو الهيئات و الأحوال التي وطّنا أنفسهم على القتل فيها كالأكفان لهم ، و إنما كان أحب اللقاء إليهم لقاء الله تعالى لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحق وثقتهم بالوعد الإلهي الصادق ، و الذرية البدرية التي صحبتهم إشارة

(١) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ١ / ٤٤٤

(٢) ناسخ التواريخ حياة الإمام سيد الشهداء الحسين ، ميرزا سيد محمد تقى سبهر ، تحقيق : سيد علي جمال

أشرف ، ٢ / ٢١٤

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٧ ، ص ٦٠

إلى أولاد من كان من المسلمين مع النبي ﷺ يوم بدر^(١) .

نلاحظ في النص المسئل من رسالة الامام امير المؤمنين ﷺ عدولا عن ضمير الغيبة (فسيطلبك ، يقرب) الى ضمير التكلم (و أنا مرقل نحوك) ، فالالتفات الضميري هنا احدث انزياحا عن المتوقع في كسر السياق اللغوي المألوف ، مشحونا بطاقات ايحائية تحمل دلالات التنبيه ، والوعيد ، و إلقاء الرهبة في قلب المخاطب^(٢) .

وقد ورد هذا النوع من الالتفات للعناية ايضا ، ومنها قول امير المؤمنين ﷺ في كتاب له : ((فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ وَ حُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَ أَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ وَ إِنَّ لِبَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ وَ إِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ قُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ تَكْرِيمًا لِحُرْمَتِهِ وَ تَشْرِيفًا لِمُؤَصَّلَتِهِ))^(٣) .

إن للإمامين السبطين مكانة عظيمة في نفوس المسلمين جميعا فهما ريحانتا رسول الله ﷺ ، (الحسن و الحسين ريحانتي من الدنيا)^(٤) ، فالإمام ﷺ في قوله : (فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ وَ حُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ... تَشْرِيفًا لِمُؤَصَّلَتِهِ) يتحدث عن الامامة من بعده ، وفي هذا رمز و ازراء بمن صرف الامر عن اهل بيت رسول الله ﷺ مع وجود من يصلح للأمر، أي كان الاليق بالمسلمين و الاولى ان يجعلوا الرياسة بعده لأهله قرية الى رسول الله ، وتكريما لحرمة ، وذكر الامام ﷺ انما خصصتهما ، أي الحسن والحسين ، (عليهما السلام) انما كان ذلك لشرفهما من رسول الله ﷺ ، فتقربت الى رسول الله بان جعلت الرياسة لسبطيه ، حيث ان هيبة الرسالة والنبوة في صدور الناس أعظم اذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة ، وليس يوجد مثل هذه الهيبة

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٤ / ٣٩٣ - ٣٩٤

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، ٤ / ٣٩٣

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٢٤ ، ص ٤٨٠

(٤) بحار الأنوار ، ٣٧ / ٧٣

والجلال في نفوس الناس للنبوة اذا كان السلطان الاعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة (١).

نلاحظ في هذا النسق اللغوي عدولا عن ضمير الغيبة في قوله : (من صدقة علي) ، الى ضمير التكلم ، (واني انما جعلت) فالمبدع اشار الى اسمه في بادئ الامر ، ثم استعمل ضمير التكلم ، (واني انما جعلت) ، وذلك لبيان اهمية الامر ، والعناية به ، معللا ذلك بأن الغاية منه هو ابتغاء وجه الله و حبا و تكريما لرسول الله ﷺ و هما - الحسن و الحسين - ابنا فاطمة فلذة كبد الرسول الأكرم ﷺ ، و لهما منزلة خاصة في قلب النبي فهو يحبهما و حبيب النبي هو حبيب الله تبارك و تعالى ، لا سيما أن هذا الالتفات ورد في سياق الحصر بـ (إنما) لتأكيد تلك العناية والاهمية (٢) .

ب - الالتفات من التكلم الى الغيبة

و مثاله ما جاء في قول سيد البلغاء ﷺ : ((فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرِّصَ عَلَى الْمُلْكِ وَ إِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَ اللَّتِي وَ اللَّهُ لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ بَلْ ائْتَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونٍ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ)) (٣)

إن الانتقال الى صيغة الغائب حين ذكر المبدع العظيم اسمه (و الله لأبن أبي طالب) ، إنما يبين حقيقة انه لا يخشى الموت الذي يخشاه الآخرون ، فاستعمله تلك الصيغة و اظهاره اسمه ، جاء للعناية بشيء مهم ، ألا وهو ذكر الموت ، حيث اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار ، أنه (أنس بالموت من الطفل بثدي امه) ، وذلك امر بين من حاله ﷺ ؛ اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله ﷺ ، ورئيس الاولياء ، وقد عرفت ان محبة الموت ، والانس به متمكن من نفوس أولياء الله ، وكونه وسيلة لهم الى لقاء أعظم محبوب ، والوصول الى اكمل مطلوب ، و إنما كان أنس به من الطفل بثدي امه ، لان محبة الطفل للثدي وأنسه به ، وميله اليه طبيعي حيواني في معرض الزوال ، وميله الى لقاء ربه ،

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ١٥ / ١٠٢

(٢) ينظر : العدول في نهج البلاغة ، ضياء فاخر جبر ، ص ١٦١

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٥ ، ص ٣٥

والوسيلة اليه ، ميل عقلي باقي ، فاين احدهما من الاخر ، وقوله ﴿الْعَلِيَّةُ﴾ : (بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة) ، إشارة الى سبب جملي لتوقفه عن الطلب والقيام ، غير ما نسبوه اليه من الجزع ، والخوف من الموت ، وهو العلم الذي انطوى عليه ، فان علمه بعواقب الامور ، و إدبارها ، و تطلعه الى نتائج الحركات بعين بصيرته ، و التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المرآة العالية ، فارتسمت فيها كما هي ، مما يوجب توقفه عما يعلم أن فيه فسادا ، و تسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظام الامور بقصر الرأي لا عن بصيرة قادته الى ذلك^(١)

نلاحظ في هذا الخطاب انزياحا عن ضمير التكلم (فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَ إِنْ أَسْكُتُ) : أي (أقل أنا) و (أسكت أنا) الى ضمير الغائب (لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ) : أي (هو) ، والمتوقع في السياق ان يقول : (والله لأنا آنس بالموت) ، كما نلاحظ أن المبدع ترك مفعول القول في (ان اقل) الذي ينسب اليه ، ولكنه ذكر مفعول مقولهم (حرص على الملك) ، و (جزع من الموت) ، ثم يعود الى التكلم (بل اندمجت ، بحث) ، ثم يعود الى المخاطب (لاضطربتم) ، فكل هذه التحولات في الضمائر ، قد اسهمت بشكل او بآخر في بيان فصاحة الامام ، وبلاغته العالية ، وتعاييره اللغوية الدقيقة ، والجلية في ايصال المعنى المقصود للمتلقي^(٢) ، وهو حبه وشوقه إلى لقاء الله تبارك وتعالى .

ج- الالتفات من الخطاب الى الغيبة :-

يعد الانتقال من صيغة الخطاب الى صيغة الغيبة من الاساليب التي زخرت بها نصوص خطاب الحب في نهج البلاغة ، ومنها ما جاء من خطبة للإمام ﴿الْعَلِيَّةُ﴾ قال فيها : ((فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُفْتَقِصُ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَ لَمْ يُعْرِهَا طَرَفًا أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا غَرَضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ١ / ٣٤٢

(٢) ينظر : العدول في نهج البلاغة ، ص ١٧٢

فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَ حَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولَهُ وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ وَ مُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ...))^(١) .

" مهما يكن لدى المرء من قدرات و مواهب و أساليب يستثمرها لتربية ذاته و تركيتها ، فإنه لا يستغني عن وجود قدوة من بني جنسه تكون له نبراسا في سيره إلى ربّه ، فعليه أن يحرص على اختيار شخص استجمع قدرا كبيرا من الفضل و التقوى يكون قدوة له في أمور الخير و الهدى و يرجع إليه في السراء و الضراء مستفيدا من رأيه و مشورته فيما يلزم به من أحداث و مواقف، فالقدوة لها تأثير كبير في تكوين شخصية الفرد و صقلها حيث إن الإنسان ميّال بطبعه إلى التقليد و المحاكاة ، و في التربية الإسلامية يتحول هذا التقليد و يرتقي إلى مفهوم (الاتباع)، و أرقى هذا الإتياع ما كان على بصيرة " ^(٢)، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، (يوسف، آية ١٠٨) لذا فالإمام عليه السلام يشير إلى هذه القدوة و هو النبي الأكرم ﷺ و يدعو للنّاسي بها (فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ): أي إن أحب العباد الى الله ، المقندي بنبيه ؛ لان من اقتدى به ، و سار على اثره ، و خطى خطاه ، كان من عباد الله الصالحين الذين يسيرون حثيثا نحو الكمال ، و نحو العزة ، و العلو ^(٣) ، و هذا المعنى جاء متواشج مع قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الاحزاب: آية ٢١)، " والاسوة : القدوة وهي الاقتداء ، والاتباع ، و قوله: (في رسول الله) ، أي في مورد رسول الله و الاسوة التي في موردته هي تأسيهم به ، و اتباعهم له " ^(٤) ، و قوله (قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَ لَمْ يُعْرِضْهَا طَرْفًا أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا وَ أَخْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠

(٢) الأسوة الحسنة و دورها في التربية الناجحة ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع طريق الإسلام ،

<https://ar.islamway.net/article/45193>

(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة ، عباس علي الموسوي ، ٣ / ٤٣

(٤) الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، ١٦ / ١٥٢

عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ): أي " ما أصاب منها إلا قدر الحاجة ، و حَقَّرَ الدنيا و زهد فيها تواضعا لله تبارك و تعالى ، و هذا التواضع نابع من ذات النبي و شخصيته بلا تصادم ميول و زواجر و تغلب العقل على المشاعر ، (وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَغَفَّيْمُنَا ...) : أي كيف تدعي الإيمان بالله و رسوله ، و أنت تكره ما يحبان ، و تحب ما يكرهان ؟ أ ليس هذا صدودا و عنادا لله و رسوله ؟ " (١)

نلاحظ في هذا النص انزياحا عن صيغة الخطاب في قول المبدع : (فتأس بنبيك الاطيب الاظهر) ، الى صيغة الغيبة في قوله : (فان فيه اسوة لمن تأسى) ، وكان مقتضى السياق اللغوي ان يقول: (فإِنْ فِي نَبِيكَ اسْوَةٌ) ، لكنه كسر المتوقع في السياق اللغوي و عدل عن صيغة الخطاب الى صيغة الغيبة، " ودلالة الانزياح عن الخطاب الى الغيبة كغيره من صور الانزياح الاخرى تختلف باختلاف سياقه، و مقامه، بل ان الموضع الواحد قد تنتوع أغراضه، وتتعدد مقاصده باختلاف نظر المتلقين " (٢)، و دلالة السياق اللغوي تدل على التشريف، و التكريم، فقوله: (فتأس بنبيك الاطيب الاظهر): أي ان هذا التأسي هو تكريم للمخاطب، و تشريف له، و فيه اخبار له ، و لغيره ان دخول الجنة ، و النجاة من حبائل الدنيا هو بتأسيه بنبيه ، ثم انزاح الى صيغة الغيبة ، مخبرا عن عظيم جزائه ، و ثوابه ، فقال : (فان فيه اسوة لمن تأسى) ، و محور الانتقال بين الخطاب إلى ضمير الغياب هو النبي الأكرم و كيفية التأسي به ، فالمبدع يعلمنا الحب العملي و يشير إلى مصاديقه في الواقع و يعطي أدلة و ضوابط تبين هذا الحب النظري واقع هو أم لا.

د - الالتفات من الغيبة الى الخطاب :

من الالتفات عن صيغة الخطاب الى صيغة الغيبة ما ورد من خطبة لأمر المؤمنين ﴿الَّذِينَ﴾ ، يبين فيها قدرة الله ، و انفراده بالعظمة جاء فيها : ((كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٣٧٦ - ٣٧٧

(٢) اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، ص ١١٢

مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَ مَنْ سَكَتَ عِلِمَ سِرَّهُ وَ مَنْ عَاشَ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ وَ مَنْ مَاتَ فإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحْشَةٍ وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ... نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَ مَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَ عَدُوْنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ))^(١).

إن أهل البيت (عليهم السلام) هم أبناء الرسول الأكرم ﴿ﷺ﴾ دمهم من دمه و لحمهم من لحمه ، و ينطبق عليهم وصف التربية النبوية الشريفة بمعناها الحقيقي ، و لا ريب أن تلك التربية كانت تهدف إلى جعلهم أئمة الخلق، حيث انهم الامتداد الطبيعي للبيت النبوي ، و انعكست عليهم شخصية مربيهم و هو النبي ﴿ﷺ﴾ لا يشاركهم أحد في هذا الامتياز، و قد نزلت الآيات الكريمة تبين فضلهم و علو منزلتهم ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الاحزاب: آية ٣٣) بيوتهم أفضل البيوت و أشرفها، وهم أهل العلم و التقوى و المنجى و المعتصم . (البسيط)

مِنْ مَعَشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَبُغْضُهُمْ	كَفَرٌ وَقُرْبُهُمْ مُنْجَى وَمُعْتَصَمٌ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ	فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ	أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ ^(٢)

فقول الإمام ﴿ﷺ﴾: (نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَ مَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَ عَدُوْنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ) :أي (نحن شجرة النبوة) و " دليلنا سمت الهدى ، و لباس التقوى (و محط الرسالة) بسيد المرسلين ، و خاتم النبيين (و مختلف الملائكة) محل نزولهم بالوحي (ومعادن العلم) عن النبي عن جبريل عن الله (و ينابيع الحكم) و هذا نهج البلاغة قطرة من تلك الينابيع (ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمة) من الله تعالى بشهادة النبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ : (يا علي لا يبغضك مؤمن و لا يحبك منافق) فكيف إذا أحبك و ناصرك ؟ ،(و عدونا و مبغضنا ينتظر السطوة) من الله تعالى بشهادة النبي (و لا يحبك منافق) فكيف إذا عاداك و أبغضك ؟ " ^(٣)

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٩ ، ص ١٩٨

(٢) ديوان الفرزدق ، شرح الاستاذ علي فاعور ، ص ٥١٣

(٣) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٤٧١ - ٤٧٢

نلاحظ في هذا الخطاب عدولا في قول المبدع : (له ، به ، نطقه ، سره ، عليه ، اليه) ؛ اذ كان الكلام بأسلوب الغائب ، ثم انتقل الى اسلوب صيغة الخطاب في قوله : (لم ترك العيون فتخبر عنك) ، و هذا الالتفات يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه ، و وجهه حسن الالتفات ؛ إذ الكلام نقل من اسلوب الى اسلوب احسن تطرئة لنشاط السامع ، و اكثر ايقاظا للإصغاء اليه^(١) .

نلاحظ في كلام المبدع ان النسق اللغوي يحتوي على الفاظ الشمول ، و الاستغراق باستعمال (كل) ، (كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ) ، و اسلوب النفي الذي استغرق عدد من جمل النص ، (لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ) ، (لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ) ، (وَ لَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ) فهو ورد في مواضع عدة، ونفي الشيء يعني اثبات ضده^(٢) .

" و غرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة ، و نحوهم ، و اخبارهم عنه بالصفات التي من شأنها ان يخبر عنها الراؤون عن مشاهدة حسية ، مع اعترافهم بأن اخبارهم ذلك من غير رؤية ، و لما كان الاخبار عن المحسوسات ، وما من شأنه ان يحس ، انما يصدق اذا استند الى الحس ، لا جرم سلبه لرؤية العيون له سلب الاخبار عنه من جهتها ، و كذب الاخبار عنه بما لا يعلم الا من وجهتها ، و يخبر و ان كان في صورة الاثبات ، الا انه منفي لنفي لازمه ، و هي رؤية العيون له ؛ اذ كان الاخبار من جهتها يستلزم رؤيتها ، و نصبه بإضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي ، و الكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك ، لكانت قد رأتك ، لكنها لم ترك ، فلم تصح ان تخبر عنك " ^(٣).

هـ - الالتفات من الخطاب الى التكلم

ورد هذا النوع من الالتفات في رسالة بعثها امير المؤمنين عليه السلام الى عامله على البصرة جاء فيها : ((أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَفْتَدِي بِهِ وَيَسْتَنْصِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ،

(١) ينظر : العدول في نهج البلاغة ، ص ١٦٦

(٢) ينظر : العدول في نهج البلاغة ، ص ١٦٧

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٥٣

وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ^(١).

" إن إصلاح العباد و البلاد هو الهدف الاساسي الذي يقوم عليه نهج أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد عالجت خطبه ورسائله، وأقواله شؤون المجتمع الاجتماعية والاقتصادية، و العلمية، و السياسية، و البيئية، و الحفاظ على أمن الناس ، و تأمين العيش الكريم لهم ، و رسمت المعالم الأساسية لأول ميثاق لحقوق الانسان ، و كان عليه السلام ، في سلوكه اليومي و ممارسته العملية منسجماً تمام الانسجام، مع أقواله ليس فقط مع محبيه، بل حتي مع مبغضيه ؛ لأنه كان يؤمن أن الناس كلهم أخوة سوداً كانوا أم بيضاً، مسلمين، أو معاهدين " ^(٢) ، و من هذا المنطلق السامي جاء خطابه لابن حنيف عامله على البصرة فقله عليه السلام : (أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ) : " أي الاقتداء بالإمام في العمل و السيرة ، و الاستضاءة من نور علمه و الأخذ بدستوره في كل الامور ، و الاقتداء بالإمام عملاً و أخذ دستور العمل منه ، كلاهما سلوك طريق النجاة و لكن الثاني أعم، فإنه يشمل الغائب عن محضر الإمام و يشمل التكاليف الخاصة بالمأموم دون الإمام " ^(٣) ، (أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ) : أي ان لك اماما يجب ان تقتدي به، و تستضيء بنور علمه، حله في دنياه اكتفاه من ملبوسها بما يستر بدنه من طمره ، و هو الثوب البالي، و انما جعلهما اثنتين لانهما ازار و رداء لابد منهما ، ولا مكترث فيما طعمه بلذة ، و طيب ، فان قرصيه كانا من شعير غير منخول ، احدهما في الغداء ، و الاخر بالعشي ، ثم قال: إنكم لا تقدروا على ما اقدر عليه ، و لكني أسألكم ان تعينوني على ذلك بالورع ، و الاجتهاد ، و العفة ، و السداد ^(٤).

نلاحظ في كلام الامام عليه السلام عدولا بالانتقال من صيغة الخطاب (إمامكم قد اكتفى) ، الى صيغة التكلم (فأعينوني)، فهذا الالتفات من صيغة الى اخرى ، غرضه تشويق

(١) نهج البلاغة ، كتاب ٤٥ ، ص ٥٢٩

(٢) العدالة الاجتماعية في نهج الامام علي (عليه السلام) ، محمد أمين أبو جوهر ، مقال منشور على الانترنت <https://hawzah.net/ar/Article/View/90927> ،

(٣) منهاج البراعة ، ٢٠ / ٨٦

(٤) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ١٠٣ - ١٠٤

المتلقي، و شد انتباهه ، و جعله في حالة انسجام دائم مع المتكلم ، و هذا التنوع في اساليب البلاغة، و فنونها لا يُمكنُ منه الا من كان تلميذا و لرسوله مصاحبا نجيبا على درجة عالية من البلاغة، و الفصاحة مثل امير المؤمنين عليه السلام ^(١).

و - الالتفات من التكلم الى الخطاب :-

ورد هذا اللون من الالتفات في نهج البلاغة في كتاب له عليه السلام الى ابن حنيف عامله على البصرة جاء فيه : ((وَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوفٌ وَ غَنِيَّهُمْ مَدْعُوٌّ فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمُقْضَمِ فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَ مَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ أَلَا وَ إِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَفْتَدِي بِهِ وَ يَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَ إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ وَ مِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ (...)) ^(٢)

لقد مرّ توضيح معالم الحب في هذا الكتاب الموجه لابن حنيف في موضوع الالتفات من الخطاب إلى التكلم ^(٣) ، الذي يشير إلى الاقتداء بالإمام في العمل و السيرة ، و الاستضاءة من نور علمه و الأخذ بدستوره في كلّ الامور ، و الاقتداء بالإمام عملا و أخذ دستور العمل منه ، كلاهما سلوك طريق النجاة الذي يوصل العبد إلى حب الله و حب نبيه الأكرم عليه السلام ، لأن الإمام عليه السلام هو الامتداد الطبيعي لرسالة السماء.

نلاحظ في هذا النسق اللغوي عدولا عن صيغة التكلم في قول الإمام عليه السلام : (و ما ظننت)، إلى صيغة الخطاب في قوله عليه السلام : (إمامكم) وكان المتوقع في السياق أن يقول: (إنني اكتفيت من دنياي) ؛ إذ ان الامام عليه السلام ، أراد توبيخ عامله و تقريره لاستجابته حضور تلك المأدبة التي دُعي إليها ، و حثّه على الاقتداء بسلوك إمامه ويقصد نفسه عليه السلام لأن الاقتداء به هو اقتداء بالنبي عليه السلام و هذا يمثل أجمل معالم الحب وهو المحافظة على مشاعر الرعية من فقراء المسلمين الذين لا يملكون قوت يومهم .

(١) ينظر : العدول في نهج البلاغة ، ص ١٧٦

(٢) نهج البلاغة ، كتاب ٤٥ ، ص ٥٢٩

(٣) خطاب الحب في نهج البلاغة ، ص ٧٠

٢- الالتفات في الاسماء

ورد هذا العدول في نهج البلاغة من كتاب لامير المؤمنين عليه السلام الى عامله على البصرة ، عثمان بن حنيف ، جاء فيه : ((وَأَنَا بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوْتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَ مُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا وَ الرِّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا وَ النَّابِتَاتِ الْعُذْيَةَ أَقْوَى وَقُودًا وَ أَبْطَأُ خُمُودًا. وَ أَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضُّوْءِ مِنَ الضُّوْءِ وَ الذَّرَاعِ مِنَ الْعَصْدِ وَ اللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا وَلَّيْتُ عَنْهَا وَ لَوْ أَمَكَّنَتِ الْفُرُصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا وَ سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَ الْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ))^(١).

اجتمع للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من صفات الكمال ومحمود الشمائل والخلال وسناء الحسب وعظيم الشرف مع الفطرة النقية المحبة للخير والصلاح والنفس المرضية العاشقة لله تبارك و تعالى مالم يتهيأ لغيره من افاذا الرجال. تحدر من أكرم المناسب و انتمى إلى أطيب الاعراق فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش وجدّه عبد المطلب أمير مكة وسيّد البطحاء، ثم هو قبل ذلك من هامات بني هاشم وأعيانهم ، واختص بقرباته القريبة من الرسول ﷺ فكان ابن عمّه وزوج ابنته وأحب عترته اليه وأقرب الناس إلى فصاحته وبلاغته واحفظهم لقوله و جوامع كلمه. أسلم على يديه قبل ان تمس قلبه عقيدة سابقة و أن يخالط عقله شوب من شرك، و لازمه فتى يافعا في غدوّه و رواجه و سلمه و حربه حتى تخلّق بأخلاقه واتسم بصفاته، و فقه عنه الدين و تفقه ما نزل به الروح الامين، فكان من افقه اصحابه و اقضاهم و احفظهم و ادعاهم و أدقهم في الفتيا وأقربهم الى الصواب و أصليهم في الصعاب .

نلاحظ في هذا النص إن المبدع قد عدل عن الاسم في قوله : (اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب) ، الى الضمير في قوله : (وانا من رسول الله ...) ، حيث دفع المبدع ما

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٤٥ ، ص ٥٢٩

يمكن ان يخطر في الازهان ، و هو أن من كان هذا طعامه ، فانه يضعف بدنه ، و يرق عوده ، و هذا يؤدي الى قعوده عن مقابلة الابطال ، و قتال الشجعان ممن على شاكلته ، و من المعروف ، ان الابطال يقصدون التغذية المفيدة التي تنفع بتقوية البدن ، فكيف يكون الامام في قوته عكس ذلك ، و هنا يجيب ، ان الشجرة البرية تكون اصلب عودا ، و اقوى على تحمل عوامل الزمن القاسية ، و انا كذلك كهذه الشجرة ، وكذلك شبه نفسه من رسول الله ﷺ كالضوء من الضوء ، (وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضَّوِّ مِنَ الضَّوِّ وَ الذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ) فرسول الله هو الضوء الاول، و علي هو من ذلك الضوء ، و النبي يحمل اقوى عقيدة في نفسه ، و انا احمل كما يحمل ، منه اخذت ، و عن يديه تلقيت ، فأنا مثله في تحمل الصعاب وملاقة الابطال ، و الشجعان ، ثم شبه قربه ، و التحامه برسول الله ﷺ بالذراع ، و العضد ، فانهما اقرب الاعضاء لبعضها بعضا ، و يتقوى احدهما بالآخر ، و علي كان سند النبي و حبيبه ويده التي يبطش بها ، و من ذلك تتضح معالم الحب وتجلياته من قبل المبدع ومدى تأثره بالنبي محمد ﷺ ، و ملازمته له ، حتى صار نفسه ، فكان النبي يفاخر به ، و يقدمه في المواقف التي تتكص فيها الابطال ^(١).

و منه أيضا كتاب ارسله الى محمد بن أبي بكر عندما ولّاه مصر ، جاء فيه :

((فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَ لَا يَنَاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَذْلِكَ عَلَيْهِمْ ... وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ فَأَنْتَ مُحَقَّقٌ أَنَّ تَخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ وَ أَنْ تُتَافَحَ عَنْ دِينِكَ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ)) ^(٢)

" إن التواضع خلق حميد جليل يستثير في النفس الإعجاب و التقدير وهو من أبرز صفات المؤمنين المتقين ومن شيم العاملين الورعين و من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٥) ، فالتواضع إذن هو: خفض الجناح ولين الجانب، وقبول الحق ممن كان والانقياد له، وهو خلق يتولد من قلب عالم بالله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته.. وتعظيم نعوته وجلاله.. وتقدير محبته و

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٤ / ٤٧٨

(٢) نهج البلاغة ، الكتاب ٢٧ ، ص ٤٨٥

إجلاله و التواضع صفة محمودة تدل على طيب النفس و صفائها، و تدعو إلى المحبة والألفة بين الناس، و توطد أواصر المودة و الإحسان بينهم، وتطهر القلوب من الحسد والبغض والكراهية، و توصل إلى نيل رضا الله عز وجل و ثوابه " (١) ، فقول المبدع العظيم لمحمد بن ابي بكر (رض): (فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَ لَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ...) ، " أمره أن لا يغلظ على الرعية و أن يكون لين الجانب لهم ، و خفض الجناح كناية عن التواضع و اللين و الانقياد و التسليم ، كما ترى من دأب الطير إذا تواضع أحدها الآخر يخفض جناحه ، ثم أمره بالمساواة معهم حتى في اللحظة و النظرة لئلا يطمع العظماء في حيفه مع الرعية و لا ييأس الضعفاء من عدله عليهم " (٢) .

نلاحظ في كلام الامام عليه السلام عدولا بالالتفات عن الضمير العائد على محمد بن أبي بكر في قوله (أخفض جناحك ، ألن لهم جانبك ، و ابسط لهم وجهك ، و آس بينهم في اللحظة و النظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، و لا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم) فالكاف في (جناحك ، وجهك ، حيفك ، عدلك) عائدة على محمد بن أبي بكر ، الى الاسم الصريح وهو قوله : (و اعلم يا محمد بن أبي بكر)، و كان الغرض من هذا العدول هو الوعظ و الإرشاد .

٣- الالتفات في الأفعال

تتلخص فكرة هذا اللون من الالتفات ، هو بالتحول من الزمن الماضي الى الزمن الحاضر بشقيه، الاستقبال ، او الحال ، و يرد هذا النوع من الالتفات لغايات ، و اغراض متنوعة تتحدد بحسب المعنى الذي يرد في السياق . وقد ورد هذا اللون من الالتفات في نهج البلاغة في قول الامام عليه السلام : ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه)

(١) قيمة التواضع و خفض الجناح للمؤمنين ، موقع (مغرس) ،

<https://www.maghress.com/attajdid/104885>

(٢) منهاج البراعة ، ١٩ / ٧١

وآله (بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَ الْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حِجْرِهِ وَ أَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَ يَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَ يُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَ يُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَ كَانَ يَمَضُغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَ مَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَ لَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ...))^(١) .

لقد بين المبدع عناية النبي به و حبه له و مدى تفرغه له ، بحيث اخذه من ابي طالب ، و رياه على يديه ، فكان فراشهما واحد ينامان معا يشم ريحة رسول الله الطيبة ، و يمسسه جسده الطاهر ، و يحتضنه بعطف وحنان ، و كان من شدة عطفه عليه ، إنه كان يعضغ الطعام القاسي ، ثم يدفعه اليه^(٢) ، فنظرة سريعة إلى تاريخ الإسلام و ما كان فيه من وقائع و أحداث يكشف بوضوح مدى الجهاد العلوي و كيف لم تخل غزوة إلا و كان علي عليه السلام هو حامل راية رسول الله ﷺ و فاتح الحصون والقاضي على الخصوم ، فقد كان وزيرا وأميناً للنبي الأكرم (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)^(٣) و هو نفس النبي ﷺ أيضا بنص القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران : ٦١) .

الشاهد في قول المبدع : (يضمني ، يكنفني ، يمسنني ، يشمني) ، بعد ان كان في زمن الماضي، (وضعني)، و كان مقتضى السياق ان يقول: (ضمني ، كنفني ، مسني ، شمني) الا انه عدل عن صيغة الماضي الى صيغة المضارع ، فالغرض من هذا العدول هو العناية ، و الاهتمام .و من الواضح ان بنية الانزياح المخالفة لمقتضى الظاهر المجسدة تصادم الازمنة على مستوى الصياغة السطحية، تؤول الى توافق في المستوى العميق^(٤) ، " و وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبى واحد، يعني تفريغ صيغة ما دون غيرها من الزمن ، حيث تشير الى وجه دلالتها الحديثة"^(٥) . " فتصادم الازمنة في هذا النسق اللغوي زاد في عمق المعنى الدلالي عن طريق العدول من زمن الاخبار عن الحدث، (وضعني) الى

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ ، ص ٣٥٩

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٣ / ٣٤٧

(٣) كنز العمال ، ٥ / ٩٠٢

(٤) ينظر : اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، ص ١٤٢

(٥) الزمن واللغة ، مالك يوسف المطليبي ، ص ٧١

صيغة المضارع الحال ، (يكنفني، يضمني ، يمسني ، يشمني) . ولما كانت الاحداث كلها حدثت في الماضي ، فان المتلقي يستطيع احداث توافق بينهما في البنية العميقة ، مما يزيل حدة المفارقة الزمنية بينهما عن طريق الرجوع بزمان الاخبار الى صيغة الماضي " (١) . وأشار البلاغيون ، "ان مجيء المضارع للدلالة على الحال، او الاستقبال ، يفيد التجدد و الاستمرار ، و التركيز على نتيجة الحدث" (٢) ، و هذا العدول أسلوبه يوحي للقارئ أن الضم و الاكتناف .. لا زال متجددا ؛ لأن رسول الله ﷺ حي بشهادة القرآن ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة : ١٠٥) ، فأبي إحياء هذا أنتجه الأسلوب الذي فيه من التأثير و الحب المتجدد في كل زمان و مكان ، و هذه هي تربية السماء التي لازال أثرها شاخصا أمامنا الى يومنا الحاضر و سيستمر ما دامت السماوات و الأرض .

و من هذا النوع من الالتفات ما ورد في خطابات نهج البلاغة فمن خطبة للإمام علي عليه السلام تعرف بالأشباح جاء فيها : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ الْمَنُوعُ وَ الْجُمُودُ وَ لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسْمُ عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ... فانظر أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صِفَتِهِ فَأَنْتَمَ بِهِ وَ اسْتَضَىٰ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وَ أئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكُلْ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ)) (٣)

" من دلائل تقوى القلوب تعظيمها لشعائر الله، ومن أعظم هذه الشعائر كلام الله، فمن كانت التقوى سلوكه ومنهجه لا بد أن يحبَّ كتاب الله تعالى " (٤) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

(١) اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، ص ١٤٢

(٢) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ١٦ / ٢

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ، ص ١٤٨

(٤) محبة القرآن الكريم ، د . طه فارس ، مقال منشور على الأنترنت ،

كَبِيرًا ﴿ (الاسراء:٩) فقول الإمام ﴿عليه السلام﴾: (فانظر أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَنْتُمْ بِهِ وَاسْتَنْصِيْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ...) ، " هو النهي عن وصفه ، جلت عظمتة ، بما لا يليق بتنزيهه و مكانته (و ما كلفك الشيطان ...) ، المراد بالشيطان كل مضلل كائن من كان و ما كان ، و المعنى: على المؤمن أن يعتقد أن الله سبحانه يتصف بكل ما جاء في كتاب الله و سنة نبيه ، و ما عدا ذلك فمن الشيطان ، أو لا يكلف به الانسان، و لا يسأل عنه ، و من اشتبه عليه شيء من أمر الصفات القدسية فعليه أن يسكت عما سكت الله عنه و رسوله ، و يدع ذلك الى الله " (١)

نلاحظ في هذا النص انزياحا في خطاب المبدع عن صيغة المضارع (يفره ، يكديه) في قوله : (لَا يَفِرُّهُ الْمُنْعُ وَ الْجُمُودُ)، (و لَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ) ، الى صيغة الماضي (ضمن ، قدر ، نهج) في قوله: (ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ)، (و قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ) ، (و نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ إِلَيْهِ) و كان مقتضى السياق ان يجري على نسق واحد ، (يضمن ، يقدّر ، ينهج) ، فقد جاء هذا الانتقال بين الصيغ من قبل المبدع للقطع ، و التأكيد ، ليثبت ، و يؤكد حقيقة كثرة النعم و الإفضال من الله تعالى على من سأل و من لم يسأله و لا يدخر لوقت الحاجة كما هو الشأن في غيره ، و هذا يوحي بحب الله تعالى لخلقه فلم يمنعهم من إحسانه و فضله و عطاياه و إن كانوا عاصين له ، قال تعالى ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الاسراء :٢٠).

و قوله أيضا : ((اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ لَا يُحَرِّزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ إِلَّا وَ بِالْتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَ بِالْيَقِينِ تُدْرِكُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبَّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَنَارَ طُرُقَهُ فَشِقْوَةٌ لَزِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ قَدْ دَلَّلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أَمَرْتُمْ بِالظَّغَنِ وَ حَثَّيْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَ قُوفٍ لَا يَذْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ ...)) (٢).

إن قول الإمام ﴿عليه السلام﴾: (اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَ الْفُجُورَ

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٢٥٣

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٧ ، ص ٢٧٥

دَارِ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحَرِّزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ إِلَّا وَبِالتَّقْوَى تَقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا) :
أي للصادق المتقي هيبة و مكانة عند الله و الناس ، فهو محبوب عند الله تعالى ﴿ بَلَى مَنْ
أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ٧٦) و مكانته هذه حصن حصين
من تهم المفترين ، و نيل المجرمين ، أما الخائن فحصنه أوهن من بيت العنكبوت ﴿ مَثَلُ
الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤١) ، فلا سبيل إلى الوقاية من سوء العاقبة إلا
باتباع الهدى و الحق ﴿ فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٨) و
قوله ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ : (عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ فِي أعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبُّهَا إِلَيْكُمْ) و المراد من كلام
الإمام ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ هو عين المراد من قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤) ، و قوله : (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَنَارَ
طُرُقَهُ فَشِقْوَةٌ لِزِمَةٍ) للمجرمين في الآخرة (أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ) للمتقين (فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ
الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ قَدْ دُلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ وَ حُثِّتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ...) نحن
ضيوف في هذه الدار ، و في غد إلى نعيم أو جحيم ، و السعيد من وفق إلى عمل ينجيهِ
من عذاب الحريق ^(١) "

يرد هذا القسم من الالتفات لأغراض وغايات معينة منها : (النصح والارشاد،
الالتماس، التقرير، التخيير) ، فنلاحظ في النص المذكور انتقالا عن صيغة الماضي
(أوضح ، أنار) الى صيغة الامر في قوله : (فتزودوا) ، و كان المتوقع في السياق ان
يجري (بتزودكم في ايام الفناء لأيام البقاء) ، كي يتوافق مع صيغة الماضي (أوضح ، أنار)
، و لكنه عدل عن ذلك توكيدا لما أجري عليه الفعل لمكان العناية بتحقيقه كما ذكر
البلاغيون ^(٢) ، فالعلان الماضيان كلاهما يوحيان بالإيضاح و الإرشاد؛ لأن الإنارة هداية
و الإيضاح هداية أيضا ، ثم عدل إلى صيغة الأمر ... لأن الهداية تستلزم أن يقوم المَهْدِيُّ
باتباعها ... و هذا يناسب الأسلوب الإيعازي المتمثل بصيغة الطلب ، و الحب تجربة
إنسانية ، لذا بدأ بفعل ماضٍ ليشير إلى حقيقة ما ، فأوحت الأفعال بصيغة الماضي بعاطفة

(١) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٣٤٤

(٢) ينظر : العدول في نهج البلاغة ، ص ١٩٤ ،

صادقة ملؤها الحب و الدليل حين كان الإرشاد بصيغة الأمر أي هناك رغبة في الوهب و العطاء ، و هذا يعكس أيضا حب الناصح إلى من يود هدايته ، و لا ريب أن المبدع العظيم محب أمته ... و كان سيد بلغاء العالمين ؛ لذا لم يستعمل الأمر في بداية السياق هنا ، بل استعمل الماضي ليلفت انتباهنا إلى واقع ما ، و يذكرنا بعظمة الله و حبه خلقه ، و من ثم استعمل الأمر و هذا يناسب سياق الحال، فلم يبدأ بطلب ، بل بدأ بسرد محبب ، فكان الأمر مليئا بالمحبة من جهة ، و مفعما برغبة الخير للمأمور من جهة أخرى .

و من هذا النوع من الالتفات قوله ﴿الْعَفْوُ﴾: ((وَ إِنِ أَغْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وَ لَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدٍّ وَ طَالِبٍ وَجَدَ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ))^(١) .

إن الله تعالى يحب العفو و الستر ، و قد حثَّ عباده على العفو و قبول الأعذار ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢) " و العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل ، و العفو أبلغ من الكظم؛ لأنَّ العفو ترك المؤاخذه مع السماحة عن المسيء، و هذا إنما يكون ممن تحلَّى بالأخلاق الجميلة، و تخلَّى عن الأخلاق الرذيلة ، و ممن تاجر مع الله، و عفا عن عباد الله رحمة بهم، و إحساناً إليهم، و كراهة لحصول الشرِّ عليهم، و ليعفو الله عنه، و يكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير " ^(٢) ، كما قال تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)، و قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٣)، فقول الإمام ﴿الْعَفْوُ﴾: ((وَ إِنِ أَغْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ مَا فَجَّأَنِي ...)) أي إنه ﴿الْعَفْوُ﴾ إذا لم تقتله ضربة ابن ملجم فهو المسؤول عن القصاص ، " و بيده زمام أمره يرى في عدوه رأيه و يحكم فيه بما أحب الله تعالى و أراد ، و الله أحب العفو ، و أنا أعفو عنه ترغيبا لهم

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٢٣ ، ص ٤٧٩

(٢) الترغيب في العفو و الصفح في القرآن الكريم ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع الدرر السنية ،

<https://dorar.net/akhlaq/1036>

في ذلك ، و إن كانت الأخرى (الموت من أثر الضربة) ، فهذا الموت أمر طبيعي و كل حي سيصل إليه و هو ميعاد الجميع ، و ما أجمل أن تعفوا عنه ؛ لأنكم أولياء الدم " (١) تضمن هذا النسق اللغوي عدولا عن صيغة المضارع ، (فإن أعف)، الى صيغة الامر (فاعفوا) ، و ترد طريقة الالتفات هذه على لون واحد ، و هو الانتقال من الزمن الحاضر الى صيغة الامر ؛ إذ كان الالتفات في خطاب المبدع ضمن علاقة سببية تراءت بأسلوب الشرط ، فكان فعل الشرط (أعف) مضارعا مجزوما يبين حالة العفو و ما يرافقها (فاعفوا) ، و العفو تسامح ، و التسامح مولد مهم من مولدات الحب ، و كأنه ﴿الْحَبِيبُ﴾ في خطابه يبدأ بفعل الشرط متمثلا بنفسه ؛ لأنه القدوة ، فبدأ بحالة عفو هو بصيغة المضارع التي تفيد العفو واستمراريته ، ثم انتقل إلى النتيجة التي جعلها في سياق جواب شرط جازم مقترن بالفاء ما يعزز نتيجة الشرط و يثبت حالة العفو الموجبة المحبة ، فكل إناء ينضح بما فيه ، و علي ﴿الْحَبِيبُ﴾ مثال الحب و العفو ، فكان من الرائع في خطابه أن يبدأ بذاته ليلتفت إلى الآخر ناصحا إياه بحب لتعزيز الحب و ترسيخه في الأعماق .

ثانيا - التقديم و التأخير

و مثل ذلك ما جاء في نهج البلاغة من كتاب للإمام ﴿الْحَبِيبُ﴾ لمعاوية جاء فيه :
 ((فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَ النَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عَزِّنَا وَ لَا عَادِي طَوْلُنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنَّ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَتَكَحَّنَا وَ أَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَ لَسْتُمْ هُنَاكَ وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَ مِنَّا النَّبِيُّ وَ مِنْكُمْ الْمُكَدَّبُ وَ مِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ وَ مِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ وَ مِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ فَأَسْلَمْنَا قَدْ سَمِعَ وَ جَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ (...)) (٢).

إن قول المبدع العظيم (فإننا صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا...) هو تنبيه على أفضلية محمد و آل محمد (عليهم السلام) من جهة اختصاص الله تبارك و تعالى إياهم

(١) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٤ / ١٩٩

(٢) نهج البلاغة ، الكتاب ٢٨ ، ص ٤٨٧

بالنعمة الجزيلة ، و هي نعمة الرسالة و ما يستلزمه من الشرف و الفضيلة حتى كان الناس عيال لهم .

إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ جَوْدِهِمْ وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرَّمُوا^(١)

(البسيط)

بيّن الامام عليه السلام في هذا الكتاب اختصاص بني هاشم بالفضائل ، و اختصاص بني امية بالردائل عن طريق مقارنة ، يذكر فيها مزية كل بيت ، و يظهر فضائل الافراد و ردائلهم بتبيين نسبة البيتين في الشرف، و الخسة ، فذكر النبي ﷺ ، و قابله بالمكذب له من بني امية ، و هو ابو جهل ، ثم ذكر اسد الله حمزة بن عبد المطلب، و قابله بأسد الاحلاف، و هو اسد بن عبد العزى ، ثم ذكر سيدا شباب اهل الجنة ، و هما الحسن و الحسين، ثم قابلهما بصبية اهل النار، و هم بنو امية ، ثم ذكر خير نساء العالمين، و هي فاطمة الزهراء، و قابلها بحمالة الحطب، و هي ام جميل بنت حرب عمة معاوية^(٢).
نلاحظ في خطاب المبدع اكثر من عدول في هذا النص ، "عن طريق تقديم اكثر من مسند على المسند اليه ، و قد تكرر المسند اكثر من مرة في جميع جمل الخطاب ، مرة (منا) ، و مرة (منكم) ، و يبدو ان المبدع أراد الايضاح بعد الابهام الذي ظهر في السؤال (أنى يكون ذلك) لا سيما في دلالة اسم الإشارة (أنى) الذي يحيل الى امر منكر لا يقبله العقل"^(٣) ، و جاء هذا الانزياح بتقديم المسند في هذه الجمل ، ليخص بني هاشم بالفضائل دون غيرهم وهم بنو امية ، ولو أخرج المسند لما حصلنا على هذه الصور البلاغية؛ إذ أبرز تقديم شبه الجملة (منا) مقدار الحب الذي يكنه عليه السلام لآله ، فالتقديم لما له الأهمية حيث أوحى المبدع من خلاله إلى جماعته فأبرز تقديم الجار و المجرور عظمة ذاك الحب حين ربطه بالصدق (منا المصدق) ، لكنه صدق يشير إلى تقوى الله و محبته ، و الدليل قوله في سياق لاحق يربطه به أسلوب العطف (منا أسد الله) ، فصار التقديم و التأخير من

(١) ديوان الفرزدق ، ص ٥١٣

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٤ / ٣٨٨

(٣) العدول في نهج البلاغة، ص ٣٩

تحديد الجماعة الواحدة التي هي من علي عليه السلام وهو منها بما تحمل من حب ، فالتصريح بانتمائنا بهذه الأنوية الجماعية التي أبرزها ضمير الجمع (نا) يشير إلى عظمة الرابط الوجداني في تلك الجماعة من جهة و التصريح بالمؤخر (النبي) و النبوة طهارة ما يعني حب ذاك النبي و الافتخار به و ازدياد النقيض الذي ينتمي الى تلك الجماعة و هو المكذب و النقيض يبرز حسم ضده ما يزيد مشهد الالتفات عمقا؛ لأن التقديم أوحى بحب ثم عززه التأخير الذي لفت انتباهنا إلى العلاقة الإيجابية التي جعلت المبدع يؤخرها من خلال لفظة المصدق .. ليثير شوقنا و يحفز خيالنا في الشيء الذي سيختاره ، و هذا الأمر وضعنا في جو الحب الذي أوحى به الخطاب .. فخاطب بحب بضمير متكلم ، و خاطب بازدياد بضمير مخاطب ما يزيد الدلالة إحياء ، ثم نلاحظ الاقتباس من مصطلحات القرآن الكريم (حمالة الحطب) نافيا انتماء تلك الحمالة أم لهب إلى جماعته : أي نافيا النار عن جماعته ما يعني حبه جماعته و إيمانه و تفاؤله بأن الجنة مصيرهم من جهة ، و بأنهم يتقون الله من جهة أخرى ، و هذا أصدق تعبير يشي به الخطاب عن حب كامن متنوع المحاور متمثل في حب علي و آله و في حب آله إياه ؛ لأن الحب عاطفة إيجابية تبادلية بين المحبين الصادقين.

و قول الإمام عليه السلام أيضا في بيان منزلة أهل البيت (عليهم السلام) : ((قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ وَ اغْتَدَلَ مَائِلٌ وَ اسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَ بِيَوْمٍ يَوْمًا وَ انتَظَرْنَا الْغَيْرَ انتَظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ وَ إِنَّمَا الْأَيْمَةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَ عِرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَ اسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَ جَمَاعُ كَرَامَةٍ اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَجَهُ وَ بَيَّنَّ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَ بَاطِنِ حُكْمٍ ...))^(١).

" من الواضح بأن متابعة النبي الأكرم عليه السلام فيما جاء به من الشريعة السمحاء ضرورة أساسية، و أنّ هذه المتابعة كاشف عن حبّ العبد لمولاه، و شرط حتمي لمحبوبيه المولى للعبد ، و من الواضح أيضا بأن متابعة الرسول الأكرم عليه السلام تعني الالتزام بأقواله وأفعاله التي منها أوامره المتتابة بالتمسك بالعترة الطاهرة، وبذلك خلص لدينا أنّ متابعة

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٢ ، ص ٢٦٦

النبي الأكرم ﷺ و أهل بيته (عليهم السلام) ومحبتهم جميعاً كاشف عن الحب الحقيقي الذي يحمله العبد لمولاه وأن تلك المتابعة والمحبة موجبة لتحقيق محبوبية المولى للعبد " (١)،

فقول الإمام : (قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ وَ اعْتَدَلَ مَائِلٌ وَ اسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَ بِيَوْمٍ يَوْمًا وَ انْتَبَظْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ) : أي " طلعت شمس الخلافة من مطلعها و سطع نور الإمامة من منارها ، و ظهر كوكب الولاية من أفقه ، و استقام ما اعوج من أركان الدين و قوائم الشرع المبين ، و جاء أهل الصلاح و الرشاد و هم أمير المؤمنين و تابعوه بدل أهل الضلال و الفساد ، ثم أشار ﷺ إلى أن القيام بأمر الأمة هي وظيفة الأئمة فقط ، و ان موالاتهم و متابعتهم واجبة (وَ إِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَ عَرَفُوهُ عَلَى عِبَادِهِ) و أراد من ذلك نفسه الشريف و الطيبين من أولاده ، يقومون بمصالح الناس و يدبرون أمورهم ، أو إنهم القائمون بأمر الله و نهيه و أحكامه على خلقه لكونهم خلفاءه على أرضه و حجه على بريته ، و هم عرفاء عباده " (٢) ، قال تعالى ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الأعراف: ٤٦)، و قوله ﷺ : (وَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ) : أي كان معهم بهدايتهم و إرشادهم ، (وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ) ، " و هذا كناية عن الجاهل بالحق و أهله ، أو العالم به و بهم ، و لكنه خالف و عاند ، (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ...) ، فالخطاب موجه من الإمام إلى أصحابه ، و يصلح لكل مسلم ؛ لأن الغرض منه التذكير بفضل الإسلام و الحث على التمسك بعروته (وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمٌ سَلَامَةٌ وَ جَمَاعُ كَرَامَةٍ) و حد الإسلام بهاتين الكلمتين هو الحد السليم و التعريف المستقيم على كتاب الله و سنة نبيه ؛ لأنه من مصدر الإسلام و معدنه " (٣) .

إن الجنة و النار مفعولان واجبا التقديم على فاعليهما (وَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ) في كل منهما اسم موصول (مَنْ) لأنهما مقصوران على فاعليهما، و علة هذا الوجوب ألا ينقلب المعنى، و يكون الفاعل

(١) محبة أهل البيت ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع السيد كمال الحيدري ،

<http://alhaydari.com/ar/2011/09/3651>

(٢) منهاج البراعة ، ٩ / ١٦٦ - ١٦٧

(٣) في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٢٨٨

مقصورا على المفعول به، و هذا فساد في المعنى المراد عند المتكلم ^(١). و معنى ذلك أن كل اهل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ، و معرفته لهم ، و أراد من ذلك الائمة من ولده عليه السلام ، و معرفتهم معرفة حق ولايتهم ، و صدق بيان امامتهم ^(٢)

و من هذا التقديم ما جاء في قول امير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقي :
(يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمَسِّي وَ هُمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هُمُّهُ الذِّكْرُ
يَبِيتُ حَذِرًا وَ يُصْبِحُ فَرِحًا حَذِرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَ فَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ
إِنْ اسْتَنْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قَرَّةً عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَ
زَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى يَمَزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلُّهُ خَاشِعًا
قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُورًا أَكَلَهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيزًا دِينُهُ مَيِّتَةٌ شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا غَيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ
مَأْمُولٌ وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ)) ^(٣).

ان العدول بتقديم الحال على صاحبها يؤدي الى معاني ، و دلالات ترتبط بطبيعة المعنى ، و السياق ، فمن المعاني التي يؤديها تقديم الحال على العامل فيها هي العناية ، و الاهتمام ^(٤) ؛ إذ كان للحال أولوية التقدم على معمولها ، لأن الحال هنا أفادت تصوير حياة صاحب الحال ، و لم تكن حالا واحدة ، بل تعددت الأحوال و الهيئات (قريبا ، قليلا ، خاشعا ، قانعة ، منزورا ، سهلا ، حريزا ، ميتة ، مكظوما) في قوله : (تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلُّهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُورًا أَكَلَهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيزًا دِينُهُ، مَيِّتَةٌ شَهْوَتُهُ، مَكْظُومًا غَيْظُهُ) لكنها كلها تصب في حقل التقوى ما يعطي امتدادا معنويا يوحي بخطاب الحب ؛ لأن الحال المذكورة إيجابية ، و تبين وشائج متينة بين المتقي وربه من جهة و الإمام علي من جهة أخرى ، لكن الالتفات برز حين تأخر معمول الحال عنها مثيرا الانتباه إلى أمر آخر التفت إليه المتلقي و هو فاعل تلك الهيئات و هنا نجد المعمولات الآتية (أمل ، زلل ، قلب ، نفس أكل ، أمر ، دين ، شهوة ، غيظ) ، و نلاحظ ان هذه المعمولات لفتت الوجهة التأويلية إلى معنويات وجودية تعزز بسياقها خطاب الحب الذي يبرز من خلال

(١) شرح الكافية في النحو ، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي ، ١ / ١٩٧

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٢٢١

(٣) شرح نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨٠

(٤) ينظر : المقتضب ، ٤ / ١٦٩

المعنى الإيجابي الذي تقدمه في سياقها اللغوي فـ (خاشعا قلبه) تحمل الحب ، و الخشوع خضوع القلب بين يدي الله تعالى و هو خضوع العبد المحب و محبوبته الذات الإلهية ، فالتركيب أوحى بذاك الحل العظيم الذي يشعر به المتلقي تجاه ربه ، وحين قال المبدع : (ميتة شهوته) انتقل الى تعزيز ذاك الحب علما ان الشهوة تستلزم الحب لكنه حب ، غريزي بينما قوله ميتة شهوته فقد أحيا حبا طاهرا مجردا من الغريزة : أي عزز الحب الإيجابي في خطابه ، و عندما قال مكظوما غيظه أرسى مضمونا رائعا للحب ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ٣٤) ، و هذا يعني أن المبدع أتى بالصفات التي تسوجب حب الله تعالى عبده ، فأضاء خطاب الحب بعظمة قدرته اللغوية و روعة تعامله مع مفرداتها .

ثالثا - الحذف

ورد الحذف بأنواعه في خطب نهج البلاغة ، و من تمثلات هذا اللون من الانزياح ما جاء في قول الامام (عليه السلام) من خطبة له : ((اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَ التَّغْدَادِ الْكَثِيرِ إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تُرْجَ فَخَيْرٌ مَرْجُو اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَطْتُ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ وَ لَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَ لَا أَوْجَّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخُبَيْبَةِ وَ مَوَاضِعِ الرِّيْبَةِ وَ عَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ ...))^(١).

إن الله تعالى يبتلي العبد ليتضرع إليه ويلجأ إليه ، و يلح عليه في الدعاء ، فيسمع دعاءه وتضرعه ومناجاته ، وهذه عبودية يحبها الله تبارك و تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (ابراهيم: ٣٩)، فالدعاء يمثل أقصى حالات ضعف العبد أمام خالقه ، فهو يشعره بالحاجة الماسة لربه ، و هذا الشعور يكسبه حالة من القرب لله جلّ شأنه ، قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل: ٦٢) فقول الإمام (عليه السلام) : ((اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَ التَّغْدَادِ الْكَثِيرِ ...)) : أي " الذي تعجز عن

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ، ص ١٤٨

ادراكه عقول الواصفين ، و كمالاته و كلماته لا حساب لعددها ، و لا انقطاع لأمدها ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان: ٢٧) ، (إِنْ تُؤْمَلْ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تُرْجَ فَخَيْرٌ مَرْجُوٌّ) : أي لا أمل و لا رجاء إلا بالله وحده ، فمنه يبتدئ كل شيء ، و إليه ينتهي ، (اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ وَ لَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَ لَا أُوْجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَ مَوَاضِعِ الرِّيبَةِ وَ عَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ) : أي قلت فيك اللهم من الثناء و المديح ما لم أقله في غيرك ، و توجهت به إليك وحدك دون المخلوقين ؛ لأنهم يحرمون و يخيبون ، و ما نطقت بكلمة خالصة لوجهك إلا بفضلك و هدايتك ^(١)

نلاحظ في هذا النص عدولا بعد أن حذف المبتدأ الواقع بعد (الفاء) في جواب الشرط (إِنْ تُؤْمَلْ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تُرْجَ فَخَيْرٌ مَرْجُوٌّ)، و اقترنت (الفاء) بالخير (خير) ، و التقدير (ان تؤمل فأنت خير مأمول) ، و (ان ترج فأنت خير مرجو)، و حذف المبتدأ هنا جاء منسجما مع سياق الكلام ؛ اذ سبق هاتين الجملتين جملة نداء تدل على معنى الدعاء ، و الثناء للباري عز وجلّ، و هذا المعنى اعطى اشارة من اشارات الحب لله تعالى ؛ لأن الرجاء، و الدعاء، والثناء الحقيقي لا يكون الا له جلّ شأنه ، فهو القادر على كل شيء . و من الحذف أيضا ما جاء من خطبة للإمام (عليه السلام) : ((وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَ اسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ وَ لَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعُظْمَةِ وَ الْكِبَرِيَاءِ وَ رَبِّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ فَلَا تُتَنَوَّلُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ إِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَ فَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ مَضَائِهَا...)) ^(٢).

قد أثر أمير المؤمنين (عليه السلام) الآخرين بالطيبات و اللذائذ فتتكر لذاته و قدّم غيره على نفسه ، و قد وصف الإمام الباقر (عليه السلام) هذه الخصلة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول: (كان علي بن أبي طالب عليه السلام ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٦ ، ص ٤١٨

منزله ويأكل خبز الشعير، والزيت والخل) ^(١) ، فقله : (وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ وَ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ) : أي " لعظم جلال الله في قلبه يجب أن يصغر عنده كل شيء سواه ، (وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ ...) : أي لو كنت أحب ذلك الإطراء باعتبار ما فيه من اللذة لتركته باعتبار آخر و هو الانحطاط و التصاغر عن تناول ما هو الله أحق به من العظمة و الكبرياء ، و نبّه في ذلك على أن الإطراء يستلزم التكبر و التعظيم ، فكان تركه له و كراهته لكونه مستلزما لهما ، (وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ...) ، يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه ؛ لأن من عادة الناس أن يستحلوا الثناء عند من يبلو بلاء حسنا في جهاد أو غيره من سائر الطاعات ، ثم أجاب عن هذا العذر بنفسه (فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ) و أراد من ذلك يعني لا تثنوا عليّ من أجل ما ترونه مني من طاعة الله تعالى ، فإن ذلك إنما هو إخراج لنفسي إلى الله من الحقوق الباقية عليّ لم أفرغ بعد من أدائها و هي حقوق نعمة ، و من فرائضه التي لا بدّ من المضي بها ، و كذلك اليكم من الحقوق التي أوجبها الله عليّ لكم من النصيحة في الدين و الإرشاد إلى الطريق الأقصد و التعليم لكيفية سلوكه " ^(٢) .

نلاحظ في هذا الخطاب ان المبدع قد عدل عن ذكر الخبر الى حذفه (ان يُقَالَ : ذلك) ، فيكون التقدير أن يُقَالَ : ذلك فيّ ، و قد دلّ على حذف الخبر سياق الكلام، فالإمام يتحدث عن نفسه ، و رفضه الإطراء ، و الثناء عليه من الرعية ، زيادة على اثباته المبتدأ (ذلك) المسبوق بالقول (ان يُقَالَ) الذي أسهم بتقدير المحذوف ، و هو الخبر ، فكان للحذف أهمية كبرى ؛ إذ لفت انتباهنا إلى ما تقدّم لمحاولة تأويل المحذوف ، فلا حذف دون دلالة سياقية تشير إليه، و قد تمثّل الحذف في الإطراء ، و هذا يعكس حبا عظيما ، لأن عدم الرغبة في الإطراء يلفت انتباهنا إلى جانب ديني محبب نستشفه من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦) ، وتنفيذ أوامر الله تشير إلى محبته ، فكان

(١) بحار الأنوار ، ٤٠ / ٣٣٧

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٤ / ٤٢ - ٤٣

الحذف ميدان تفكير و إثارة واستدراك ، و هذا يجسد أعلى درجات الحب و ذلك من خلال ربط فعل الحب بأفعاله .

الفصل الثاني

الإقناع والإمتاع في خطاب الحب

المبحث الأول: الصوتي

المبحث الثاني: المعجمي

المبحث الثالث: التركيبي

مفهوم الاقناع و الامتاع

الاقناع لغة : هو الرضى بالشيء ، و الاصل فيه مادة (قنع) ، فنقول قنع بنفسه قنعا و قناعة أي رضي ، و (اقتنع و قنع) بالفكرة أو الرأي ، أي اطمأن إليه و رضي به ^(١) و من أمثال العرب " خير الغنى القنوع و شر الفقر الخضوع " ^(٢) .

و لهذه الكلمة دلالات أخرى أيضا و منها قال تعالى : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴾ (إبراهيم: ٤٣) . " المقنع رأسه هنا يعني الذي يرفع رأسه و ينظر في ذلّ و خشوع " ^(٣) . و معنى الكلمة في اللغة " أنها تقترب من معاني الرضى و القبول و الاطمئنان و الميل و الرغبة ، و تبتعد عن معاني القهر و الضغط و الاجبار " ^(٤) .

أما اصطلاحا فيُعرّف بأنه : " قصد المتحدث إلى احداث تغيير في الموقف الفكري و العاطفي عند المتلقي " ^(٥) .

" و الاقناع هو غاية العملية الحجاجية ، حيث إن المحاجج يسعى إلى تحقيقها في متلقيه معتمدا على كل الإمكانيات المتاحة له ، فهو في اصطلاح الغربيين حمل الانسان على اعتقاد رأي للعمل به ، فالخطيب يتوخى تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما ، أو يعتبره المخاطب شرطا كافيا ، و مقبولا للفعل أو الترك " ^(٦) و العملية الإقناعية تتطلب متكلم و متلقي و خطابا ، كما أن الدراسة تتطلب التبصر بكل زوايا السياق لهذه العملية ، و لما كان النص الحجاجي مؤسس على بناء فكري يتصف بالتعقيد ، لذا فالإحاطة بالمكون السياقي يعد امرا حتميا ، فالسياق يمثل الاطار العام و له يعود الفضل في ترجيح أدوات بعينها و اختيار الاليات المناسبة لعمليتي الفهم و الإقناع بين

(١) ينظر : المعجم الوسيط ، ص ٧٦٣

(٢) اساس البلاغة ، أبو القاسم محمود الزمخشري ، تحقيق: محمد باسل السود، مادة (قنع) ، ٢ / ١٠٥

(٣) لسان العرب ، مادة (قنع) ، ٨ / ٢٩٧

(٤) الاتصال الإقناعي - مذكرة تعليمية لطلبة مستوى ثالث ، كلية الاعلام ، جامعة الاقصى ، ص ٥

(٥) البلاغة و الاسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، تقديم و ترجمة و تعليق : محمد

العمرى ، ص ١٠٢

(٦) الحجاج بين الاقناع و الامتاع في رسالة القضاء و القدر للحسن البصري ، ليلي أبركان ، ص ٦٧

المتكلم و المتلقي ^(١)

و أما الإمتاع فيقول عنه نيتشه : " كلما كانت الحقيقة التي تريد تعليمها أكثر تجريدا ، وجب عليك أن تزينها لإغواء الحواس " ^(٢) ، لذا فمن الواجب الالتفات الى هذا الجانب المهم ، " فالخطاب الحجاجي ليس سبيله العقل فحسب و إنما العاطفة و الحواس كذلك و يقر الدكتور طه عبد الرحمن بذلك حين يصر على ازدواج اساليب الاقناع بأساليب الامتاع فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب و توجيه سلوكه لما يهبها هذا الامتاع من قوة في استحضار الاشياء ، و نفوذ في إظهارها للمخاطب كأنه يراها رأي العين " ^(٣) .

و عليه فإن المقصود بالامتاع هو الوقوف على الاساليب البلاغية على وجه خاص للدليل المقدس ، و الكشف عما تحمله بعض العوامل و الادوات اللغوية من قوة حجاجية ، و بيان مدى تأثيرها على الخطاب الاقناعي أو الحجاجي ، و قد كان لآليات الامتاع دور كبير في نفي عناصر الملل عن المخاطب ، ذلك الملل الذي يحتمل ان يتسبب بنقل المادة المحكية و كذلك جفاف الحجج المخاطبة للعقل ^(٤) .

" فالكلام البليغ هو من تنفذ معانيه الى العقل و القلب معا " ^(٥) ، ويمثل نهج البلاغة ذروة هذا الكلام بعد القرآن الكريم ، إذ انه ضمن النفاذية التي من خلالها تحقق الاقناع و الامتاع معا ، و من أجل ذلك سنسعى في هذا الفصل إلى تتبع صور الاقناع و الامتاع في نصوص كلام امير المؤمنين عليه السلام ، و ذلك من خلال ما يأتي :

١- الاقناع و الامتاع الصوتي

٢- الاقناع و الامتاع المعجمي

٣- الاقناع و الامتاع التركيبي

(١) ينظر : الحجاج بين الاقناع و الامتاع في رسالة القضاء و القدر للحسن البصري ، ص ٦٨

(٢) الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري ، الحبيب أعراب ، ٣ / ٦١

(٣) الحجاج بين الاقناع والامتاع ، ص ١٩

(٤) ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٤

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٩

المبحث الأول: الإقناع والإمتاع الصوتي

تشتمل خطب الامام أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله و حكمه مختلف الصور الصوتية التي لها الأثر الكبير في عمليتي الإقناع و الامتاع ، و من الصور الأكثر ترددا و تواترا ما يلي :

أولا : السجع

ذكرنا في الفصل السابق تعريف السجع و ما يؤديه من جمالية في النص^(١) ، و ما يهمننا في هذا الفصل هو ابراز صور الإقناع و الامتاع بألوان مختلفة و منها التسجيع الذي نجده حافلا في نصوص نهج البلاغة ؛ إذ ينقسم السجع الى أنواع مختلفة ، و كل نوع منه يؤدي دوره الإقناعي و الامتاعي و من أقسامه :

١ - السجع المتوازي

و هو أن تتفق فاصلتان أو أكثر في التقفية - الحرف الاخير- و كذلك في الوزن العروضي^(٢) ، و قد ورد هذا النوع من السجع في نصوص نهج البلاغة ، فمن عهد للإمام عليه السلام عهده لمالك الأشتر النخعي جاء فيه : ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرُ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا وَ لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا وَ أَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَ أَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَ يَرْعَاهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ))^(٣).
إن أبرز ما اكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخطاب حبه لمالك الأشتر (رض) و حثه على حب رعيته و نصحهم و ضرورة استعداد الحاكم نفسيا وفكريا ليكون رحمةً لأبناء أمته يحبهم و يسير في قضاء حوائجهم و يكون خادما يعمل على تقديم

(١) ينظر : خطاب الحب في نهج البلاغة دراسة اسلوبية ، ص ٢٨

(٢) ينظر : علم البديع ، د . عبد العزيز عتيق ، ص ٢١٩

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٥٣ ، ص ٥٤٤

المساعدة لهم وقيادتهم في الظروف المختلفة ليتسنى لهم العيش في حياة كريمة ،
 فالأمانة والعدل شرط الحاكمية ^(١) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ
 أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨) ، فقلوه ﴿ الْعَدْل ﴾ : (هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا وَجِهَادَ عَدُوِّهَا وَ
 اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا ... الْجَمَحَاتِ) ، " ذكر امورا هي غرض الولاية ، و بها
 يكون نظام الأمر ، فمنها ما يعود إلى منفعة الوالي ، و هو جبوة الخراج ، و منها ما يكون
 للرعية ، و هي جهاد عدوهم و استصلاحهم بالسياسة و حسن الرعي ، و منها ما يعود
 إليهما و هو عمارة البلاد و لواحقها ، ثم أمر ﴿ الْعَدْل ﴾ مَالِكُ الْأَشْثَرِ بِأُمُورٍ فِيهَا صَلَاحٌ نَفْسِهِ
 مِنْهَا تَقْوَى اللَّهِ وَ خَشْيَتُهُ ، وَ اتِّبَاعُ أَوَامِرِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ ، وَ أَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ
 تَعَالَى بِبِيَدِهِ وَ قَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَصَرَّوْا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد ، ٧) ، و أن يكسر من نفسه عند الشهوات ، و هو أمر
 بفضيلة العفة ، و أن يكفها و يقاومها عند الجمحات " ^(٢) .

نلاحظ في خطاب المبدع العظيم نهايات منظمة تحوي صبغة
 إيقاعية تطيب لها النفوس و تتجذب العقول أزاءها ، تتمثل في ما يطلق عليه في الشعر
 حروف الروي و يقابله في النص النثري التاء في الكلمات (الشهوات ، الجمحات) ؛ إذ يقدم
 السجع هنا إيقاعا يشد المتلقي و هذا حال السجع عموما ، لكن ما يميزه هنا ، أنه سجع
 متواز يرسخ بإيقاعه احساسا دافئا أبرزته الحروف الهامسة في الفواصل ، و منها صوت
 الهاء ، و هذا الصوت يعطي دفئا وجدانيا يناسب خطاب الحب فهو آه المحب و صرخة
 الروح شغفا ، و تنهيدة العبد حين يشعر براحة بعد عناء ، و من ثم يستعين بحرف التاء في
 نهاية الفاصلتين (الشهوات، الجمحات) ، و هنا تتعمق دلالات الحب ، لأن الحب
 يستدعي في بعض درجاته لذة في إشباع شهوة ما ، و هنا يبرز حب أقوى ، و هو حب
 العبد ربه حين يكبح شهواته ، فالحب أرقى و أنبل العواطف الإنسانية و ورودها في خطابه

(١) ينظر : الحاكم و القائد في فكر الإمام ، مقال منشور على الانترنت ، موقع الولاية ،

<https://alwelayh.com>

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ١٢٨

﴿السجع﴾ ضمن هذه الإشارات اللغوية يجعلنا أمام عظمة ذاك الخطاب المحمل بطهر الحب ، و المشبع بدلالاته الروحية ، و هذه الدلالات أًقنعتنا ؛ لأنها دلالات موحية انسجمت فيها النعمة مع المعنى الذي أوحى به، فحين قال (جهاد عدوها و استصلاح أهلها) ، أبرز حقيقة و وضوحها؛ إذ تطرق إلى حالة الجهاد في وجه العدو ، و أًقنعتنا بذاك الجهاد حين كان ضد الأعداء ، فأثار الحب الكامن ، و منحنا راحة نفسية تضافرت مع الموسيقى التي قدمها السجع فأمتعنا ، و لو تابعنا في تتالي السجع لوجدنا قوله ﴿الغنى﴾ (استصلاح أهلها و عمارة بلادها) ، و في هذا الخطاب ترسيخ لمفهوم الحب حين عطف المبدع بين السجعين كليهما بواو العطف التي تفيد الجمع و الاشراك في الحالة الوجدانية الإيجابية ، ما يعزز الحب و دلالاته في سياق خطابه ، و يقدم السجع أداة تبرز تماسك ذاك الحب ؛ لأن السجع في هاتين الفاصلتين مكون من تتالي الهاء المفتوحة المطلقة و في الإطلاق إعطاء مساحة نفسية للتفريغ الذي يلائم سياق الوجدانيات و يمنح المبدع مجالا يتسع لكثير من المشاعر التي يبرز منها هذا السياق ؛ لأن محاولات الاصلاح سبيل حب ، فالحب ليس عاطفة تقادم و إنما الحب عاطفة تنمو ، فالحب يتقدم ، لذا ينمو بتتالي الأيام ؛ لأن من لا يتقدم يتقادم ، و هذا التقدم في مجال الحب يوحي بانسجام العلاقة بين المتحابين ، و لو دققنا في النص لوجدناه بنية وعظية و في الوعظ حب ؛ لأن الوعظ هداية ، و محاولة الاستفادة من تجارب الآخرين و خبراتهم ، لكنه وعظ مسجوع ، فكان لهذا النصح إيقاعه الذي أسهم في تعميق حالة الحب و تفعيل أثرها بنبرات الفواصل المسجوعة التي رسخت الفكرة و تعميق النصح أًقنعتنا و جعلنا نستلذ بهذا الخطاب الوعظي المسجوع فحقق المتعة والاقناع معا .

فهذه النهايات أشبه بالقافية الواحدة التي أسهمت بشكل أو آخر على خلق فاعلية السجع المتوازي و تكوين بنية إيقاعية ذات أبعاد منتظمة و متوازية تتجذب نحوها الاذهان و ترنو إليها النفوس ، و ذلك يعود إلى قوة الإيقاع الذي أحدثه الوزن العروضي الواحد و القافية الواحدة في أذن المتلقي ، أضف الى ذلك تكثيف الصورة لتوكيد المعنى و توضيحه ؛ إذ اننا نجد في الفقرات المسجوعة لهذا العهد إيقاعا متميزا و تناغما تركيبيا نتيجة لموقعيّة الاصوات و التآلف التتابعي الذي أعطى التناسق الموسيقي المتمثل بالتردد الصوتي في نهايات الفواصل بحرف معين، مستثمرا في ذلك دلالة المجاز المرسل

بقوله (كسر نفسه) في عملية كبح جماح النفس في منعها عن الخطأ ، فالكسر للأواني لا للنفس ، لذا فالمراد من المجاز هنا هو القطع بشكل تام عن الشهوات ، فلا تهاون أو مرونة في ذلك الموقف، و بذلك تكون عملية التردد للجرس الصوتي بمثابة المنبه للسامع إلى ما قصده المتكلم ، و قد أسهم هذا التردد في عملية الاقتناع و الامتاع من خلال شدّ انتباه المتلقي مما جعله حاضر الذهن ومتفاعلا مع المتكلم ،أضف الى ذلك مساهمة البنية الموسيقية للنص التي أحدثت ايقاعا ترنو له النفوس (١) .

و مثل هذا النوع من السجع ما ورد من خطبة له ﷺ
يصف فيها القرآن جاء فيها: ((جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَظَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رِبِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَ
مَحَاجًّا لِبُطْرِقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَ نُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ
وَ مَغْلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ وَ عِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنْ انْتَمَ بِهِ)) (٢).

يرسم لنا هذ الخطاب حب القرآن الكريم ؛ إذ هو دستور السماء و ربيع القلوب ؛ لأنه هو خير ما يثبت في النفس عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وخير ما يفسح أمام العقل آفاق العلوم والمعارف الإنسانية ، وخير ما يسكب في القلب برد الطمأنينة و الحب والرضا ، وخير ما يمكن أن نُنَاجي به الله تعالى في هدأة الأسحار ، فإذا ارتبط قلب الإنسان بالقرآن وفتح عينيه على آياته فإنه لن يعرف مبدأً يعتقدده سوى مبادئ القرآن الداعية للحب و السلام ، ولن يعرف تشريعاً يستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولن يعرف بلسماً لروحهِ وشفاءً لنفسهِ سوى التخشُّع بآيات القرآن (٣) قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى لِلَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)، وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الاسراء: ٩) ، لذا فالمبدع العظيم يصفه بأنه (ريًّا

(١) ينظر: الاتساق الصوتي في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشر دراسة في ضوء لسانيات النص ، حوراء

غازي عناد السلامي، ص ٥ - ٦

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨، ص ٣٩٣

(٣) ينظر : لماذا نحب القرآن إلى أبناؤنا ، د.أماني زكريا الرمادي ، مقال منشور على الانترنت ، موقع صيد

الفوائد ، <https://saaid.net/tarbiah/120.htm>

لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَ مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ (...)" ، فاستعار لفظ الري له بعده دافعا لألم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء ألم العطش ، و لفظ العطش للجهل البسيط ، أو لاستعداد الطالبين للعلوم و اشتياقهم إلى الاستفادة ، و استعار لفظ الربيع كونه مرعى لقلوب الفقهاء يستثمرون منه الأحكام ، و بهجة لها كالربيع للحيوان ، و هو طريق و اضح للصالحين إلى الله ، و شفاء لا يخشى سقامه ، و لا تبقى مع هدايته إلى الأحكام ظلمة على البصيرة ، ثم استعار المبدع العظيم لفظ الحبل و العروة (وَ حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ) ، لما يتمسك به منه ، و كَتَّى عن وثاقة عروته عن كونه منجيا لمن تمسك به ، و استعار لفظ المعقل (وَ مَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرْوَتُهُ) ، باعتبار كونه ملجأ من الجهل و لوازمه و هو العذاب ، فهو عزّ و أمن لمن تولّاه " (١).

نلاحظ في هذا الخطاب المسجوع تنوّع الحروف ، حيث أنه أضيف على كلام المبدع جمالا فنيا ، مع الاستعارات التي تكلفت في الخطاب ذات التصوير الفني الجميل ؛ إذ لم يقدم السجع المتوازي في هذا النص موسيقا داخلية فحسب ، بل قدم معنى أمتع القارئ ، فعطش العلماء ، و طرق الصلحاء دواء ليس بعده داء ، و قد أتى الاقتناع حين بلغ ﴿الْعِلْمُ﴾ من البلاغة حد الإعجاز في اختيار الفاظ تركيبية ، فاستعمل لفظ العطش مضافة إلى العلماء ، ربما لأن سمة العالم عدم الاكتفاء بمعلوماته و السعي إلى المزيد من العلم دائما تحببا إلى بالله تعالى و رغبة في مرضاته حين ميّز العلماء بقوله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩) ، و تحفيزا لهم للبلوغ من العلم مراتب مميزة حين قال لهم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦) ليحثهم على الاستفاضة بالعلم ، و التواضع ، إذ إن آفة العلم الغرور و الهوى ، و هذا الاقتناع يكن فقط من روعة اختيار المفردات ، بل جسد السجع متعة التلقي حين انتهت فواصل الجمل بالهمزة ، و الهمزة صوت شديد قوي^(٢) يصل اللفظ من خلاله إلى السامع برسوخ و قوة فزادت درجتا الاقتناع و الامتاع في خطاب الحب هنا التي ولدت اقناعا و إمتاعا في نفس المتلقي ، فاستعمل الامام ﴿الْعِلْمُ﴾ في نهاية الفقرات (جَعَلَهُ اللَّهُ رِبًا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعاً لِقُلُوبِ

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٤٢٩ - ٤٣٠

(٢) ينظر : الاصوات اللغوية ، ص ٧٧

الْفُقْهَاءِ وَ مَحَاجِّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ) (الهمزة) في (العلماء ، الفقهاء ، الصلحاء) و استعمل في الفقرات (وَ حَبْلًا وَثِيقًا عُرُوْتُهُ وَ مَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ) ، (الهاء) في (عروته ، ذروته)، و هذا أدى الى حدوث التوازن بين الفقرات مع المحافظة على تكثيف الصوت المكرر و المساهمة في عدم تشتيته ، فالتكرار المتمثل بالسجع المتوازي يجعل للمفردة لغويا دورا مميزا من خلال إعطائه إيها توكيد الحالة الوجدانية التي تقدمها نغمة التكرار ، و شيوع المقاطع الصوتية المنتهية بصوت (الهمزة) ، و (الهاء) و ترديدها في نهاية الفقرات بإيقاع منتظم و مسافات ثابتة ، يجعل من فقرات النص أكثر تماسكا و انساقا من جهة الصوت ؛ لأن من مزايا السجع هو ان ترتبط الفاصلة بما قبلها من الكلام بحيث تتحدر على السمع انحدارا ، و كأن ما سبقها تمهيدا لها ، فشكل الإيقاع المتكرر بمثابة الرابط الذي يربط بين الفقر و يسوّر فضاء النص^(١) .

٢- السجع المرصع

يعرّف بأنه " مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة من وزنها و رويّها " (٢). و يعد من أحسن وجوه السجع (٣) ، و قد ورد هذا النوع منه في نصوص نهج البلاغة و مثله ما جاء في خطاب الإمام (عليه السلام) قاله قبل وفاته جاء فيه : ((إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيّ دَمِي وَ إِنْ أَفْنُ فَأَلْفَنَاءُ مِيعَادِي وَ إِنْ أَعْفُ فَأَلْعَفُو لِي قُرْبَةً وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَأَعْفُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ وَ لَا طَالَعٌ أَنْكَرْتُهُ وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ))^(٤) .

من الوصايا الهامة التي أوصانا بها الله جلّت قدرته، و التي أكّد عليها كثيرا في القرآن الكريم ، أن يعفو بعضنا عن بعض ، قال تعالى ، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الاعراف: ١٩٩) ، و قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

(١) ينظر : الاتساق الصوتي في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشتر دراسة في ضوء لسانيات النص ، ص ٧

(٢) علم البديع ، ص ٢١٨

(٣) ينظر : كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، ص ٢٦٣

(٤) نهج البلاغة ، كتاب ٢٣ ، ص ٤٧٩

وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (آل عمران: ١٣٤) ، و معنى ذلك " يعني الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو و التجاوز عنه مما لا يؤدي إلى الإخلال بحق الله تعالى ، و أي فعل من ذلك فهو محسن و الله يحبه بإيجاب الثواب له " (١) ، و نهج علي (عليه السلام) هو نهج القرآن ؛ لأنه ربيب البيت النبوي ، فلا ريب أن خطابه ينسجم كل الانسجام مع مبادئ القرآن الكريم الذي حثّ أهل بيته و أصحابه و رعيته على اتباعه ((وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ ...)) (٢) ، فقول المبدع : (إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيٌّ دَمِي وَ إِنْ أَفْنَى فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي وَ إِنْ أَعَفَ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ فَاعْفُوا ...) ، " و هو بيان أمره مع قاتله على تقديري فنائه و بقائه ، و يشبه أن يكون في الكلام تقديم و تأخير، و التقدير، فأنا ولي دمي ، فإن شئت أقيمت القصاص ، و إن شئت عفوت ، فإن أعفو فالففو لي قربة ، و إن أفن فالفناء ميعادي ، فإن شئت فافقتلوا قاتلي ، و إن شئت أن تعفو فالففو لكم حسنة فاعفوا ، و هذا يجسد حب الروح الإنسانية و حب تطبيق الأحكام الشرعية، ثم أقسم أنه ما أتاه من بغة الموت وارد كرهه و لا طالع ينكره ، و صدقه في ذلك ظاهر فإنه (عليه السلام) كان سيد الأتقياء بعد سيد الأنبياء ، و من خواص أتقياء الله شدة محبة الله و الشوق البالغ إلى ما أعدّ لأوليائه في جنات عدن ، ثم شبه نفسه في هجوم الموت عليه و وصوله بالقارب الذي ورد الماء ، و وجه الشبه استقربه لتلك الخيرات و وثوقه بها و استسهاله بسببها آفات الدنيا و شدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش و تعب الطريق ، و فيه إيماء إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء ، و كذلك شبه نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه ، و وجه الشبه كونه أقرّ عينا بما ظفر به من مطالبه الأخروية ، كما يطيب نفس الطالب للشيء إذا وجدّه " (٣) .

استعمل المبدع السجع المرصع معطيا خطابه نبرة تلائم سياق الوجدان ، وتحفز المتلقي مخاطبة عقله مقنعة إياه حين قال مشبها (وَ مَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ) ، فمن الحري أن يكون القارب وسيلة انتقال و وصول معا، و كذلك الطالب الساعي ينتقل من مرحلة علم إلى أخرى و يصل إلى مرتبة علمية أعلى ، و هذه المرتبة لا تحدد بالضرورة

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ٣٥٠ / ٢

(٢) نهج البلاغة ، الكتاب ٤٧ ، ص ٥٣٧

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣٥٦ / ٤

وضعا اجتماعيا ، لكنها تقيس مقدار الثقافة و العلم ، و من هنا كانت اللغة مقنعة و السياق اللغوي ثريا بدلالات الواقع ، لكن السجع المتمثل بنهاية رسمها صوت الدال وضعنا أمام صوت له القدرة على ضبط النفس و إعطاء قوة في النطق ، فزاد السجع المرصع المشهد عمقا ، و كان خير معين على توسيع دائرة الاقناع و الامتاع في خطاب الحب الذي أبدع بعده علي عليه السلام ، فكان السجع المرصع في قوله : (وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ) ، فلو تأملنا الكلمات (قارب ، طالب) و (ورد ، وجد) لوجدناها على وزن (فاعل) و (فعل) ؛ إذ جاءت هذه الالفاظ متفقة في الوزن و القافية ، فقد أوحى نهايات الفواصل المختتمة بصوتي (الباء ، الدال) و المتصفة بالشدة^(١) إلى قوة إيمان المبدع العظيم في إقباله على الموت معبرة عن صدقه في ذلك ، إذ شبّه المبدع نفسه بالقارب أبحر في الدنيا و قد ورده في نهاية المطاف مرفأه ، أو كطالب وجد ما يبتغيه^(٢) ، و قد ساهم التشبيه مساهمة فعّالة في عملية الاقناع " و قيمته لا ترجع فقط للعلاقة بين طرفيه و لا يؤتى به ليكون زينة زخرفية تحسينية و لا حلية لفظية ،و إنما ليزيد المعنى وضوحا فيقتنع به المتلقي للتعبير عن نفسه و تصويره لما يدور في خاطره و عقله و تقريبه للمسافات بين ما هو محسوس و ما هو ملموس و هذا ما جاء به الدرس الحجاجي المعاصر ؛ إذ جعل من قيمة التشبيه في حجاجيته و اقناعيته " ^(٣) ، و أن هذه السجعات جاءت متناغمة من حيث القوة مع ما يطلبه الابحار، و قد يراد من ذلك أن حاله كالظمان يبتغي الوصول لمنهل أسرع بدلالة (قارب) ، و هو البحث عن الماء ليلا ، أو الشخص الذي تفصله مسيرة ليلة و احدة عن الماء^(٤)، كما أن الجناس اللاحق الذي حصل بين(ورد ، وجد) قد زاد النص جرسا و تنغيمًا و بهذين المظهرين أي (السجع المرصع ، الجناس اللاحق) خلق حالة من الاتساق الصوتي و التناغم الموسيقي مسببا متعة للمتلقي^(٥).

و من خطبة له عليه السلام تُعرف بالغزاء جاء فيها : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَ

(١) ينظر : الاصوات اللغوية ، ص ٢٤

(٢) ينظر : الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص) ، ص ١٩

(٣) أليات الاقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء انموذجا) ، ص ١٣١

(٤) ينظر : لسان العرب ، مادة (قرب) ، ٢ / ٦٦٦

(٥) ينظر : الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص) ، ص ١٩

دَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحَ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ
وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أُوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَاً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَ أَتَوَكَّلُ
عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً))^(١).

إن ثناء العبد على الله سبحانه و تعالى هو تمجيده له جلّت قدرته ، و هو سنام
الحب الأعلى فيبدأ دعاءه بحمد الله وشكره ، و ندائه بأسمائه الحسنى و صفاته العليا ، و
أن يعترف العبد بذلّه و ضعفه بين يدي ربّه ، و يعترف له بعظيم فضله و سابغ نعمه و
كرمه ، والثناء على الله صفة يحبها الله تعالى في عبده و هي أدعى لإجابة دعاء الداعي

الْحَمْدُ يَبْقَى لِي وَإِنْ تَلَفَتْ نَفْسِي وَفَاتَ الْأَهْلُ وَالْوُلْدُ
وَالْمَالُ تَأْكُلُهُ النَّوَابِئُ وَالْأَحْدَاثُ حَتَّى مَا لَهُ رَدٌّ^(٢) الْكَامِلُ

فقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ﴾ إشارة إلى علوه عزّ وجل على كل
شيء ، لكن لا بالمعنى المتعارف في الخلق من الفوقية الحسية و الخيالية ، بل العلو بالعلبة
و القهر و الاستعلاء بالقدرة و القوة ، و قوله : (وَ دَنَا بِطَوْلِهِ) إشارة إلى قربه من كل شيء
، لكن لا بالمعنى المتعارف في الأجسام المتقاربة ، بل القرب بالسعة و الفضل و الدنو و
الإحسان و العطية ، و هو سبحانه (مَانِحَ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ)
؛ لأن كل نعمة مبدؤها وجوده و كل عطية منشؤها كرمه ، فهو منزل النعم الجسام ، و
منفس الكرب العظام ، قال تعالى : ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣) ، و قوله
: (أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أُوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَاً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً
وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً) ، فالكريم من أسمائه الحسنى و هو الجواد
المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه ، و يفيض الخير عنه من غير بخل ، و عواطف كرمه
سبحانه ، عبارة عن فيوضاته العائدة إلى العباد مرة بعد أخرى ، و عن خيراته النازلة إليهم
تتري ، فإنه سبحانه لا يفتقر عن كثرة العطاء ، و لا يعجز عن الجزاء و جوده يعلو كل
جواد و به جاد كل من جاد^(٣) ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٠

(٢) ديوان الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الملقب بالشريف المرتضى ، ١ / ٣٣٢

(٣) منهاج البراعة ، ٥ / ٢٨٩

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (لقمان : آية ١٢).

يعطي السجع المرصع الخطاب زينة لفظية و إيقاعا محببا ، و هذا ما نجده في قوله ﴿الْعَلِيُّ﴾ (مَآحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزْلٍ) في خطاب المبدع العظيم ، لكن ما زاد النص متعة هذه الموسيقى التي قدمها صوت اللام، فكانت اللام امتدادا إيقاعيا للسجع المرصع زادته زينة بما تملك من مرونة التكرار الصوتي ، فاللام حرف يفيد التكرار معطيا إيقاعا ممتعا و موسيقا هادئة تلائم سياق الحب فتمتع المتلقي ، فاللام التي انتهت بها السجع تضافرت مع التاء المربوطة المنونة التي قدمت جرسا موسيقيا محببا زاده صوت اللام خصوصية إيقاعية جذبت المتلقي فكرا و عاطفة ، لكن السجع أيضا قدم لنا إيقاعا حين كانت جزئياته متينة و ملائمة ، فالمنح عطاء و العطاء في ميدان الطهر غنيمة ، و كذلك كاشف كل عزيمة و أزل ، فحين يكون الأمر بسيطا لا يكون كشفه مميذا لكن كاشف العظيم عظيم ، و هذا جعلنا أمام تذوق خاص للجزئيات اللغوية و ما وهبته من معنى فبلغت عتبة الإقناع مبلغا عظيما مترافقا مع متعة مميزة ، و لم يقف المشهد الموسيقي الموحى عند لفظتي (فضل و أزل) بل اتحد هذا المشهد إيقاعيا مع بقية البديع اللفظي المتمثل بالسجع المرصع مشكلا بنية معنوية بلاغية لغوية معا ... لها القدرة في تحفيز الاثارة و المتعة و ترسيخ الفكرة في أعماق المتلقي وإقناعه ، و تجسد السجع المرصع في قوله ﴿الْعَلِيُّ﴾ أيضا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ) و قوله : (أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ) ، فالمتمأمل في هذه الفقرات يجد قول المبدع في : (عَلَا بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ) أن كل من (علا ، دنا) و (حوله ، طوله) جاء كل منهما على وزن واحد ، و هو (فعل) ، و (فعل) ، و قوله: (عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ) ، إن كل من (عواطف ، سوابغ) ، و (كرمه ، نعمه) جاء على وزن (فواعل) ، و (فعله) ، و لا ريب أن هذا الخطاب زاخرا بالموسيقى ، حيث تنوعت فيه آلات التنغيم ، فليس السجع وحده يحتكر إيقاعاته ؛ إذ كان للتوازن بين فقراته دورا مهما و رئيسا في إثراء النص بالموسيقى ، " فقد حقق السجع إيقاعا صوتيا تفاعل في الشكل و المضمون و امتزج فيه الصوت بالدلالة " (١)

(١) الاتساق الصوتي في عهد الإمام علي (ع) لمالك الاشر دراسة في ضوء لسانيات النص ، ص ٧

مستثمرا حركة الروي (الهاء ، اللام) في بيان صفات الله تعالى ، و قد حقق هذا التفاعل (الشكل ، المضمون) امتاع المتلقي و اقناعه .

٣ - السجع المطرف

و يعرف بأنه " ما اتفقت فاصلتاه في الحرف الأخير دون الاتفاق في الوزن ، و سمي مطرفا لأن الحسن فيه وارد في الطرف " (١) .

و من تمثلات هذا النوع من السجع قول الإمام (عليه السلام) لمالك الاشتر : ((وَ أَشْعُرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِمْ ... وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ وَ لَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ)) (٢) .

إن الإمام العادل هو من يرسم العلاقة بينه و بين ولايته من جهة و بين رعيته من جهة أخرى ، و هذه العلاقة تقوم على أساس المحبة و الرحمة المتكاملة بطاعة الله تعالى و تنفيذ أوامره (وَ أَشْعُرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِ)، " و هي فضائل تحت ملكة العفة : أي اجعل هذه الفضائل شعارا لقلبك " (٣)، لقد كان لخطاب المبدع العظيم اثرا واضحا في سلوك الولاة و الرعية لما يمتلكه من مقومات واسلوب في مخاطبة الناس بمختلف طبقاتهم فكان للكلمة الطيبة و الاسلوب الحسن أثرهما الواضح في نفوس الناس " فالدعوة الى الاقناع في مخاطبة السامعين ، تقوم على مبدأ الكلمة الطيبة الرقيقة العذبة التي تستقطب آذان السامعين ، مما يجعل القائم بعملية الاقناع ينفذ إلى قلوبهم من جهات مختلفة ؛ لأنه الترجمة المصادقية لمفهوم الحب ، فالمبدع يعطي الخطوات العملية في الواقع المرتقب عيشه في عالم الحب و هو يسري إقناعه وإمتاعه على مدى الأيام إلى يومنا هذا ، بل إلى يوم القيامة ، و عليه يبين لهم أنه حريص على إسعادهم و فهمهم ، و هذا مصداق لقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

(١) دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية ، د . عبد الجواد محمد طبق ، ص ٢٤

(٢) نهج البلاغة ، كتاب ٥٣ ، ص ٥٤٤

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ١٣٣

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فالإنسان السهل التعامل ، لئِن اللسان ، رحيم بالعباد يجذب أكبر عدد من الجمهور ، أما إذا كان جافيا في المعاملة الخطابية و قاسي اللسان ، فاعلم أن جمهوره قد شنته " ^(١)، فقله ﴿الْعَلَّامُ﴾: (و لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ...) ؛ إذ نهاه أن يدخل في مشورته البخيل و الحريص و الجبان ، لحدوث المفسدة من مشاورة هؤلاء ، فالبخيل يميل بالوالي عن الفضل ، و الحريص يزيّن للوالي الشرّة بالجور ، و الجبان لا يشير إلا إلى التخويف من العدو و حفظ النفس ^(٢) .

يبدو السجع المطرف هنا آلية بديعية فعّالة في كشف التباين بين (لهم ، بهم) ، و هذا ناسب سياق اللفظ حين كان الوزن مختلفا ، فقدم إيقاعا متباين الدرجات ، و هذا الإيقاع لاعم اختلاف الفحوى المعنوي ؛ إذ يبدو المشهد كتلة من الموازنة المبطنة بين الحقوق و الواجبات ، فحقق السجع المطرف بعدم اتفاق أوزان جزئياته اقناعا و امتاعا معا ، إنها متعة التذوق حين تنتهي الجزئيات بحرف شفوي هو الميم و ما يوحيه ، و هذا الأمر كان ثنائية منسجمة بين المعنى و المبنى ، و كان مولدا دلاليا ارتقى بلغة الخطاب إلى ما يلائمها في سياق خطاب الحب و قد حصل السجع المطرف كذلك بين الالفاظ (الفقر ، الأمور ، الجور) ، فجاءت هذه الكلمات على قافية واحدة ، و هي (الراء) ، مع اختلافها في الوزن ، و تظهر براعة المبدع في اختيار و توزيع الالفاظ موظفا إياها في النص لتعزيد الدلالة المركزية وفق إطار موسيقي يطرق الاسماع و ترنو إليه النفوس محققا في ذلك امتاعا للمتلقي ، أضف إلى ذلك تحريك الأذهان في تتبع المعنى بسبب ما أحدثه حرف (الراء) من إيقاع في النص و دلالته على شيوع الوصف مما ولّد حالة من الاقناع للسامع ، فصوت الراء بتكرارته الاهتزازية يوحى بتكرار الحال في مختلف الازمان و تكرار العمل بالرحمة القلبية مع الرعية، يجعلنا نستحضر صورة بعض الاصناف من الناس (البخيل ، الحريص ، الجبان) و ما تسببوا به من هلاك و فقر و جور على الرعية ، كما يوحى بأن هؤلاء بما

(١) بلاغة الاقناع في الخطبة البتراء لزياد بن ابيه ، سناء زايدي ، ص ٥٠

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ١٣٨

يتمتعون من صفات يؤدون بحاكمهم إلى الهلاك^(١) .

" و مما سبق ظهر أن السجع أحد أهم أدوات الإمام عليه السلام في التنعيم الإيقاعي ،
فقد ورد كثيرا في كلامه بأنواعه، وهو في ذلك يطلبه ويتوخى فيه اتساقا نصيا متماسكا^(٢) .

ثانيا: الجناس

يعرّف الجناس بأن " تجيء كلمة تجانس أخرى في بيت شعر ، أو كلام أي أن
تشبهها في تأليف حروفها " ^(٣)، و كذلك قيل " أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه و
يختلف معناه " ^(٤) ، و قيل أيضا بأنه " تشابه اللفظين في النطق ، و اختلافهما في
المعنى " ^(٥) .

و قد تطرّق الجرجاني إلى هذا اللون من البديع موصيا الاديب أن يضع المعنى أولا
نصب عينيه لا أن يجيء بالجناس ، أو أي من المحسنات الاخرى فيضيع المعنى فيقول :
" أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا
جميلا ، و لم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أ تراك استضعفت / تجنيس أبي تمام
في قوله :

ذهبت بمُذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أ مذهب أم مُذهب (الكامل)

و استحسنت تجنيس القائل :

حتى نجا من خوفه و ما نجا (الرجز)

لإمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول و قويت في الثاني ،
و رأيته لم يزدك (بمذهب و مذهب) على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة لا تجدها
إلا مجهولة أو منكورة ، و رأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة و كأنه يخدعك عن الفائدة و قد

(١) ينظر : الاتساق الصوتي في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشتر دراسة في ضوء لسانيات النص ، ص ٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨

(٣) كتاب البديع ، عبد الله بن المعتز ، تعليق : اغناطيوس كراتشكوفسكي ، ص ٢٥

(٤) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ٢ / ٣٥٦

(٥) البديع في ضوء أساليب القرآن ، د . عبد الفتاح لاشين ، ص ١٥٩

أعطاهما ، و قد تبين لك أن ما يعطي (التجنيس) من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان اللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن و لما وجد فيه معيب مستهجن ، و لذلك دُمَّ الاستكثار منه و الولوع به " (١) .

" وإذا كان الجنس يؤلف في مكونه البنائي مظهراً من مظاهر الموسيقى الناجمة عن تجانس اللفظتين و انسجامهما معاً ، فإنه يؤدي دلالة تعبيرية تسهم في تقرير المعنى في ذهن المتلقي وتجعله مقبولاً لديه ، كما يشهد لصاحبه بتمكنه من اللغة ، والبصر بدقائق أسرارها ، وقدرته على التصرف في معطياتها " (٢) .

و من خلال ما ذكرناه يتبين لنا أن للجناس تأثيراً واضح في عملية الإقناع و الامتاع ، " حيث يستمد طاقته الحجاجية من تكثيف الإيقاع الناتج عن السجع ، و خلق جرس قوي . و يتصل مفعوله الحجاجي بأسر السامع و تنبيه اللاهني و تذكير الناسي فتكون الأعناق الى الخطيب أميل ، و العقول عنه أفهم ، و النفوس إليه أسرع و تتسرب معانيه الى السامع من حيث لا يحتسب ، فيتهيأ لقبول الدعوى و يتحفّز للعمل بأوامرها و نواهيها ، و قد ترسّخت في ذاكرة الاصحاب ، فلانت عريكتهم ، و تحركت نازعة الشفقة فيهم فأمسكوا ينصتون كأن على رؤوسهم الطير " (٣) .

" و لما كان الإيقاع المنسجم و المتوازن يشدّ النفس إليه ، و يجعلها أكثر تشويقاً و قبولاً للفن القولي المتوفر عليه ، عن طريق خلق جو موسيقي تتساب معه النفس و تطرب له الاذن فقد جاءت ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) في خطبه تحمل في طياتها عناصر موسيقية وفرت جوا خاصا ساعدت على تحقيق الأثر الذي يسعى اليه . و يبدو أن الأمر يجب أن يكون مرجعه الى اللفظ الذي يتأتى من خلاله ذلك الجمال في جرس الاصوات في الكلمة ،

(١) اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ص ٧ - ٨

(٢) ظاهرة الجنس في خطب الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) و رسائله ، د حسن عبد العال ، ص ٢٦٠ (بحث)

(٣) مجلة أنساق ، مجلة علمية دولية تصدر عن قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة قطر ، المجلد الاول ، العدد الثاني ، ٢٠١٧ ، ص ٢٣٢

أو الكلمات إلى دلالة الألفاظ نفسها ، لأن الجناس هو ملائمة الأصوات بعضها لبعض ، و عدم تنافرها ، و انسجامها في النطق " (١)

أنماط الجناس

ورد التجنيس في نصوص نهج البلاغة بأشكاله المختلفة ، و ذلك لتعزيز الجانب الإيقاعي النغمي ، و خلق حالة من الانسجام الصوتي لها الأثر البين في جذب ذهن السامع لإثارة عنصر التوقع لديه محققا في ذلك امتاع المتلقي و إقناعه ، و من أنماط الجناس الواردة في كلام الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يلي :

١ - الجناس التام

هو ان يتفق ركناه في اللفظ و يختلفا في المعنى من غير تفاوت في تركيبهما و اختلاف في حركاتهما و يشمل الاتفاق اللفظي نوع الحروف و عددها و هيئتها و ترتيبها ، و يعد هذا النوع أعلى رتبة من أنواع الجناس الأخرى ، وأكملها ابداعا^(٢).

و قد ورد هذا النوع من التجنيس في نصوص نهج البلاغة و منه قول الإمام (عليه السلام) :
(عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ وَ الزَّمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَ الرِّيَّ بِالظَّمِّ وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظَّوْا الْأَجَلَ ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ ...)^(٣)

إن المتقين هم أولياء الله في الحقيقة (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس : آية ٦٢ - ٦٣) ، و هم أصحاب الولاية حقاً، المجتهدون في فعل الطاعات والنوافل ، قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : إن الله تعالى يقول :
(لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فأكون أنا سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به فإذا دعاني أجبتة وإذا سألني أعطيته

(١) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ظافر عبيس عناد الجياشي ، ص ١٦١

(٢) ينظر : فن الجناس ، علي الجندي ، ص ٦٢ ، و جنان الجناس في علم البديع ، صلاح الدين الصفدي ، ص ٢٠

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٤ ، ص ٢١٢

وإذا استنصرني نصرته وأحب ما تعبد لي عبدي به النصح لي^(١) ، إن قول الإمام **﴿الْبَلَاءُ﴾** : (إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ وَ أَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ ...) ؛ إذ " وصف ما يستلزم تقوى الله تعالى من الآثار في أولياء الله ، و وصف الليالي بالسر ، و الهواجر بالظماً لكونهما ظرفين ، فالليالي لقيام الصلاة و النهار للصوم ، فكان مجازاً من باب إطلاق صفة المظروف على الظرف ، و أخذهم الراحة : أي في الآخرة ، بالنصب : أي بالتعب من القيام في الليل " ^(٢) .

الشاهد في قول المبدع لفظة (الأجل) ، حيث تكررت في الخطاب مرتين بمعنيين مختلفين في الأولى كانت بمعنى المدّة ، و في الثانية كانت بمعنى الموت نفسه^(٣) ، و معنى ذلك " أنهم عدواً الآجال أي مدّة الأعمار قريباً ، فسارعوا إلى الأعمال الصالحة وتهيأوا لزد الآخرة ، وأنهم كذبوا الآمال الباطلة ولم يغتروا بالأمنيات العاطلة فلاحظوا الموت " ^(٤) .

" وقد اتفق اللفظان فيه بنوع الأصوات صوامتها مع الاتفاق في صوائتها - الأحرف - ، ووزنها ، وعددها ، وترتيبها ، غير أن الفرق بينهما واضح في دلالة اللفظ على المعنى من خلال قرينة السياق " ^(٥) ، فكان الجناس مقوماً جمالياً في هذا المقطع ؛ إذ اعتمده **﴿الْبَلَاءُ﴾** في عملية خلق تحفيز تفاعلي و إثارة جمالية ، و ذلك بشد أوامر تلك الإثارة إيقاعياً ، فكان أمام انسجام لفظي و إيقاعي و دلالي في اللفظين المتماثلين نطقاً (أجل : المدّة ، و أجل : الموت) فتوحدت الدلالة رغم اختلاف المعنى حين اجتمعت في الجو العام السياقي لتقدم فكرة موحدة أفنعتنا بما يفعل عباد الله ، و كان الجناس التام أداة تجاوز من خلالها **﴿الْبَلَاءُ﴾** البنية اللغوية الشكلية ليدخل في إنتاج الدلالة اللغوية بما تحمل في هذا الخطاب من تأكيد صفات المتقين ، وقد لعب المجاز الوارد في النص دوراً رئيساً في عملية الاقناع من

(١) كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ، ١ / ٢٢٩

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٩٥

(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ٧ / ١٧٥

(٤) منهاج البراعة ، ٨ / ٥١

(٥) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ص ١٦٤

خلال المشابهة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي ^(١) و هذا بحد ذاته امتاع و إقناع معا.

٢- الجنس الناقص

و يعرف هذا النوع من التجنيس بأنه " ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر ، مع اتفاق الباقي في النوع و الهيئة و الترتيب " ^(٢) ، و سمي بالناقص " لأن اختلاف الركنين في عدد الحروف يلزم منه نقصان أحدهما عن الآخر لا محالة " ^(٣).

و قد ورد هذا النوع من الجنس في خطابات نهج البلاغة ، و من أمثلته قول المبدع واصفا أهل البيت (عليهم السلام): ((لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَساسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَ فِيهِمْ الْوَصِيَّةُ وَ الْوَرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ (...)) ^(٤).

" إنَّ محبة أهل البيت عليهم السلام والولاء لهم عنصر أساسي من عناصر العقيدة ومقومات الايمان و مرتكزات الرسالة المحمدية الغراء ، و لقد جاءت النصوص القرآنية والحديثية واضحة و صريحة في تأصيل هذا المبدأ الولائي و تعميق دلالاته ومعطياته " ^(٥) قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٦) ، و قال الإمام الرضا (عليه السلام): (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وعن حبنا أهل البيت) ^(٧) ، فقول الإمام علي (عليه السلام): (لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ (...)) ، " فهو مدح لهم مستلزم لإسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم

(١) آليات الإقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء إنموذجا) ، ص ١٣٢

(٢) البلاغة العربية أسسها و علومها وقنونها ، عبد الرحمن حسن الميداني ، ٢ / ٤٩٢

(٣) فن الجنس ، ص ٩٣

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٢ ، ص ٢٥

(٥) حب اهل البيت في الكتاب و السنة ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع منتدى الكفيل ،

<https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=321>

(٦) الشورى ، آية ٢٣

(٧) كنز العمال ، الحديث ٣٩٠١٣ ، ١٤ / ٤٤٧

و استحقاق منزلتهم "(١) ، و قوله : (هُمُ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَ الْوَرَاثَةُ الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ) : أي " آل محمد عليهم يقوم الدين كما يقوم البناء على أساسه ، و هم أهل و رعاته و المدافعون عنه ، و هم مبلغوه و ناشروه ، و هم الميزان ، فمن أراد أن يعرف كفره من إيمانه ، و شكّه من يقينه ، و عدله من ظلمه ، و حقه من باطله ، أن ينظر إلى أهل البيت ، فإن كانت أفعاله كأفعالهم ، و سلوكه كسلوكهم ، فهو الصحيح السليم على الصراط المستقيم " (٢) .

و قع الجناس الناقص في خطاب المبدع العظيم ((إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي)) بين كلمتي (الْغَالِي) ، و (التَّالِي) ، و الاختلاف بين الحرفين (الغين ، التاء) و هما بعيدي المخرجين ، فالغين " صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم " (٣) ، و التاء " صوت شديد مهموس " (٤) ، و هذا الأمر أدى إلى زيادة موسيقى العبارة في النص (٥) ، و لا بد من الإشارة إلى أن الجناس الناقص هنا أثار في النفس موازنة وانسجاما و متعة مشهدية نصية من خلال موازنة لفظتي (الغالي) و (التالي) ؛ إذ ان التضايف في الإيقاع الصوتي و الدلالي بين هاتين المفردتين رفع من سوية الانساق اللغوية، و إثارة جمالياتها و إمتاعها المتلقي الذي شده خطاب الحب ، فكان الحراك الجمالي على مستوى تقنية الجناس الناقص متناميا جماليا وفق المثير المتحقق بآلية تكرار معظم حروف الكلمتين صوتيا ، إذ كان الإمتاع الجمالي مؤسسا على بلاغة الرؤيا و شعرية العبارة و تنامي الوعي في إبراز الدلالة المتمثلة بتأكيد صفات المؤمنين عباد الله ، و من هنا كان الإقناع بما يتحلون به ، و كانت الرؤية الجمالية بما حقق هذا الجناس من متعة في هذا المقطع من الخطاب. و من هذا النوع من التجنيس ما ورد من خطبة له يصف فيها القرآن الكريم جاء فيها : ((جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَ مَحَاجًّا لَطُرُقِ

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ١ / ٣٠٦

(٢) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ١ / ٧٠

(٣) الاصوات اللغوية ، ص ٧٥

(٤) الاصوات اللغوية ، ص ٥٣

(٥) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، أحمد الهاشمي ، ص ٤٠٠

الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءٍ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَ نُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ وَ مَغْفَلًا مَنِيعًا
ذُرْوَتُهُ وَ عِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنْ اتَّكَمَ بِهِ وَ عُذْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَ
بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ شَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ^(١) .

لقد بيّن الباحث معالم الحب في هذا الخطاب في موضوع السجع ^(٢) ؛ إذ يتحدث المبدع العظيم عن أثر القرآن الكريم في نفس الإنسان ، و هو دستور السماء ، و التمسك بعروته إحياء للقلوب و ربيعاً لها و يتّجى من عذاب الآخرة .

الشاهد في قول المبدع (دواء ، داء) ، حيث نقص اللفظ الثاني عن اللفظ الأول بحرف الواو ، فحدث التجنيس بينهما ، و أدى هذا الاستعمال دوره إلى تكوين بنية إيقاعية ، فالأصوات تتشابه مع بعضها البعض من حيث الصفات ، فهي تتصف بالجر ، كما أنها استطاعت تغطية النقص الحاصل في اللفظ (داء) و تمنح النص صفتها ، لذا فقد لبّت حاجة النفس إلى الموسيقى المتباينة و التي تخلق حالة من توجه القلوب الى خالقها ، فنقص الواو في (داء) و ثبوتها في (دواء) ، أكسب اللفظين معنيين متضادين ، فالداء مرض يصيب الجسم ، و الدواء ضده وسبباً لرفع علة المرض " وهكذا وفرّ هذان اللفطان ثراءً موسيقياً منسجماً ، إذ لا نلاحظ فيهما أيّ تنافر أو تجاذب ، بل هما قد صُبا في قالب واحد ؛ لأجل إقامة انسجام تشاكلي إيقاعي رائع يشغل المتلقي ويشير إعجابه ، فضلاً عن تفاعل اللفظ والمعنى الذي يجعل اللفظين منسجمين ومتسقين ، مما يساعد على إيجاد استجابة في نفسية المتلقي تجعله يتفاعل مع دلالة اللفظين ، وإيجاد وجهة الاتفاق بينهما " ^(٣) . و قد حقق هذا الثراء الموسيقي امتاعاً للمتلقي فضلاً عن تحقق عنصر

الاقناع بفعل التشبيهات الواردة في النص (جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ) ، فشبه " شدة اشتياق نفوس العلماء و حرصهم على المعارف الحقّة الإلهية بعطش العطّاش ، و حيث ان الكتاب كان رافعاً لغللهم جعله مروياً لهم كما يروى الماء الغليل و قوله : (ربيعاً لقلوب الفقهاء) لابتهاج قلوبهم به و استلذاذهم منه كما يبتهج الناس في الربيع ، و قوله : (محاجّ

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٨ ، ص ٣٩٣

(٢) خطاب الحب في نهج البلاغة ، ص ٩٨

(٣) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ص ١٦٥

لطرق الصلحاء) : أي جواد واضحة مستقيمة لا عوج فيها و لا خفاء ، لأنه يهدي للتي هي أقوم " (١)

٣- الجنس المضارع

يعرّف هذا القسم من الجنس بأنه : " ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما مع تقاربهما في النطق ، في الأول أو الوسط أو الآخر ، مثل : الخيل و الخير ، دامس و طامس ، البرايا و البلايا " (٢).

و من أمثلة هذا النوع من التجنيس ما ورد في وصية الإمام لولده الحسن (عليهما السلام) جاء فيها: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَ تَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَ تَسْتَزِحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ... اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَ دُنْيَاكَ وَ اسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَ الْآجِلَةِ وَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ)) (٣) .

ورد الترغيب في الشرع في الإكثار من الدعاء ، وعدم الاستعجال ، وذلك ؛ لأن الدعاء عبادة عظيمة محبوبة عند الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: آية ٦٠) ، فالعبد إذا أقبل على الله تعالى بالدعاء أحبه ، و قد يؤجل الله تعالى استجابة دعاء عبده المؤمن ، ليطول وقوفه بين يديه ، و يطول اقباله عليه و تضرعه إليه ... فإن الله يحب سماع تضرع عبده، و يشتاق إلى دعائه و مناجاته، و الإمام (عليه السلام) في خطابه هنا يدلنا على طريق الحب المتمثل بالدعاء و التضرع لله تعالى.

إن من جملة الوصايا التي أوصى بها المبدع العظيم ولده الإمام الحسن (عليه السلام) الدعاء (وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَ تَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَ تَسْتَزِحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ...) ، " فالتنبيه على الدعاء و الترغيب فيه ، هو دوام ملاحظة جلال الله و الانقطاع إليه ؛ إذ هو مبدأ كل محبوب ، و معطي كل مطلوب ، فهو (الله تعالى) ، لم يجعل بينه و بين الراغب إليه حاجبا و لا بؤابا

(١) منهاج البراعة ، ١٢ / ٢٧٦

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ٢ / ٤٩٤

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٣١ ، ص

لتقدّسه عن الجسميّة و الجهة و صفات المحدثات ، بل تجلّى في كل شيء لكل من فتح عين بصيرته و وجهها إلى مطالعة كبريائه و عظّمته " (١) .

الشاهد في خطاب المبدع (وَ اسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَ الْآجِلَةِ) ؛ إذ وقع الجناس المضارع بين كلمتي (العاجلة ، الآجلة) في حرفي (العين ، الهمزة) و هما من الأصوات الحلقية (٢) ، فالعين مخرجه وسط الحلق و هو من الاصوات المجهورة (٣) ، و الهمزة صوت شديد مهموس مرقق و يتصف بكونه صوت حنجري (٤) ، و قد أفاد ورود الحرفين (العين ، الهمزة) في كلمتي (العاجلة ، الآجلة) إحداث نغمة صوتية و تغيرا دلاليا كون حرف العين يمثل كلمة (العاجلة) و هي الدنيا ، و حرف الهمزة يمثل كلمة (الآجلة) ، و هي الآخرة ، مع التأكيد على المعنى و ذلك من خلال التكرار الترادفي الحاصل بين (العاجلة . الدنيا) ، (الآجلة . الآخرة) و قد أحدث هذا التكرار الترادفي إمتاعا للسامع (٥) .

و من خطبة له أيضا جاء فيها : ((سَاعٍ سَرِيعٍ نَجَا وَ طَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَا وَ مُقَصِّرٍ فِي النَّارِ هَوَى ... لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخٌ أَصْلٍ وَ لَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعٌ قَوْمٌ فَاسْتَرَوْا فِي بُيُوتِكُمْ وَ أَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)) (٦) .

" الإسلام دين يتشوّف إلى الصلح ويسعى له وينادي إليه ، وليس ثمة خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة يصلح فيها العبد بين اثنين ويقرب فيها بين قلوبين ، فبالإصلاح تكون الطمأنينة والهدوء والاستقرار والأمن وتتفجر ينابيع الألفة والمحبة ، فالإصلاح عبادة جليلة وخلق جميل يحبه الله ورسوله ﷺ ، وهو خير كله " (٧) ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات: ١٠) ، و قال النبي الأكرم ﷺ: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣٣ / ٥

(٢) الاصوات اللغوية ، ص ٨٥

(٣) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٨٥

(٤) ينظر : منهاج البحث في اللغة ، تمام حسان ، ص ١٢٥

(٥) ينظر : الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص ، ص ٢٤

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦ ، ص ٤٣

(٧) إصلاح ذات البين ، سلمان بن يحيى المالكي ، مقال منشور على الأنترنت ،

يوم القيامة^(١) ، فقول الإمام (سَاعٍ سَرِيْعٍ نَجَاً وَ طَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَاً وَ مُقَصِّرٍ فِي النَّارِ هَوَى) ، فإنه يقسّم الناس إلى ثلاثة أقسام ، " الجاد النشيط الذي يعمل بجميع الأوامر الإلهية و ينتهي عن كل ما نهى الله عنه ، و إنسان يعمل و لكّته ببطء يخطئ تارة و يصيب أخرى ، و هناك قسم ثالث استولى عليه الشيطان فأخذ بزمامه و راح يغريه بالمعاصي و الآثام و ارتكاب الحرام ، و جاء قول الإمام (عليه السلام) متواشجا مع قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢) ، و قوله ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَنِِيٌّ ﴾ : (لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنٌّ أَصْلٌ وَ لَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعٌ قَوْمٌ فَاسْتَرَوْا فِي بُيُوتِكُمْ وَ أَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ؛ إذ أشار إلى أهمية التقوى ، و إن ما بني عليها سيستمر و ينمو ، و لا يعرض عليه الفساد ، كما أمرهم أن يصلحوا ما فسد بينهم ، و يفكروا في سبيل الوحدة و الألفة " (٢) .

الشاهد في خطاب الإمام ﴿ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾ ، (سَاعٍ سَرِيْعٍ نَجَاً وَ طَالِبٍ بَطِيءٍ رَجَاً) ، فالجناس المضارع بين كلمتي (نجا ، رجا) ؛ إذ ان بين الكلمتين تقارب " من طرف اللسان بينه و بين ما فوق الثنايا مخرج النون ، و من مخرج النون غير انه أدخل في ظهر اللسان مخرج الراء " (٣) ، و هما مضافا إليهما (الراء) ، " مع قرب مخرجها تشترك في نسبة وضوحها وضوحها الصوتي ، و انها من أوضح الاصوات الساكنة في السمع " (٤) ، " . و قد أحدث الجناس بين لفظي (نجا ، رجا) أثرا في المتلقي ؛ إذ شدّه صوت الجيم و قد فتح و تلتته صوت الألف بامتدادها الطبيعي ما جعله يتوقف عند هذا الجرس الموسيقي ، و يحفزه على تأمل المعنى بهدف اقناعه بمصير المرء في سعيه وطلبه و غير ذلك من حالات وجوده ، فظلال المعنى الذي أسبغه الجناس ، أكد ذاك المصير واقنعنا به وشدنا إلى جانب الحب المتمثل في حب المبدع و رغبته في هداية المجتمع و ارشادهم ، فحقق المتعة و الاقناع اللذين زادا الحب فاعلية في خطابه.

٤ - الجناس الاشتقاق

(١) كنز العمّال ، الحديث ٥٤٨٢ ، ٣ / ١٢٨

(٢) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ١ / ١٦٠ - ١٦٢

(٣) سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي ت ٤٦٦ هـ ، ص ٢٣

(٤) الاصوات اللغوية ، ص ٥٣

يعرّف هذا النمط من الجنس بأنه " ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب و الاتفاق في أصل المعنى ، أو هو ما جمع ركنيه أصل واحد ، ثم اختلفا في حركاتهما و سكناتهما " (١) .

و قد ورد هذا النوع من التجنيس في نصوص نهج البلاغة في قوله ﷺ :
(فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَ لَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَ تُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاحِ رِكَابِهَا وَ مَحَطَّ رِحَالِهَا وَ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَ نَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهُهُ الْأُمُورِ وَ حَوَازِبُ الْخُطُوبِ لِأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْتَوَلِينَ وَ ذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ وَ شَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ وَ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا ...) (٢) .

هذا هو حال أصحاب القلوب العاشقة لله تبارك و تعالى وهبوا أنفسهم لله ، فأعطاهم ما يأملون ، فرزقهم الباري عزّ وجل علم ما كان و ما يكون إلى قيام يوم الدين ، و ها هو المبدع العظيم يتحدث عن خفايا الأمور و دقائقها (فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَ لَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَ تُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِعِهَا وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاحِ رِكَابِهَا) ، إذ روي عنه ﷺ فيمن سأله عن علم النبي ﷺ فقال: " علم النبي ﷺ علم جميع الأنبياء و علم ما كان و ما هو كائن إلى قيام الساعة ، ثم قال : فو الذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي و ما كان و ما هو كائن فيما بيني و بين قيام الساعة) (٣) ، " ثم نبّه ﷺ ، على أنه أعظم نعمة أنعم الله تعالى وجوده عليهم ، و أن قدره مجهول عندهم و هم غافلون عن فوائد مقامه بين أظهرهم ، و أنهم سوف يعلمون قدره إذا نزلت بهم الدواهي و حلت بهم الرزايا " (٤) .

الشاهد في قول المبدع هو مجيء مجموعة من الاشتقاقات التجنيسية ، مشتق يتبع مشتق ، و هذا أدى إلى تكثيف الجرس الصوتي و عدم تشتته ، فقد وقع مشتقان يعودان الى اصل واحد في كل فقرة ، فالقتل أصل في (يقتل ، و قتلًا) ، و الموت أصل في (يموت ، و

(١) فن الجنس ، ص ١١٤

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٩٣ ، ص ١٧١

(٣) بحار الأنوار ، ١٧ / ١٤٥

(٤) منهاج البراعة ، ٧ / ٦٢

(موتا) ، و السؤال أصل في (السائلين ، و المسؤولين) ، و الضيق أصل في (ضاقت ، و ضيقا) ؛ إذ تكوّن الجنس الاشتقاقي من اجتماع من تماثل جذره ، و هذا يعني وجود فونيمات صوتية متشابهة رغم اختلاف نوع الكلمة صرفيا عن غيرها في مشهد الجنس الاشتقاقي ، و هنا يبرز دور المتلقي - بما يملك من ذائقة جمالية و خبرة لغوية - في تمثّل الحالة المعنوية التي يحققها الجنس الاشتقاقي ، فالمعنى الذي نراه بين السائلين و المسؤولين على سبيل المثال يتحقق عندما يتأمل المتلقي الفونيمات المكررة ، فيقف على الجذر اللغوي (سأل) و ما يوحيه من رغبة اشباع الحاجات ، فالسؤال طلب و رغبة في الحصول على شيء ما ، و هذا الشيء قد يكون معنويا أو ماديا ، لكنه يعكس حب السائل في تلبية سؤاله ، و من هنا يبرز دور المتلقي و خبرته في كشف هذه الدلالة ضمن البنية الموسيقية المؤثرة المتصلة بصياغة ما تشابه جذره من كلمات في المقطع السابق فحفّزت التركيز و هذا جعلنا أمام اقناع المتلقي بأحوال البشر التي خبرها ﴿الكَلْبُ﴾ و أراد إضاءة جوانبها معبرا عن حب عظيم في خطابه ، لكنه الاقناع الممتع بفضل ما حققه تكرار الحروف المتشابهة من انسجام و اتساق و روعة، و يزيد هذا التجنيس من تكثيف إيقاعية النص و حالة الانسجام بين اصواته ، كما أنه خلق حالة من التواشج و الانسجام بين إيقاعية اللفظين و معناهما ، فجعله أحسن امتاعا للسامع ، و أكثر علوقا في ذهن المتلقي محققا في ذلك عنصر الأقناع. "

إن هذا الخطاب الذي أورده المبدع مسوق لإظهار مناقبه الجمّة و فضائله الدثرة ، والتنبيه إلى علو مقامه و رفعة مكانه و الغرض به التعريض على المخاطبين بغفلتهم عن سمو شأنه و جهالتهم بقدره ، و عدم معرفتهم به حق المعرفة ، ليرقدوا بذلك عن نوم الغفلة و الجهالة و يعرفوه حق المعرفة ، و يعظّموا قدره و منزلته و يقيموا بوظائف طاعته على ما يليق به سلام الله عليه و آله " (١) .

(١) منهاج البراعة ، ٧ / ٥٨

٥ - الجنس المحرف

و يعرف هذا القسم من الجنس بأنه : " ما اختلف فيه اللفظان في هيئات الحروف ، حركاتها و سكناتها فقط . و سمي بذلك لانحراف هيئة أحد اللفظين عن الآخر " (١) .

و من أمثلة هذا النمط قول الإمام (عليه السلام) من خطبة له يوصي فيها بالزهد : ((عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ الْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللَّهِ وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَزْرُ وَ الْجَنَّةُ وَ فِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكُهَا رَابِحٌ وَ مُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَ الْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا ...)) (٢)

" إن الله تعالى يحب المسلم الذي يتقيه في كل كبيرة وصغيرة، و يجعل مخافة الله تعالى بين عينيه دائماً، و يعلم أن الله يراقبه ، وسوف يحاسبه على أعماله سواء كانت خيراً أم شراً ، فأعمال الخير لا حصر لها، و أنت لا تعلم أي عمل منها سوف يدخلك الجنة، ويرفع قدرك عند ربك، و يجعل الله - عز وجل - يرضى عنك، و يدخلك الجنة من أوسع أبوابها (٣) لذا فقد أوصى المبدع العظيم بالتقوى ، (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ الْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللَّهِ وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ) ، " و هي الإتيان بالواجبات و اجتناب المنهيات جعلها حقاً لله سبحانه و تعالى إذ حقه على عباده أن يعبدوه و يوحدوه ، و أن يستعينوا الله و يطلبوا منه التوفيق و الإعانة على تحمل مشاق التكليف الشرعية ، و الوصول إلى قرب الحق و جواره و ساحل عزته و جلاله ، و قوله : (فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَزْرُ وَ الْجَنَّةُ وَ فِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكُهَا رَابِحٌ ...) ، يعني أنها (التقوى) حرز حريز و حصن حصين يمنع المتحرز بها و المتحصن فيها من شر الأعداء ، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾

(١) فن الجنس ، ص ٨٧

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩١ ، ص ٣٥٥

(٣) رضا الله ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع (موضوع) ، <https://mawdoo3.com>

(آل عمران : آية ١٢٠)، وهي الطريق إلى الجنة والخلود ، وجادة الشريعة، و زاد الآخرة " (١)

الشاهد في قول المبدع : (جُنَّة ، جَنَّة) ، حيث كَوّن اللفظان جناسا محرفا " فننتج عن اختلاف الصائت القصير، أو الصوت القصير اختلاف نطق اللفظ و المعنى، فاختلاف الحركة بين اللفظين (جُنَّة ، جَنَّة) أدى إلى اختلاف معنى كل منهما ، لكن تكرار الحروف المتشابهة جعلنا أمام ايقاع مؤثر أكد السبب و النتيجة أي الأداة و المصير، فالجَنَّة مصير و نتيجة و(الجُنَّة) سبيل و أداة ، و هذا الحصور المعنوي خاطب العقل فأقنعه ، لكنه في الوقت ذاته خاطب العاطفة بإيقاعه فأمتع القارئ الكاشف جماليات ذاك الجنس الذي حوّل الجمالية الشكلية الممتعة المتمثلة بتشابه حروف الكلمتين إلى جمالية معنوية ذهنية مقنعة ، و هذا من خلال الترابط الدلالي بين (جُنَّة ، جَنَّة) ؛ إذ ان الطرف الأول في (الجُنَّة) مرتبط بالطرف الثاني(جَنَّة) محولا إياه إلى دليل رمزي مؤثر يبين أفقا عميقة في خطاب الحب لدى المبدع العظيم ، و هذا الحب يبدو في وعظه الإنسان من جهة و تبيان سبل الخلاص و توضيح جوانبه من جهة أخرى كما أن أعطى دلالة على الدرع و كل ما يُنقى به فالتقوى جُنَّة و ترس يتقي المستتر بها من شدائد الدنيا المادية و المعنوية ، و صائت الفتحة في (الجُنَّة) أعطاه دلالة الحديقة نفس الشجر ، و المقصود بها - هنا - جنة النعيم الخالدة التي أعدها الله للمتقين . فكلاهما مرغوب فيه و محبب للنفس ، فحرك اللفظ الأول بالضم و هي أقوى الحركات ليلائم معنى الدرع ، فهو ماديا ثقيل يحتاج إلى جهد في حمله ، و كأن صاحبه تحفه المخاطر فيحترز به ، و هو حذر في كل الأوقات ، و هو أثقل معنويا ؛ لأنه حق الله على الناس المتمثل بالتقوى فحملها و تطبيقها يحتاج الى مجاهدة النفس ، فناسب ذلك الضم في (الجُنَّة) مما مهد الطريق الى الصائت الآخر و هو الفتح ؛ لأنه لا يحتاج إلى جهد في نطقه و لا في تطبيقه فهو أخف الصوائت القصيرة و أكثرها شيوعا فكانت نتيجة مترتبة على المتقي لدخوله الجنة " (٢) .

و قد أدى هذا التناغم الإيقاعي الى تحقيق الامتاع للمتلقي مما جعل الاذن تطرب و النفس تتشوق له ، كما ساهم التشبيه للتقوى بأنها الحرز و الجُنَّة الى تحقيق عنصر الاقناع

(١) منهاج البراعة ، ١١ / ٢١١

(٢) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ص ١٧٣

للسامع ، فقال ﴿الطَّيِّبُ﴾ : (فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِزُ وَالْجَنَّةُ) حيث أن المبدع " لم يقل فإنها ، بل وضع المظهر موضع المضمحل لزيادة التمكن في ذهن السامع " (١) .

٦- الجناس المعكوس

و يُعرّف هذا النوع من الجناس بأنه " أن يتفق الركنان في نوع الحروف و عددها و هيئتها أي شكلها و يختلفا في الترتيب فقط ، و يسمى أيضا : الجناس المقلوب ، و الجناس المخالف و المعكوس ، و جناس العكس " (٢) .

و قد ورد هذا القسم من الجناس في نصوص نهج البلاغة و منه قول الإمام ﴿الطَّيِّبُ﴾ من عهده إلى مالك الأشتر جاء فيه : ((وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةً فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ وَ وَفَّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لَا مَنْقُوصٍ بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ ... وَ أَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَ قَلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَ الْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عَنْدهُمْ الْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَ يَقْبُحُ الْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ الْقَبِيحُ)) (٣).

" إنَّ الحبَّ الذي تُورثه المعرفة سوف يُورث لنا أمراً آخر لا بدَّ منه وهو الإخلاص للمحبيب، فنحن نرى بالوجدان أننا نُخلص لمن نحبه، و تزداد درجة إخلاصنا بازدياد درجة حبنا له. و هذا الترتيب الطولي بين المعرفة و الحبَّ والإخلاص هو ترتب ذاتي، و سنّة إلهية، و مسلك قرآني منسجم تمام الانسجام مع فطرة الإنسان " (٤) فالإمام ﴿الطَّيِّبُ﴾ يوصي عامله الأشتر بالإخلاص لله تعالى ((وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةً فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ ...)) أن يكون في خاصة ما يخلصه لله في دينه إقامة فرائضه ، فيخصها بمزيد من العناية و الاهتمام ؛ لأنها تقرب من المحبوب الحقيقي و هو الله تعالى ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

(١) منهاج البراعة ، ١١ / ٢١٢

(٢) فن الجناس ، ص ١٠١

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٥٣ ، ص ٥٤٤

(٤) الاخلاص ثمرة الحب ، مقال منشور على الانترنت ، موقع السيد كمال الحيدري ،

<http://alhaydari.com/ar/2011/10/9586/>

فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ و أن يوفي بما تقرب به إلى الله تبارك و تعالى كاملا غير منقوص ، ثم انتقل الإمام إلى توصيته بعدم الاحتجاب عن الرعية ؛ لأن مشاهدتهم للوالي تفرج عنهم ما يكرههم من الأمور المهمة لهم ، كما أن الاحتجاب يجعل الوالي جاهلا بأمر رعيته و عدم معرفته باحتياجاتهم و مشاكلهم^(٢) .

الشاهد في خطاب الإمام عليه السلام : (يَقْبُحُ الْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ الْقَبِيحُ)، نلاحظ أن المبدع لم يكن يقصد بقوله هذا الجرس ، و " إنما توخى المعنى ، فالجرس نتاج ثانوي عما يريد أمير المؤمنين عليه السلام إظهاره من دلالات هذا التقليل أراد بيان تقلب النفس الإنسانية بين الكبير و الصغير و الحسن و القبيح ، فقد أوجز بهذه الكلمات المعكوسة تعقيدات النفس الإنسانية من رضا و اعراض يترتب عليه البطء و الاسراع في الاقبال على السلوك مشيرا إلى مسألة إعراض الولاة عن رعيتهم بمجرد حصولهم على المنصب ، و تكمن أهمية الجناس المقلوب بما يمنحه من قيمة ايقاعية تصويرية للنص ، تتجلى من خلال تعميق الرؤية للنص و البحث عن قصدية المنشئ " ^(٣) ، فيبدو الجناس المعكوس في لفظتي (يقبح ، قبيح) ؛ إذ اختلف ترتيب الحروف فيهما محققا إيقاعا انتقل من النغمة ذات النبر الواضح على مقطعي لفظة يقبح إلى النغمة المليئة بالمد في قوله (قبيح) ما جعل النبر أقل حضورا في المفردة الثانية ، و صار الإيقاع ملائما المعنى المتمثل في توضيح حالة الولاة الذين يجب أن ينخرطوا في رعيتهم و يتعاملوا مع العامة برفق و لين ، فكان الانتقال من نبرة قوية إلى نبرة مريحة ذات مد صوتي خير معين على خلق إيقاع منسجم مع هذا المضمون الفكري ، فأقننا و امتعنا معا .

(١) الزمر ، آية ٢

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ١٦٧ - ١٦٨

(٣) الاتساق الصوتي في عهد الإمام علي (عليه السلام) ، ص ١٢

المبحث الثاني: الاقناع والامتناع المعجمي

إن للمعجم دور اساسي و محوري في تمكّن الفرد من اللغة و التواصل بها ، و ليس بمقدور الدارس أو المتعلم إنكار أهميته ، فالمفردات هي التي تقوم ببناء النظام اللغوي ، و على أساس ذلك يتم نقل الاحاسيس و الافكار و الاحداث^(١) ، و من خلال ذلك يتحقق اقناع المتلقي و امتاعه ، و ربّ مفردة إذا أبدلت بأخرى أعطت اقناعا أو امتاعا أهما معا للمتلقي لما لها في السياق الذي جاءت فيه من دلالة مؤثرة .

و سنعرض في هذا المبحث لعنصرين مهمين لهما الدور البارز في عملية الاقناع و الامتناع و هما :

١- المصاحبة اللغوية

٢- التضاد

أولا : المصاحبة اللغوية

المصاحبة لغة : " صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً بِالضَمِّ وَصَحَابَةٌ بِالْفَتْحِ وَصَاحِبُهُ عَاشِرُهُ وَ الصَّحْبُ جَمْعُ الصَّاحِبِ مِثْلُ رَاكِبٍ وَ رَكَبَ وَ الْأَصْحَابُ جَمَاعَةُ الصَّحْبِ مِثْلُ فَرَسٍ وَأَفْرَاحٍ " ^(٢) ، و تأتي أيضا بمعنى الملازمة " فكل شيء لاعم شيئا فقد استصحبه " ^(٣) . أما اصطلاحا: فهي "الموافقة و المشاركة في الشيء، فإن تتابعوا مع ملاقة و اجتماع فأصحاب حقيقة و إلا فمجاز " ^(٤) .

و تعد المصاحبة اللغوية " من أهم القيود السياقية إذ تحدد الكلمات الأكثر ورودا مع كلمة ما و التحديد يتم بواسطة الاحصاء من خلال مدونات نصية مكتوبة كبيرة " ^(٥) ، و في

(١) انساق مجلة علمية دولية ، مج ٢ ، عدد ٢ ، ص ١٣٧

(٢) لسان العرب ، ١ / ٥١٩

(٣) معجم العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، ٣ / ١٢٥

(٤) التوقيف على مهمات التعريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د . عبد الحميد صالح حمدان ، مادة

(المصاحبة) ، ص ٣٠٧

(٥) معهد بحوث الالكترونيات ، د . سلوى حمادة . بحث منشور على النت

ذلك " إشارة الى الجانب التطبيقي للمصاحبة اللغوية بألفاظ كثيرة بكثرة الالفاظ المتصاحبة في المدونات اللغوية ، و هذا ما يميز المصاحبة اللغوية ، فهي تجمع بين التنظير و التطبيق الذي يحكمه الاستعمال حيناً ، و التنبؤ حيناً آخر ، و الألف و العادات الاجتماعية أحياناً أخرى ، مما جعل من المصاحبة اللغوية و التي تتعلق بالخطب و الحكم و الامثال و التعبيرات الاصطلاحية التي يتكرر ورودها في لغة ما متصاحبة على وجه التلازم و التوافق الدلالي بينها " (١).

و الهدف المنشود مما ذكرناه هو الأثر الدلالي الذي تحققه المصاحبة اللغوية مما يولد امتاع المتلقي و اقناعه ، و من أنواع المصاحبة :

١- المصاحبة اللغوية بين الموصوف و صفته :

ورد هذا النمط من المصاحبة اللغوية في خطاب الحب في نهج البلاغة في وصيته لولده الحسن عليه السلام جاء فيها : ((وَ رَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ وَ أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَ أَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَ مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَ نَفْسٍ صَافِيَةٍ وَ أَنْ أَبْتَدِيكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَأْوِيلِهِ وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ أَحْكَامِهِ وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ ... وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ)) (٢).

الأسرة هي النواة الأولى في كل مجتمع ، لذا عني الإسلام بالفرد و الأسرة عناية خاصة و جعلها الركيزة الأولى التي تقوم عليها الأمم و الممالك ، و تربية الأبناء حمل ثقل لا يقوم بحقه إلا من أدرك عظم حجم المسؤولية و تنبّه له ، فالتربية الصالحة يكون أساسها تقوى الله و إطاعته في كل حين ، و في كل حال (٣) ، قال تعالى على لسان لقمان الحكيم : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان : ٧) ، و هذا هو الحب الحقيقي النابع من قلب الآباء إلى أبنائهم ،

(١) المصاحبة اللغوية و أثرها الدلالي (دراسة في نهج البلاغة) ، فضيلة عبوسي محسن ، ص ٦

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٣١ ، ص

(٣) ينظر : تربية الابناء في الاسلام ، مقال منشور على الأنترنت ، <https://mawdoo3.com>

فقول الإمام عليه السلام : (وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ وَ أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَ أَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَ مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَ نَفْسٍ صَافِيَةٍ وَ أَنْ أَبْتَدِنَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ ...) ، " أشار إلى كونه في غاية العناية و الشفقة عليه ، وإلى ما رآه أصلح في تعليمه إياه و هو النظر في مصالحه و الاهتمام بأحواله ، و ما صممت عزمي عليه من تأديبك أن يكون ذلك و أنت مقبل العمر ، و مقبل الدهر ، ذو نية سليمة ، و نفس صافية ، و أن أبتدئك بتعليم كتاب الله و تأويله ، و شرائع الإسلام و أحكامه ، و حلاله و حرامه ، فالإمام الحسن عليه السلام إمام معصوم قام أو قعد قال النبي الأكرم (الحسن و الحسين إمامان قاما أو قعدا)^(١) ، ولكن الإمام علي عليه السلام يريد أن يبين الحب الذي عنده للأمة آباء و أبناء بتعليمه لهم فجعل نفسه المثال الأعلى لهم ، و هنا الحب العملي الذي يطبقه على النفس و هو سر الاقتناع لدى المتلقي و كونه مع ابنه و العاطفة الجياشة أعطى الامتاع شعوريا للمتلقي ، و قوله : (وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ) ، و هو الحجة على وحدانية الصانع و على جملة من صفاته ، ثم إلى ما ينبغي أن يفعله من ملاحظة عظمتة سبحانه من الصفات المذكورة " ^(٢) . الشاهد في خطاب المبدع (وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ) ، وقعت المصاحبة بين الموصوف (إله) ، و الصفة (وَاحِدٌ) ، فلفظة (إله) لفظ مشترك لذا تخصص بالموصوف (وَاحِدٌ) بالله تبارك و تعالى ، " و أفاد التوكيد في قوله عليه السلام : (وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ وَ لَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ، فجاء لفظ (واحد) مؤكدا لوحداية الموصوف (إله) الدالة على المفرد ، و مخصصا له هذه الوحدة " ^(٣) .

و من تمثلات هذا القسم أيضا ما جاء من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام و هو يصف العلماء و يعظ بالنقوى فقال : ((وَ اعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ وَ يَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَ يَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ

(١) بحار الانوار ، ١٦ / ٣٠٧

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ١٢ - ٢٢

(٣) المصاحبة اللغوية و أثرها الدلالي ، ص ٤٢ - ٤٣

وَ يَصْنُرُونَ بَرِيَّةً فَطُوبَى لِّذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَّرَهُ ((^(١)) .

" جاءت الشريعة الإسلامية لتعطي من شأن العلماء وترفع قدرهم ومكانتهم بين الناس، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز فضل العلماء من وجوه عدة ؛ فهم من أخشى فئات المؤمنين لله تعالى وخوفاً منه واستشعاراً لعظمته وقدرته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨)، ذلك بأن العلماء يطلعون على أسرار قد لا يعلمها كثيرون من أسرار الكون و الحياة التي تدلّ على عظمة الخالق، كما تتوسّع مداركهم و آفاق تفكيرهم بزيادة العلم عندهم عن غيرهم من الناس، ومن زاد علمه بالله و معرفته به زاد حبه له و زادت خشيته منه بلا شك، كما بيّن الله سبحانه وتعالى علو قدر العلماء عنده " ^(٢)، قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١١) ، لذا فقد وصفهم الإمام (عليه السلام) بأنهم : (يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصِلُونَ بِالْوَلَايَةِ وَ يَتَلَقَّوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَ يَتَسَاقَوْنَ بِكَاسِ رَوِيَّةٍ) : " أي الحافظون لشرع الله ، القائمون في تبليغ رسالة الله يحفظون من العلوم ما لا ينبغي إظهاره ، و يظهرون و ينشرون ما يجب بيانه ، و يحفظون الدين من التحريف و التزييف ، و المحبة تربط و تجمع بين قلوبهم يلتقون بها و عليها ، فالحب في الله هو الذي يجمعهم ، و بهذه المحبة تلاقوا و اجتمعوا ، و قوله (عليه السلام) : (بَرِيَّةٌ فَطُوبَى لِّذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ...) : أي الخير و النعيم لصاحب القلب السليم الذي لا يحوي غشا و لا يحمل حسدا " ^(٣) .

الشاهد في خطاب الإمام (فَطُوبَى لِّذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ)؛ إذ جاء لفظ (القلب) و هو الموصوف مصحوبا بالصفة و هو لفظ (السليم) و المراد من ذلك " سلامته من آفات الكفر و المعاصي " ^(٤)، كما أنه يدل على نقاوة القلب و طهره ، و سلامة القلب هي سلامة

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٤ ، ص ٤١٥

(٢) مكانة العلم و العلماء ، مقال منشور على الانترنت ، <https://mawdoo3.com>

(٣) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٣ / ٤٨٦ - ٤٨٧

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي

الحب من المؤثرات التي تحرف توجهه عن الطهر و النقاء .

و في الواقع إن مصاحبة كلمة (القلب) لكلمة (السليم) في هذا التركيب لهما قيمتها في تحقيق الدلالة الناتجة عن هذا التركيب ، فلو أتى لفظ القلب مجردا عنها لما توصلنا الى دلالة القلب المراد بالخصوص إلا في وجود قرائن أخرى تفيد ذلك " أما هذا التركيب فقد صار مصطلحا فهو بمثابة علم يطلق عليه و يتوصل الذهن إليه عند اطلاقه "(١) ، فالمصاحبة بينهما شكلتا ايقاعية ترنو اليها النفوس و تتجذب اليها الازهان مما يحقق اقناع المتلقي و امتاعه .

٢ - بين المضاف و المضاف إليه :

هذا القسم من المصاحبة يكون بين المضاف و المضاف إليه ، و لهذا النمط دور مهم في تحديد و توجيه الدلالة الخاصة بالتركيب و الألفاظ ، أضف إلى ذلك دورها الكبير في صيرورة الكثير منها الى مصطلحات إسلامية .

و من أمثله في نهج البلاغة ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) من خطبة له ، و فيها يعرض الناس و يبين فضل القرآن و ينهى عن البدعة : ((وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ مَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ))(٢) .

إن حب الأنسان لله يتطلب و يؤدي بالضرورة إلى حب ما يُذكر بالله تعالى ، و من أهم الوسائل التي تذكر العبد بالله تعالى قراءة القرآن و التدبر بآياته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الانفال: ٢)، فهو حبل الله المتين كما يصفه سيد البلغاء (فإنه حبلُ الله المتينُ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ...) : أي القرآن هو أبلغ موعظة تقرب الإنسان من ربه ، و تشده إلى رحابه ، و هذه هي الغاية من الموعظة ، و إنه من تمسك به نجا من الضلال و الانحراف ، و وصفه بالمتانة من حيث كونه قوي لا ينقطع من تمسك به(٣) ، و

(١) المصاحبة اللغوية و أثرها في تحديد الدلالة ، ص ٢٠٣

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٦ ، ص ٣١٥

(٣) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٣ ، ص ١٥٠

هو الهادي الى الصراط المستقيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الاسراء: ٩) و يصفه بأنه ربيع القلوب لأن الأفئدة تلتذ و تنشط بتلاوته لما فيه من المحاسن و المزايا ، و كذلك ما تضمنته آياته من المحسنات البديعية و اللطائف العجيبة ، و قوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ : و ينابيع العلم استعارة بالكناية فهو شبه العلم بالماء^(١) .

الشاهد في قول المبدع (حبل الله) ، " الحبل معروف .. و الحبل المستطيل من الرمل ، و استعير للوصل و لكل ما يتوصل به إلى الشيء " ^(٢) .
لذا فهو " السبب الذي يوصل به الى البغية و الحاجة ولذلك سمي الأمان (حبلا)،
لأنه سبب يُوصل به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزع والدَّعر " ^(٣) .

و حمل كلام المبدع جملة من المواعظ ، و كان الغرض منها " هو الجذب الى طريق الهدى و إرشاد السامع إلى حظيرة القدس ، فالقرآن أبلغ منها في إفادة الغرض المنشود و أكثر كمالا في تحصيل المقصود ، فهو (حبل الله المتين) ، المتمسك به ينجو يوم القيامة من أهوال ذلك اليوم ، و التارك له يهوي في نار جهنم ، كما أن وصفه بالمتين ، لأنه الحبل الممدود بين السماء الارض ، و وصفه بالأمانة لعدم خيانتة للمتواصل به في إيصاله الى النجاة يوم القيامة " ^(٤) .

إن لفظة (الحبل) لوحدها لا تحقق المعنى المرجو من الخطاب و لا توحى للمتلقي بشيء إلا بعد إضافتها إلى لفظ الجلالة ؛ فعند إضافتها إلى غير لفظ الجلالة تحقق دلالة أخرى تختلف تماما عن معناها المقترن بالله تعالى ، و منه ما ذكره المبدع العظيم في كتابه لعثمان بن حنيف جاء فيه : ((إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ قَدْ انْسَلَتْ مِنْ مَخَالِبِكَ وَ أَقْلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ وَ اجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِصِكَ أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرَتْهُمْ بِمَدَاحِكَ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنَتْهُمْ بِزَخَارِفِكَ ... وَ أَيُّمُ اللَّهِ يَمِينًا أَسْتَتْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لِأَرُوضَنَّ

(١) ينظر : منهاج البراعة ، ١٠ / ١٩١ - ١٩٢

(٢) المفردات في غريب القرآن ، ص ١٠٧

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ،

٧٠ / ٧

(٤) منهاج البراعة ، ١٠ / ١٩٣

نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْفُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا وَ تَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَادُومًا وَ
لَأَدَعَنَّ مُفْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينَهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا))^(١) .

" تتكر الإمام علي عليه السلام للدنيا و أبعدها عن ساحته و التتكر للدنيا يقابله حب
لضدّها و هو الآخرة أي الجنة و لقاء الله تعالى، فلا أثر للدنيا في سلوكه و لا في مطعمه
و لا في مسيرته... إنه يخاطبها و كأنها تسمع ... نعم لعل أهلها و عشاقها يسمعون ...
ابعدني عني يا دنيا أنت و ما تشائين مع غيري، أما أنا فقد هجرتك و خرجت من بين
أظافرك التي نشبت في الناس ، فلم يعد لديهم القدرة على الخلاص منها ، لقد نجحت في
التخلص من شركك التي نصبتها لتضطادي بها، فكل شهواتك و زينتك و متعك حبائل
تضطادين بها الناس و أنا في منجاة من ذلك " ^(٢) ؛ لأنني اخترت الآخرة و حب الله تعالى
و رضوانه ، و قوله : (لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْفُرْصِ...) ، " لما كان
الغرض الأقصى من الرياضة إنما هو نيل الكمال الحقيقي ، و كان ذلك موقوفا على
الاستعداد له ، و كان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية و الداخلية
كان للرياضة أغراض ثلاثة : حذف كل محبوب و مرغوب عدا الحق الأول سبحانه عن
درجة الاعتبار و مستن الإيثار و هي الموانع الخارجية ، تطويع النفس الأمانة للنفس
المطمئنة ،بعث السر و توجيهه إلى الجنة العالية لتلقي السوانح الإلهية و تهيئة لقبولها "^(٣).
إن التناغم الحاصل بين مفردات النص و منها (حب الله المتين) في النص الأول ،
و (حبك) في النص الثاني أدى إلى امتاع السامع و إقناعه لما في هذه المصاحبة من
انسجام في صياغتها اللغوية ؛ إذ رسم الإمام عليه السلام تلك الصورة الحسية لتوضيح أهمية
النفع الحاصل من التمسك بالقرآن الكريم في خطابه الأول ، و الابتعاد عن حب الدنيا و
التمسك بها في خطابه الثاني ، أضف الى ذلك المحسنات البديعية التي زادت من جمالية
النص ، و تحقق على إثرها امتاع المتلقي و اقناعه ، فدلالة الحبل في الخطاب الأول
تختلف عن دلالته في الخطاب الثاني ، و السبب يعود إلى اختلاف المضاف إليه ؛ إذ جاء

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٤٥ ، ص ٥٢٩

(٢) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٤ / ٤٧٩

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ١٠٣

في النص الأول لفظ الجلالة ، و في النص الثاني الضمير العائد على الدنيا .

٣- بين المعطوف و المعطوف عليه :

ورد هذا القسم من المصاحبة في موارد كثيرة من نصوص نهج البلاغة ومنها ما جاء من خطبة للإمام ﴿عليه السلام﴾ يعظم فيها الله ويذكر القرآن و النبي و يعظ الناس قال فيها : ((وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ بِأَرْمَتِهَا وَ قَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانِ الْمُضِيئَةُ وَ آتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةُ ... أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ تَنَازَعِ مِنَ الْأَلْسُنِ فَقَفَى بِهِ الرُّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَ الْعَادِلِينَ بِهِ))^(١) .

إن النبي الأكرم ﴿عليه السلام﴾ هو خاتم الأنبياء و المرسلين ، و هذا الفضل هو دليل على محبة الله تعالى لنبينا الكريم ﴿عليه السلام﴾ ، قال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور: ٤٨)، و قد بين الله تعالى حبه لرسوله صلوات الله تعالى عليه و آله ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، و من هذه الآية المباركة نفهم بأنه حبيب الله تعالى و هو الوحيد الذي يوصف بوصف الأحاباب^(٢) .

الشاهد في قول المبدع (الدنيا و الآخرة) و (السموات و الأرضون) و (الغدو و الآصال)، فالدنيا و الآخرة لفظتان تدلان على الزمن ، و سميت (الدنيا) بهذا الاسم لقربها و دنوها من حياة الإنسان ، أما الآخرة فسميت هكذا لبعدها عن حياته و كونها تتعلق فيما يأتي بعد الحياة ، و بالرغم من هذا التعلق إلا أن الانسان لا يعلم متى يأتي وقتها على عكس الحياة الدنيا فإنه يعلم بتاريخ ولادته و مدتها^(٣) .

فالعلاقة بين الدنيا و الآخرة هي علاقة تخالف " لأن الآخرة تعقب الدنيا زمنياً، فهما إذن مختلفان دلالياً ، و ليسا ضديين ، لأن الدنيا ليست بمعزل عن الآخرة ، و لا هي مجردة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣ ، ص ٢٤٠

(٢) ينظر: الحب في القرآن الكريم ، ص ١٢٦

(٣) ينظر: المصاحبة اللغوية و أثرها في تحديد الدلالة ، ص ١٣٩

عنها تماما ، بل هي مقدّمة لها ، و طريق إليها " (١) .

أما قوله ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: (السموات و الأرضون) ، فهما من " الألفاظ التي لا تكاد تفترق في الاستعمال " (٢) .

و تحقق هذه المصاحبة الكمال و الشمول في إثبات القضايا التي ترد في السياقات المختلفة من آيات قرآنية و أحاديث نبوية أو نصوص بلاغية، كما هو الحال في نهج البلاغة.

و أما قول المبدع : (بالغدو و الآصال) ، فقد وردت هذه المصاحبة لتعبّر عن طرفي النهار ، كما أن الدلالة هنا قائمة على أساس الالتزام " فدلالة الالتزام تكون دلالة جزء على الجزء المجاور له ضمن مجموعة مرتبة من الاجزاء كدلالة الحاجب على العين " (٣) ، وقد جاءت المصاحبة اللغوية في سياق العمل العبادي و هو السجود (و سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ) كما أن هذه المصاحبة من قبل المبدع العظيم كناية عن خضوع وسجود الاشجار لله تبارك و تعالى في كل حين ، و قد جاء هذا المعنى متواشجا مع قوله جلّ شأنه : ﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مِّنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ﴾ (الرعد:١٥).

و قد ولّدت الالفاظ المنسجمة فيما بينها ، أضف الى ذلك الكنايات التي زادت من جمالية السياق " و منها : (انقادت له الدنيا و الآخرة بأزمته)، أراد به نفوذ أمره فيهما و كونه مالكا لأمرهما و دخولهما في ذلّ الامكان و الافتقار إليه تعالى على سبيل الاستعارة بالكناية تشبيها لهما بالحيوان السلس المنقاد لصاحبه الذي بيده زمامه المتمكن من التصرف فيه كيف شاء ، و ذكر الأزمة تخييل و الانقياد ترشيح ، أما قوله ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ : (و قذفت إليه السماوات و الأرضون مقاليدها) ، فهو كناية عن قدرته و حفظه لهما ، و أنه لا يملك أمرها و لا يتمكن من التصرف بها غيره و هو اقتباس من قوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ﴾ (الزمر:٦٣)، و أما قوله (و سجدت له بالغدو و الآصال الأشجار

(١) العلاقات الدلالية بين الفاظ الطبيعة ، آلان سمين مجيد زنكنه ، ص ٩٧

(٢) التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٤ هـ ، ١ / ١٢٤

(٣) علم الدلالة اصوله و مباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل ، ص ٦٧

الناصرة) أراد به خضوع التكوين و ذل الامكان " (١) ، نتج عن كل ذلك امتاع المتلقي و اقناعه .

ثانيا: التضاد

جاء في اللسان: " الضدُّ كُلُّ شيءٍ ضادٌّ شَيْئاً ليغلبه والسَّوَادُ ضِدُّ البَيَاضِ والموتُ ضِدُّ الحياة والليل ضِدُّ النهار " (٢) .

أما اصطلاحاً: " هي الالفاظ التي يدل الواحد منهما على معنيين متضادين " (٣) .
و قد وضع اللغويون العرب القدماء شروطاً لتحقيق ظاهرة التضاد و منهم أبو بكر ابن الأنباري المتوفى ٣٢٨ هـ فقال : " يشترط ان يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذَّ عن ذلك " (٤) ، و اشترط علماء اللغة المحدثين للتضاد شروطاً أيضاً مثلما فعل القدماء، فهو عندهم " ما ينبغي أن يشير إلى تناقض و تضاد في الدلالات ، و لا يصدق ذلك إلا بشكل مشروط ، لأنه يصعب أن يحدد بوجه عام من أي أساس مشترك يثبت تضاد الدلالات " (٥) .

و يعد السياق من أهم شروط التضاد " فهو الذي يمنح الكلمة معناها، و يحدد دلالتها فتكون بذلك من التضاد أو من غيره " (٦) .

و في ضوء ما تقدم سيعرض الباحث الى السياقات الواردة في نصوص نهج البلاغة و التي تتضمن الفاظاً متضادة لتتضح الصورة أكثر و منها :

(١) منهاج البراعة ، ١٠ / ٢٧١ - ٢٧٢

(٢) لسان العرب ، مادة (ضدد) ، ٣ / ٢٦٣

(٣) المشترك اللغوي نظرية و تطبيقاً ، د . توفيق محمد شاهين ، ص ١٣٤

(٤) الاضداد في اللغة (بحث) : حسين محمد ، مجلة اللسان العربي ، الرباط ، المغرب الأقصى ، مج ٨ ، عدد ١

١٩٧١ ، ص ١٠٣ ،

(٥) المدخل الى علم اللغة ، كارل - ديتير بونتج ، ترجمة : سعيد حسن البحيري ، ص ٢٥٧

(٦) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، أحمد هادي زيدان ، ص ٢٤٣

١ - الألفاظ التي تحمل المعنى و ضده

و من هذه الألفاظ (البلاء) ؛ إذ يحمل هذا اللفظ معنيين متضادين ، قال الإمام الحسين عليه السلام (فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاككم بنا، فجعل بلاءنا حسنا وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا...) ^(١) ، فالبلاء " يكون في نعمة و محنة ، و نقمة و محنة " ^(٢) و قد ورد لفظ (البلاء) في نصوص نهج البلاغة في مواضع عدة ، و منها قول الإمام عليه السلام من خطبة له يبيّن فيها قدرة الله تعالى : ((سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَارًا وَ جَعَلْتَ فِيهَا مَأْدِبَةً مَشْرَبًا وَ مَطْعَمًا وَ أَزْوَاجًا وَ خَدَمًا وَ قُصُورًا وَ أَنْهَارًا وَ زُرُوعًا وَ ثَمَارًا ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا...)) ^(٣).

إن عطاء الله تعالى يصل إلى كل شيء بغض النظر عن الاستحقاق هبة منه جلّ جلاله، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الاسراء: ٢٠) ، فالله تعالى ألزم نفسه الرحمة لجميع خلقه ، " كما أن حب الله للناس لا يتغير و لا ينتهي أبدا ،التغيير يحدث حين يتغير هؤلاء الناس لدرجة أنهم يصبحون أشرار و يرفضون حب الله ، و حتى حينئذ فليس حب الله الذي يتغير ، بل هؤلاء هم من أداروا ظهورهم لحب الله " ^(٤) ، فقول الإمام عليه السلام : ((سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ خَلَقْتَ دَارًا...)) : " أي أنزهك تنزيها عن الشركاء و الأمثال في حالة خلقك و معبوديتك لا موجد غيرك و لا معبود سواك (بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا) : أي خلقت دارا بسبب ابتلاء عبادك و امتحاننا لهم و تميزا بينهم و تفرقه بين السعداء أعنى الطالبين المشتاقين إلى تلك الدار، و بين الأشقياء و هم الرّاغبون المعرضون عنها ، و المراد بالدار دار الآخرة " ^(٥) ، قال تعالى : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣) ، و قد أشار الشاعر إلى هذا المعنى قائلا :

(١) بحار الانوار ، ٤٥ / ١١٠

(٢) ثلاثة كتب في الاضداد - الاصمعي و السجستاني و ابن السكيت ، نشرها د . أوغست هفتر ، ص ٥٩

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٩ ، ص ١٩٨

(٤) الحب في القرآن الكريم ، ص ٤٢٩

(٥) منهاج البراعة ، ٧ / ٢٦٧

أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ شَهَادَةً بَاطِنَةً ظَاهِرَةً
ما شَرَفَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ إِذَا لَمْ يَتَّبِعْهُ شَرَفُ الْآخِرَةِ^(١) (السريع)

" و أعدّ الله سبحانه لهم فيها ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و ما تشتهيهم أنفسهم (مشرابا و مطعما) : أي شرابا و طعاما (و أزواجا) من الحور العين (و خدما) من الولدان المخلّدين (و قصورا) عالية (و أنهارا) جارية (و زروعا) زاكية (و ثمارا) طيبة (ثم أرسلت داعيا يدعو) الناس (اليها) : أي إلى هذه الدار أو المأدبة ، و أراد بالداعي محمدا ﴿ ﷺ ﴾ أو إياه مع سائر الأنبياء " ^(٢) .

الشاهد في خطاب المبدع قوله : (بِحُسْنِ بَلَائِكَ) ؛ إذ يدل لفظ البلاء في هذا الموضع على النعمة ، و هذا النوع منه من موارد حب الله للعبد ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الانفال: ١٧) والدليل على ذلك هو اضافة كلمة (حسن) و لا يكون ذلك إلا في مواضع الخير و النعمة و قد يدل هذا اللفظ (البلاء) على معنى آخر ، كما في كلام له ﴿ الْعَلَّامُ ﴾ يعظ فيه الناس ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آلائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ السَّرَّاعِ إِلَى مَا نُهِيََتْ عَنْهُ وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانٌ مِنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشَّرْكَ وَ يَقِينُهُ الشَّكَّ ...))^(٣) .

إن الله سبحانه و تعالى أسبغ نعمه على الإنسان ظاهرة و باطنة ، و هذا دليل على رحمة الله تبارك و تعالى و حبه لخلقه ، لذا فمن الإحسان أن يرد الإنسان بشكر المنعم و حمده ، و هو الله جلّ جلاله^(٤) ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (لقمان: ٢٠) .

(١) ديوان أبي العتاهية ، اسماعيل بن القاسم ، ص ٢٠٣

(٢) منهاج البراعة ، ٧ / ٢٦٨

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١١٤ ، ص ٢١٢

(٤) ينظر: الحب في القرآن الكريم ، ص ١٤٧

إن الإمام (عليه السلام) بدء خطبته بحمد الله و الثناء عليه (الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ
بِالنِّعَمِ وَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ...) ، جعل سبحانه الحمد
و الشكر سببا لنعمه على الشاكرين قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (إبراهيم: ٧) (و
النعم بالشكر) و أيضا جعل النعم سببا لوجوب الشكر: قال تعالى: ﴿فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ
الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (العنكبوت: ١٧)، " و اذن فالشكر يؤثر و يتأثر: يؤثر الشكر
بالنعمه لأنه من أسباب وجودها ، و تؤثر النعمة به لأنها سبب لوجوبه .. و للشكر مظاهر
، منها أن نرى النعمة من الله لا من سواه، و منها أن نعبد بالصوم و الصلاة ، و أهمها
أن نشرك فيها عيال الله ، و لا نعصيه في شيء (نحمده على آلائه كما نحمده على
بلائه) و معنى حمد المؤمن عند البلاء أن يصبر و لا يتذمر، و يعمل للخلاص ما استطاع
، و لا ييأس من روح الله و ان طال البلاء، و من البديهي ان من عرف عظمة الله ، و
وثق بحكمته يرضى بقضائه ، (و نستعينه على هذه النفوس البطاء ...) النفس تتناقل إلا
عن ملذاتها، و هو تعالى أملك بها منا ، و علينا أن نستعين به ليكف عنا فجورها و شقاها
(و نستعينه مما أحاط به علمه ، و أحصاه كتابه) من السيئات و الهفوات (علم غير
قاصر) ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض﴾ (سبأ: ٣)، (و كتاب غير
مغادر): أي لا يخفى عليه شيء ، قال تعالى ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)، (و نؤمن به ...)
نؤمن بالله و اليوم الآخر و بحسابه و جزائه ايمان من رأى بالعين، و لمس باليد ، و لا يبلغ
من العلم بالله هذا المدى إلا من أدرك آياته في خلقه ، و عرف خصائص الكون في نظامه
و قوانينه (شهادتين): الأولى لله بالوحدانية ، و الثانية لمحمد بالرسالة ^(١) (تصعدان القول
، و ترفعان العمل) يشير الى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

الشاهد في خطاب المبدع (نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ) ؛ إذ يدل لفظ (البلاء) على معنى
مضاد عما جاء في الخطاب الأول (بِحُسْنِ بَلَائِكَ) ، فقد جاء بمعنى (المحنة) ، و الدليل
على ذلك أن المبدع العظيم جعل حمد الله على آلائه في مقابل حمده على بلائه ، و هذا ما

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٥١٣ - ٥١٤

جعل معنى البلاء يناقض معنى (الآلاء)، " فالبلاء الوارد في خطب نهج البلاغة معناه (الاختبار) ، غير أن ذلك الاختبار قد يكون بالنعمة تارة ، أو قد يكون بالمحنة تارة أخرى ، فالتضاد في كلمة بلاء لم يكن في معناها، و إنما التضاد كان في اسلوب تحقق ذلك المعنى (الاختبار) ، فقد يكون ذلك الاسلوب حسنا ، أو يكون سيئا " (١).

و يتضح مما ذكر ان السياق يلعب دورا رئيسا في تحديد المعنى ، و قد أضيف التضاد الحاصل في الخطابين السابقين جمالا و حسنا " فضلا عن روعته في إفادة المعنى و مداعبة مشاعر المتلقي من خلال التباين الدلالي و الاختراق الذهني الذي تولده الإشعاعات الدلالية المخزونة في ألفاظه ، بحيث يخلق لنا نصا مفتوحا " (٢) مما حقق امتاع المتلقي و اقناعه .

ومن التضاد أيضا لفظة (الوراء) قال الاصمعي : (وراء) تأتي بمعنى خلف و معنى أمام ، و ذكرها ابن الانباري في أضداده بالمعنى نفسه (٣) .

وردت كلمة (وراء) في نصوص نهج البلاغة بمعنيين متضادين ، منها ما جاء من خطبة للإمام (عليه السلام) قال فيها : ((أ لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلوات الله عليه) إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تُبْصِرُ وَ لَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا ... تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْنِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَ مَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَ جَزَائِرٍ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يُهْلَلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثًا غُبْرًا لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَائِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ شَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خُلُقِهِمْ)) (٤) .

" لقد أراد الله سبحانه بحكمته وعلمه أن يكون هذا الموطن مأوى لأفئدة الناس تأوي إليه من كل فجٍّ عميق، و مُلتقى تتشابهُ فيه الصَّلَات بين الناس على اختلاف ألسنتهم و ألوانهم، فيأمر الله تعالى خليله إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

(١) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٢٤٥

(٢) ظاهرة التضاد في سورة الأعراف و أثرها في إيصال المعنى ، هادي حسن محمد ، بحث منشور ، ص ٥٣

(٣) ينظر : ثلاثة كتب في الاضداد ، ص ٢٠ ، و كتاب الاضداد ، محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد

أبو الفضل إبراهيم ، ص ٦٨

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢، ص ٣٥٩

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ (الحج: ٢٧)، و قد اختار الله سبحانه وتعالى مكة واصطفاه، وجعلها خير وأشرف بلاد الأرض وأحبها إلى الله " (١)

إن قول الإمام (عليه السلام): (ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم عليه السلام إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار) بنى بها البيت (لا تضرّ و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع) هذا " باعتبار مجموع الأحجار أو بملاحظته في نظر الخلق و أنه يجي ء يوم القيامة و له لسان ناطق و عين ناظرة يشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك و حفظ الميثاق، (فجعلها بيته الحرام) و وصفه به لأنّه حرام على المشركين دخوله و حرام إخراج من تحصّن به منه ، (و غاية لملقى رحالهم): أي مقصد القصد (تهوى إليه ثمار الأفئدة) ثمرة الفؤاد كما قيل سويداء القلب أي تميل و تسقط باطن القلوب إليه ، و هويها كناية عن سرعة سيرها يعني أنّه سبحانه جعل القلوب مائلة إليه محبة له إجابة لدعاء إبراهيم (عليه السلام) حيث قال و اجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، (من مفاوز قفار سحيقة) أي الأفلاء البعيدة (و مهاوى فجاج عميقة) أي من الوهاد و الطرق العميقة التي بين الجبال و وصفها بالعمق على حدّ قوله تعالى ﴿و على كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فجٍّ عميقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، (و جزائر بحار منقطعة) وصف الجزائر بالانقطاع إما باعتبار انقطاع الماء عنها ، أو باعتبار انقطاعها عن سائر بقاع الأرض بسبب إحاطة البحر بها . و قوله (حتى يهزّوا مناكبهم ذللاً) غاية لقوله تهوى ، أي تسرع إليه قلوب الحجاج من المفاوز و المهاوي إلى أن يحركوا المناكب مطيعين منقادين (قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم) يحتمل أن يكون المراد بالسراويل الثياب المعهودة بالإحرام على وجه الاستعارة تشبيها لها بالسراويل في إحاطتها بالبدن فيكون المقصود بنبذها وراء ظهورهم طرحها على عواتقهم و مناكبهم كما هو المعهود في لبس ثوب الاحرام ، و أن يكون المراد بها مطلق المخيط من الثياب من باب المجاز المرسل فيكون النبذ وراء الظهر كناية عن خلعه عن الأبدان " (٢) .

الشاهد في خطاب الإمام (قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم) ؛ إذ وردت كلمة (وراء) في النص الأول بمعنى (خلف) و لا تحتمل غير المعنى المذكور ؛ لأن الموقف الذي وردت

(١) سنن و فضائل ، مقال منشور على الانترنت ،

<http://www.lahaonline.com/articles/view/44058.htm>

(٢) منهاج البراعة ، ١١ / ٢٨٦ - ٢٩٣

فيه حسّي يمكن مشاهدته ، والمدرّكات بالعين لا يصح لفظ الراء معها بمعنى الأمام ،
فالدلالة المذكورة دلالة حقيقية تعكس لنا واقعية المشهد الذي عبرت عنه كلمة وراء في النص
السابق^(١).

و من معاني (وراء) ما ورد من خطبة له عليه السلام في تأديب الأغنياء ((أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِثْرَتِهِ وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ
أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلْمَهُمْ لِشَعَثِهِ وَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ وَ
لِسَانُ الصَّدِّقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرَ لَهُ مِنْ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ))^(٢).
للصدق مكانة عظيمة في الإسلام، فهو رأس الفضائل، و دليل على الإيمان
والصلاح ، به يتميز المؤمنون عن المنافقين ، من لزمه ارتفعت مكانته ، ومن نطق به
ظهرت حجته ، والصدق صفة من صفات الله تعالى، كما أنه صفة من صفات أنبياء الله و
رسله^(٣) ، وقد أمر الله تعالى به في كتابه العزيز حينما قال جل من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩)

" إن قول الإمام عليه السلام : (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ) و
صاحب ثروة (عن عشيرته) و قبيلته و عن (دفاعهم عنه بأيديهم) صولة قبائل و ذبهم
عنه (بألسنتهم) مسبّة قائل و ذلك ؛لأنّ المال و الثروة لا يغني عن الاخوان و العشيرة بل
أشدّ النَّاس حاجة إلى الأعوان و الأتباع هم أكثر النَّاس ثروة و غفيرة ، ألا ترى الملوك و
المتشبهين بهم من أرباب الأموال كم حاجتهم إلى الأصحاب و الأعوان في الأعمال و
الأفعال و أحقّ النَّاس بعدم الاستغناء عنه هم عشيرة الرَّجُل و أقرباءه (و هم أعظم النَّاس
حيطة من ورائه) و حفظا لجانبه (و أَلْمَهُمْ لِشَعَثِهِ) و أجمعهم لمتفرّق اموره (و أعطفهم
عليه عند نازلة) أو مصيبة (إذا نزلت به) و ذلك لجهة القرب الباعثة لدواعي الشفقة عليه
(و لسان الصّدق) و الذكر الجميل المترتب على البذل و الانفاق (يجعله الله للمرء في
النّاس) و بينهم (خير له من) جمع (المال) و امساكه حتّى يورثه غيره^(٤).

(١) ينظر : خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٢٤٧

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٣ ، ص ٥٣

(٣) فوائد الصدق ، مقال منشور على الأنترنت ، موقع (لحظات) ، <https://www.ml7zat.com/116622> ،

(٤) منهاج البراعة ، ٣ / ٢٩٣ - ٢٩٤

الشاهد في خطاب المبدع (أعظم النَّاس حِيطة من ورائه) فقد وردت لفظة (وراء) بالمعنى المجازي ، حيث أنها تدلّ على معنى غير منظور ، فهي تحمل المعنيين معا (أمام ، خلف) في الوقت نفسه ، إذ أن غياب المعنى الحسي لكلمة (وراء) يصرف المعنى الدلالي لها إلى أكثر من اتجاه ، فكلمة (الحِيطة) التي وردت في النص الثاني لا تعني بالضرورة من الخلف ، فقد تكون من أكثر من اتجاه ، و هذا ما دلّت عليه (وراء) في هذا الموضع^(١) .

و قد أثار التضاد في النصين السابقين (قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم) ، (أعظم النَّاس حِيطة من ورائه) " ومضة دلالية لها علاقات إيقاعية تتناغم مع حركة النفس الداخلية التي ترنو شوقا للوقوف على المعنى الباطن الذي يولّد المثير و يحقق الاستجابة عند المتلقي و عليه يكون القصد من التنوع الدلالي ... هو أداء وظائف تنويرية هدفها الكشف الواضح لكل المعاني الخفية في النص " ^(٢)

٢ - الدال على التضاد بالتركيب مع غيره :

هناك عدد من الكلمات الدالة على التضاد بالتركيب مع غيرها بما ضمّته المعنى دون التصريح بتضادها ، و من ذلك ما جاء من خطبة له يذمّ فيها الدنيا فقال : ((مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مِنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنٌ وَ مَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ وَ مَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ))^(٣) .

إن الحياة الدنيا و بالرغم من أنها متاع قليل زائل ، وأنها لا تساوي شيئا لقلة شأنها قياسا بالآخرة ، فإنها زُيِّنَتْ لهؤلاء الذين أحبوها^(٤) ، قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

(١) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤٧

(٢) ظاهرة التضاد في سورة الأعراف و أثرها في إيصال المعنى ، ص ٥٨

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٨١ ، ص ١١٨

(٤) حب الدنيا في القرآن ، عبد الستار المرسومي ، مقال منشور على الأنترنت ،

بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (البقرة: ٢١٢)، فقد حذر المبدع العظيم من التمسك بحبائلها وحثّ على تركها و التمسك بحب الآخرة ؛ لأن حب الدنيا لا منفعة فيه يوم القيامة ، فقله ﴿ التكاثر ﴾ : (ما أصف من دار أولها عناء) : أي " تعب و آلام منذ اللحظة الأولى التي يولد فيها الانسان حتى النفس الأخير (و آخرها فناء) موت لا يرده جاه و لا مال ، و لا كفر و لا ايمان و به تختتم دنيا الأحياء (في حلالها حساب ، و في حرامها عقاب) ، يسأل المرء غدا عن الحلال و الحرام ، أما السؤال عن المال الحلال فعلى أي شيء أنفقه و أتلفه ، أما المال الحرام فيسأل من أين ؟ وإلى أين ؟ و في الحديث : (يسأل العبد غدا عن عمره فيم أفناه ؟ و عن جسده فيم أبلاه و ماله من أين اكتسبه ؟ و أين وضعه ؟) ، و في القرآن الكريم ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ (التكاثر: ١٠٨)، و قال أبو زر : (ان صاحب الدرهم يوم القيامة أخف حسابا من صاحب الدرهمين) ، و اذن فما هي حال أصحاب الملايين التي يبذرونها على التزاهي و التباهي و الفساد و الضلال ؟ ، (و من استغنى فيها فتن) : أي من حاز شيئا من المال اغتر به و طغى ، قال تعالى : ﴿ ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ﴾ (العلق: ٦)، (و من افتقر فيها حزن)، و اذن فالدنيا شر على الفقير و الغني إلا من آمن و اتقى ، و تزود منها لآخرته ، و اتخذها وسيلة الى الظفر برضوان الله . و خير الوسائل لهذه الغاية خدمة الناس و نصح الناس ، (و من ساعاها فاته) : أي من غالبها قد يملك شيئا منها و لكن تفوته أشياء و أشياء كثيرة ، (و من قعد عنها و اتته) : أي من لا يجعل الدنيا كل همه و اهتمامه و يقنع منها بسد الحاجة فإنه يحصل على ما يريد لا محالة قيل لزاهد: أما تخاف الفاقة ؟ قال : بلى ، و اذا أصابتنى حملت المسحاة و عملت مع الفعلة ، و عشت كما يعيشون . (و من أبصر بها بصّرتة) : أي من تدبر الدنيا في ضوء ما فيها من عيوب و مساوئ تدبر و اعتبر " (١) .

الشاهد في خطاب المبدع ﴿ التكاثر ﴾ قوله : (أبصر بها) و (أبصر إليها) ؛ إذ بلغ التضاد ذروة البلاغة في هذا الخطاب حين كان تضادا بالتركيب فهو وضّح المعنى من خلال إبراز التناقض الحاد بين (أبصر بها ، و أبصر إليها) ، لأنه جعلنا أمام طرفي نقيض مكونا مادة لها وقعها المعجمي و الواقعي معا ، فالإبصار عملية رؤية لكنها رؤية خرجت عن

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ١٣٤ - ١٣٦

نطاق المؤلف ضمن علاقات خارجية عن قولبة اللغة و دخلت مجال المعاني، فالإبصار في النص السابق حمل جانبيين، الأول (أبصر بها) بما يحمل من إيجابية و الدليل (بصرته)، و الثاني (أبصر إليها) بما يحمل من سلبية أعمته ، و بين العمى و الابصار ما بين الشر و الخير و ما بين الكره و الحب ، فكان التضاد هنا حقلا دلاليا خصباً جعلنا أمام النقيضين فوضّح المعنى و أثار خيالنا من خلال إبراز العقل في الامر الذي أّقنعنا و حقق المتعة في ترقب الدار الموعودة من جهة و تجنب ما يعكر خطاب الحب من جهة أخرى ، فالمعجم لم يخدم الدلالة منفردا و لم يقدم معنى، لأن المعنى الرئيس وظّفه بالتركيب؛ إذ أفاد جمالية الدار، و هي جمالية متمثلة بنوع جديد ينظر من خلاله إلى زوايا الرؤيا المختلفة ، و حرف الجر (إلى) أفاد اللصوق... و حرف الجر (الباء) أفاد الاستعانة ، و هذا خلق بونا في معنى كل من التركيبين (أبصر بها و أبصر إليها)، و من هنا قدم التضاد التركيبي رؤية غنية فاقت المفردة اللغوية و ضدها بما حملت من امتداد معنوي ، و هو امتداد خدم السياق العام للبنية المعنوية التي عجزت البنية المعجمية عن الوصول إليها بلفظ واحد، فأقنع و أمتع و عمّق خطاب الحب حين شد انتباهنا إلى قراءة الأمور قراءة صحيحة و إبصار الحقائق إبصارا واعيا و ذكر النقيض في أبصر إليها بما يحمل من الضلال و العمى.

إن المتأمل في الخطاب يجد أن لا شأن لكلمة (أبصر) بوقوع التضاد ، فهو حاصل من خلال تركيبها مع المتعلق^(١) ، و معنى قول الإمام : (أبصر بها) و (أبصر إليها) " من جعلها آلة لإبصاره للوصول الى الغير تجعله الدنيا صاحب بصيرة ، و من كان نظره و توجهه إليها و همته معطوفا عليها تجعله الدنيا أعمى " ^(٢)؛ إذ بدأ التضاد (أبصر بها و أبصر إليها) و قد أشار ابن الانباري الى ذلك قائلا: " و من الأضداد أيضا قولهم : أغار الرجل الى القوم إذا أغاثهم و أعانهم ، و قاتل عنهم ، و قد أغار على القوم إغارة إذا قصدهم مغترين فقتلهم و سلبهم و انتهبهم " ^(٣) ، و مثله أيضا " راغ على و راغ من ، فالأول بمعنى

(١) ينظر : المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، هادي عبد علي هويدي ، ص ٢٥٣

(٢) منهاج البراعة ، ٥ / ٢٨٦

(٣) كتاب الأضداد ، ص ٣٦٨

أقبل ، و الثاني بمعنى ولّى " (١).

المبحث الثالث: الاقناع والامتناع التركيبي

إن دراسة الصور التركيبية لنص ما يوقفنا على " إمكانات تعبيرية تزيد على مجرد الحديث المؤلف ، أو مجرد نقل المعنى، و يمكن رصد ذلك في عمق استعمال المفردات و الجمل و المادة النحوية وانتظام الجمل، ثم الفقرات وصولاً إلى الأداء الأدبي المتكامل " (٢). و يعد النحو بمعناه الواسع " أهم مؤثر في خلق الاطار الدلالي في مستواه الخارجي الشكلي ، أو في مستواه النفسي العميق ... " (٣)

إن قواعد النحو " ذات علاقة مزدوجة في الدرس الأسلوبي من حيث المبدع للأسلوب و من حيث الدارس له ، فأما من حيث المبدع فتتمثل قواعد النحو له الخطوط الهندسية التي يجسد من خلالها بناءه الذي يروم إبداعه، بحيث أن تلك القواعد تمدّه بعناصر الجمال الفني ، و هي وسيلته الكيفية التي يستعين بها على انتاج دلالاته الأدبية، وصولاً إلى ابراز الغرض الأعم من التركيب المتمثل بالخلق الجمالي، و الإمكانيات النحوية مهمة للمبدع من حيث كونها ترتبط بحركة اللغة و تطورها " (٤).

يعد نهج البلاغة لأمير المؤمنين (عليه السلام) غنيا بالأطر التركيبية ذات الصبغة الجمالية لما يمتلكه المبدع العظيم من بلاغة أذهلت العقول وأدهشت النفوس. و سنعرض في هذا المبحث أساليباً مختلفة استعملها الإمام (عليه السلام) في رسم صور الحب " تقضي جميعها بإيحاءات لأساليب ، أو إثارات لذهن المتلقي تقنعه و تمتعه في رسم الصورة من وجوه مختلفة " (٥) لموضوعات متعددة ، وعلى الرغم من اختلاف الصور و تعدد الموضوعات إلا أنها تتفق في اقناع المتلقي و امتاعه، و من هذه الاساليب :

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥٣

(٢) جدلية الأفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، د . محمد عبد المطلب ، ص ١٣٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٤

(٤) شعر زهير بن أبي سلمى دراسة اسلوبية ، أحمد محمد علي محمد ، ص ١٥

(٥) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤١

١ - الاستفهام

الاستفهام في اللغة : " الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب فَهَمَهُ فَهْمًا وَفَهَمًا وَفَهَامَةً عَلِمَهُ ، وَفَهِمْتَ الشيء عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ ، وَاسْتَفْهَمَهُ سَأَلَهُ أَنْ يُفَهِّمَهُ " (١) ، و لا يخرج الاستفهام عن معناه اللغوي في الاصطلاح، و حقيقته طلب الفهم (٢) . و قال الجرجاني: " إن الاستفهام : استخبار ، و الاستخبار : هو طلب من المخاطب أن يخبرك " (٣) .

و قد ورد هذا اللون من الاساليب في خطاب الحب في نهج البلاغة من خطبة للإمام (عليه السلام) يعظ فيها الناس و يبيّن قربه من رسول الله جاء فيها: ((أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرِ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُودُ مِنْهُمْ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ... وَ اللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلَجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) أَلَا وَ إِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ ذَلِكَ مِنْهُ وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا وَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلُّهُ وَ بِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَ مَالِ هَذَا الْأَمْرِ وَ مَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَعُهُ فِي أَذُنِي وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَ اللَّهُ مَا أَحْتَكُمُ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَ لَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَ أَتْنَاهُ قَبْلَكُمْ عَنْهَا)) (٤)

خلق الله الإنسان ومنحه أدوات العلم والمعرفة وهي العقل والسمع والبصر، و معرفة الله تعالى و خشيته تتم بمعرفة آياته الكريمة و مخلوقاته ، و العلماء هم الذين يعلمون ذلك ، و لذلك أثنى الله عليهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر: ٢٨) ، و فضل الله الإنسان على سائر مخلوقاته ، كما أن التفضيل قائم بين بني الإنسان أنفسهم، فليس جميعهم على درجة سواء ، فحب الله تعالى و معرفته يأتي بحسب الاستعداد النفسي للإنسان : أي مقدار الحب و المعرفة الذي يستوعبه القلب قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾

(١) لسان العرب ، ١٢ / ٤٥٩

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الانصاري ، تحقيق : د عبد اللطيف محمد الخطيب ، ص ٧٠

(٣) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص ١١٨

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٥ ، ص ٣١٤

(الرعد: ١٧)، لذا فالمبدع العظيم بما يحمله من علم عظيم لا يستطيع كل إنسان حمله، بل يحمله من كان له الاستعداد الروحي الناتج عن حب الله تعالى و معرفته و خشيته ، فهو يشير في خطابه إلى أصناف محددة من الخاصة هم فقط من يفضي إليهم هذا العلم لاستعدادهم العالي لتقبله (إلا و اني مفضيه) : أي " مفض به و موصل له و مؤدّ إياه (إلى الخاصة) : أي إلى خواصّ أصحابي (ممن يؤمن ذلك) أي الغلوّ و الكفر منه بما له من الاستعداد (و الذي بعثه) : أي رسول الله ﷺ (بالحقّ و اصطفاه على الخلق ما انطق إلا صادقاً و لقد عهد إليّ) رسول الله ﷺ (بذلك كلّه) أي بجميع ما اخبر به (و بمهلك من يهلك و منجى من ينجو) : أي بهلاك الهالكين و نجاة النّاجين أو بمكان هلاكهم و مكان نجاتهم أو زمانهما ، و المراد بالهلاك إمّا الهلاك الدنيوي : أي الموت أو القتل ، أو الهلاك الأخروي أعنى الضلال و الشقاء و كذلك النجاة (و مآل هذا الأمر) : أي أمر الخلافة أو الدّين و ملك الاسلام و مآله انتهائه بظهور القائم (عج) و ما يكون في آخر الزمان (و ما أبقي) أي الرّسول ﷺ (شيئاً يمرّ على رأسي) من اغتصاب الخلافة و خروج النّاكثين و القاسطين و المارقين و قتالهم و من الشهادة بضربة ابن ملجم المرادي لعنه الله و غير ذلك مما جرى عليه بعده (إلا أفرغه) : أي صبّه في اذني و أفضي به إلي ، و القسم الوارد في الخطاب (و الله لو شئت أن أخبر كلّ رجلٍ منكم بمخرجه و مولجه ...) : أي لو شئت أن أخبر كل فرد منكم من أين خرج وأين دخل و كيف حصل ذلك كله لفعلت ، و لكن لا أفعل ذلك لسبب و هو (و لكن أخاف أن تكفروا فيّ برّسول الله صلى الله عليه وآله) ، و الغرض من القسم هو التأكيد على مصداقية الأمر و الحدث ، و هو من الأساليب الإقناعية المؤثرة في نفس المتلقي " (١) .

الشاهد في قول المبدع (ما لي أراكم عن الله ذاهبين...)، حيث جاء الاستفهام بالأداة (ما) دقيقاً في إيصال المعنى للسامع ، فتضمّن بين سطوره معنى التوبيخ: أي يحمل في ثناياه حب لردهم إلى الطريق السوي ، و ليصل إلى هذا الحب جاء عن طريق التوبيخ لما له من أثر في النفس ينبهها إلى المطلوب " و زاد من تأثير الأسلوب الاستفهامي و تفاعل المتلقي معه مجيء الفعل المضارع بعد الاستفهام (ما لي أراكم) فقد أعطى سعة

(١) منهاج البراعة ، ١٠ / ١٥٣ - ١٥٦

دلالية أفقية و طولية امتدت لوقت القارئ بما يؤيده حال الأمة الراهن ، فكان التجديد في صيغة المضارع لا يقتصر على زمن القارئ ، بل أعطى دلالة التجدد الحضوري الذي امتد لما يأتي بعده ... و الاستفهام هنا هو المحور الأساس الذي تدور دلالة الخطاب حوله؛ إذ به يكمل المعنى و بدونه يختل...^(١) ، و قد اتسمت الجملة الاستفهامية بسمة بلاغية زادت من وقعها على نفس المتلقي ، فقول المبدع : (مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ) كناية عن اعراضهم عن الله جلّ شأنه والتفاتهم الى غيره سبحانه و تعالى (وَ إِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ) إشارة الى رغبتهم في الحياة الدنيا و حبهم لها و تمسكهم الشديد بها ، و قد ساهمت المحسنات البديعية الوارده في النسق اللغوي من جمالية النص محققا في ذلك اقناع المتلقي و إمتاعه .

و من الاستفهام أيضا قول المبدع العظيم من خطبة له ﷺ يذكر فيها فضائل أهل البيت (عليهم السلام) جاء فيها : ((فِيهِمْ كَرَامَةُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا فَلْيَصَدِّقْ رَأْيَ أَهْلِهِ وَ لِيُخْضِرْ عَقْلَهُ وَ لِيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ... وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَمْ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَ مَا خَبَتْ ظَاهِرُهُ خَبَتْ بَاطِنُهُ وَ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ))^(٢).

للقرآن الكريم مكانة كبرى عند المسلمين لم تكن لأيّ كتاب آخر سواه فمنذ نزوله أحبّوه ، وتلّوا ما تيسّر لهم منه آناء الليل وأطراف النهار، وحفظوا آياته، وحفظوه أبناءهم، واعتنوا بتفسيره، و استجلاء مقاصده، و قد كان هذا طبيعياً، فهو كتاب الله العظيم، المستجمع لجميع عناصر الروحانية و الجمال، وهو الذي أوجد منهم أمة عظيمة الشأن، منيعة الجانب ، سامية الحضارة ، محترمة بين الشعوب و الأمم ، بما أعطاهم من شخصيّة و سمو في الذات و المعنى، غير أنّ القرآن الكريم كان له عند أهل بيت النبوّة . بدءاً بالإمام أمير المؤمنين عليّ ﷺ ومروراً بفاطمة الزهراء (عليها السلام) ثمّ الحسنين والأئمة التسعة من وُلد الحسين . مكانة أكبر، ومنزلة أسمى فاقت ما لهذا الكتاب العظيم من المكانة والمنزلة

(١) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤٣ - ١٤٤

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٤ ، ص ٢٦٩

عند غيرهم من المسلمين" (١) . فقول الإمام عليه السلام ، (فِيهِمْ كَرَامَةُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنَّ نَطَقُوا صَدَقُوا وَ إِنَّ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا ...) : أي نزلت آياته الكريمة بفضلهم و عظمتهم ، و هم خزنة علمه ، و لا ينطقون عن الهوى ، و قوله : (فَلْيَصْدُقْ رَأْيُ أَهْلِهِ) على الهادي و الراعي أن ينصح أهله و يخلص لهم ، (وَ لِيَكُنْ مِنْ أُنْبَاءِ الْآخِرَةِ) : أي يعمل لها ، و قوله عليه السلام : (وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ...) ، كان العلم و ما يزال مقياسا لكل خطوة من خطوات البشرية إلى الأمام في كل ميدان من ميادين الحياة و (فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ) في طريق العلم الذي يوصله إلى أهدافه (أَمْ رَاجِعٌ) إلى الوراء و مترد في الحضيض ؟ " (٢) .

و كذا قوله عليه السلام : (فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ ... وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ) ، فلما ذكر ان ما هو طيب الظاهر طيب الباطن و ما هو خبيث الظاهر خبيث الباطن عقبه بحديث النبي الاكرم محمد صلى الله عليه و آله و سلم لتبئيه السامعين و إيقاظهم بأن العبد قد يكون محبوبا بشخصه ولكن عمله مبغوضا و قد يكون العكس ، فاللزام إذا كان العبد محبوب الذات لله تبارك و تعالى و مبغوض العمل ان يجد الوسيلة التي تحبب عمله الى الباري جلّ علاه لكي يتوافق عمله مع نفسه في المحبوبة ، و إذا كان مبغوض البدن محبوب النفس ، أن يجد في تحبيب نفسه اليه لكي يتوافق عمله مع نفسه (٣) .

من أكثر سبل المحاجة و البرهان تقديم أسئلة توقظ غفلة التفكير ، و تحرص على تفعيل الجوانب الكامنة في شخصية الآخر المتلقي ، ربما لذلك جعل المبدع العظيم الاستفهام أدواته في تحفيز عملية الافناع المرنة الممتعة حين قال (أ سائر أم راجع) ، و خصوصا ان اسلوب الاستفهام سبق بتركيب فليَنظر ناظر ما يعني أنه استفهام واع بعيد كل البعد عن العبثية فأعطى جمالية ممتعة ، و أسلوب الاستفهام هنا يمثل فضاء زمنيا موحيا يلائم مساحة الوعي ، و يشكل إشارة عقلية توحى بتبصر الأمور ، و التأكد من ماهيتها قبل المضي قدما في دروب الحياة ، و هذا الأمر يحقق متعة تجذب النفس ؛ لأن الخطا الواثقة

(١) القرآن الكريم عند أهل البيت ، مقال منشور على الأنترنت ،

<https://www.imamreza.net/old/arb/imamreza.php?id=1037>

(٢) في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ١٥٣ - ١٥٤

(٣) ينظر : منهاج البراعة ، ٩ / ٢١٥ - ٢١٦

تعطي شخصية متزنة قادرة على التجاوز بثبات ، و لما كان هناك خيط يصل بين المستفهم و المستفهم عنه كان لزاما أن تتسع دوائر الاقناع الفكري ، و ذاك الخيط هو الحقيقة التي نستشفها من السؤال ذاته، فمعمارية السؤال هنا لا تختزل في أداة الاستفهام فقط ، لأنه تركيب متماسك الأجزاء يبدأ بالأداة و ينتهي بإشارة الاستفهام ، بما يقدم وجود تلك الإشارة من نبرة انفعالية مؤثرة و مقنعة معا ، و من الطبيعي ان نكون أمام الاقناع ؛ لأن الاستفهام هو طلب الفهم ، لذا نرى فيه صدقا شعوريا ، و متانة في البناء التركيبي العاكس شعور المتلقي ، و ما نلاحظه أن أسلوب الاستفهام أتى بين حقيقتين (الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ) ما يزيد الاقناع طبيعية ، و حين تكون القناعة لأمر معيش مفروض تسهم في تحفيز اثارة المتعة المنبثقة من تلك القناعة .

فالاستفهام بالهمزة المسبوق بفعل الأمر (فَلْيَنْظُرْ) (فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ) ، هو أمر من الإمام (عليه السلام) يعد مقدمة للاستفهام و تمهيدا للإقناع و طلبا مباشرا لإحالة هذا الموضوع إلى العقل، فالنظر بالعقل هو توجيه لبصيرة المتلقي ، و دعوة صريحة للتفكير في سلوك طريق الحق ، و يمثل الاستفهام الوارد في النسق اللغوي حلقة الوصل في التسلسل الدلالي لبيان فضيلة العلم المقترن بالعمل ، وكذا تلويحه وإشاراته الى وجوب اتباع الأئمة (١)

٢ - النداء

قال صاحب اللسان : " النَّدَى الْبَلَلُ وَالنَّدَى مَا يَسْقُطُ بِاللَّيْلِ وَالْجَمْعُ أُنْدَاءٍ وَأُنْدِيَةٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ " (٢)، و في الاصطلاح يُعرّف النداء بأنه : " التصويت بالمنادي ليعطف على المنادي، و النداء مصدر ، يُمد و يقصر فمن مده جعله من قبيل الاصوات كالصراخ و البكاء و الدعاء و الرغاء و من قصره جعله كالصوت و الصوت غير ممدود ... " (٣) . و النداء من الاساليب العربية التي تضي جمالا على النص ؛ لأنه " اسلوب متحرر من قيود كثيرة ، فمنشئ النص ، أو المتحدث يعبر بصور كثيرة من التعبيرات التي تنطوي

(١) ينظر : صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) لسان العرب ، ١٥ / ٣١٣

(٣) شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي ، ٨ / ١١٨

تحت هذا الأسلوب " (١) .

و قد ورد أسلوب النداء في نصوص نهج البلاغة بأدواته المختلفة ، فمن كلام للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قاله و هو يلي غسل رسول الله (ﷺ) و تجهيزه : ((بأبي أنت و أمي يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة و الأنباء و أخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمّن سواك و عممت حتى صار الناس فيك سواء و لو لا أنك أمرت بالصبر و نهيت عن الجزع لاتفدنا عليك ماء الشئون و لكان الداء مماطلا و الكمد محالفا و قلّا لك و لكنه ما لا يملك رده و لا يستطاع دفعه بأبي أنت و أمي اذكرنا عند ربك و اجعلنا من بالك)) (٢) .

كما ينبغي للمؤمن أن يحب الله تعالى لجماله و نعمه عليه ، فينبغي للمؤمن أن يحب النبي الأكرم (ﷺ) لجماله نفسه و لاهتمامه بالمؤمنين و حبه لهم (٣) قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) ، و أي حب أعظم من حب الإمام علي (عليه السلام) للنبي (ﷺ) ، فقلوه (عليه السلام): (بأبي أنت و أمي): أي " أجعل أبوي فداك و التقديّة هي كلمة معتادة للعرب يقال لمن يعزّ عليهم حتى انه اعزّ و ارجح عنده من أبويه بحيث يجعلهما فداء له ، و قوله (عليه السلام) (لقد انقطع) أي انقطع بسبب موتك النبوة و الأخبار و الوحي و لم ينقطع بموت غيرك من الأنبياء و ذلك لأنه (ﷺ) خاتم النبيين و آخرهم ختمت النبوة به فشريعته باقية الى يوم القيامة ، فبموته (ﷺ) انقطع الوحي والنبوة نصّ بذلك عزّ من قائل في كتابه العزيز ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الاحزاب: ٤٠) ، و قوله (عليه السلام): (خصصت حتى صرت مسليا عمّن سواك): أي خصصت في مصيبة من حيث أنّها مصيبة خاصّة عظيمة و داهية دهياء لا يصاب الناس بمثلها فلذلك صارت مسلية عن غيرها من المصائب، و قوله (عليه السلام): (و عممت حتى صار الناس فيك سواء) أي عممت الناس بمصيبتك يعني أن مصيبتك شملت جميع

(١) دعاء الامام علي عليه السلام دراسة نحوية اسلوبية ، محمد اسماعيل عبد ، ص ٧٩

(٢) نهج البلاغة ، كتاب ٢٣٥ ، ص ٤٥١

(٣) الحب في القرآن الكريم ، ص ١٧٣

المسلمين بحيث لا يكون أحد فارغا عنها ، و قوله ﴿الطَّلَاة﴾: (و لو لا أنك امرت) :أي لو لا امرك بالصبر في قبال المصائب و حدثان الدهر و نهيك عن الجزع في إزاء نوائب الايام لبكينا حتى لا يبقى من الدّموع في مجاريها و منابعها شيء ، و هذا كناية عن كثرة البكاء ، ثم أعاد الإمام التقدمة مرة أخرى إعزاز و تعظيما له ﴿وَاللَّهِ﴾ ، فقال : (بَابِي أَنْتَ وَ أُمِّي أَذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ) و إبرازا لما في الضمير كرة بعد كرة توكيدا من أنه أحب الناس إليه بحيث يجعل أبواه فداءه " (١).

نلاحظ في كلام المبدع العظيم نواذر زادت الاسلوب جمالا ، و أثارت المتلقي شوقا و إمتاعا ، فالخطاب موجه للنبي ﴿وَاللَّهِ﴾ و مقام النص الموقف الحزين ، فالإمام يفقد عزيزا و أخا لا نظير له مطلقا ، و هنا تكمن نادرة العفوية و السجية الخالية من الشوائب في اختيار الاسلوب المعبر و الصدق الدلالي ، و لا ريب أن جميع نصوص أمير المؤمنين ﴿الطَّلَاة﴾ تتسم بالعفوية و السجايا الصادقة ، بيد أن هذا المقام لا يبقى للشبهة مجالا ، و يؤكد أيضا صدق الإمام في كون النبي ﴿وَاللَّهِ﴾ هو المثل الأعلى له في المواقف كلها على الإطلاق ، و موقف الحزن هذا يمثل أهدأ مواقف الحب ، و هذا الأسلوب يوحي بأن النبي الأكرم يمثل صورة المحبوب الأوحد للمبدع العظيم و كان في ذلك مثال التطبيق العملي للحديث الشريف " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده و الناس أجمعين " (٢) ، و وظّف المبدع هذا الحب فكريا و نفسيا وفق ما تقتضي الصورة النبوية المرسومة في النص (٣).

و أما الاسلوب الرئيس في موضوعنا و هو (النداء) ، و الذي كانت مناسبته وفاة النبي ﴿وَاللَّهِ﴾ ، نلاحظ أن المبدع يبدأ بنداء الرسول الأكرم بعد قوله : (بَابِي أَنْتَ وَ أُمِّي) المتعلق بمحذوف تقديره (أفديك) بـ (يا) النداء و التي تتميز عن غيرها من أدوات النداء الأخرى ؛ لأن النداء بوساطتها يمنح البناء التركيبي بعدا زمنيا بنفس أطول من غيره من أدوات النداء (اللهم و الهمزة وغيرها) يتناسب و مقام النص و الموقف الحزين له ﴿الطَّلَاة﴾

(١) منهاج البراعة ، ١٥ / ٦١ - ٦٧

(٢) صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، ت ٢٥٦ هـ ، ١ / ٩

(٣) ينظر ، صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٤٩

الذي يعكس طول الفترة الزمنية للحنن و التي خصّت اهل البيت (عليهم السلام) حتى أنهم لا يكثرثون بما يصيبهم بعده من المصائب ، و عمّت الناس أيضا حتى استوى الخلائق كلهم فيها ؛ لأن الانقطاع الذي حدث بوفاة لم يحدث مثيل له بوفاة نبي من الأنبياء ؛ لأنه خاتم الأنبياء و المرسلين، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الاحزاب: ٤٠)، و أراد المبدع بأخبار السماء يعني الوحي ، و لفظ السماء مستعار لما علا في المعنى من سماء عالم الغيب و مقامات الملا الأعلى ، فطول امتداد النفس في حرف النداء (يا) جاء متواشجا مع طول فترة الحزن ، وإن اختيار المبدع لأداة نداء القريب لنداء البعيد يكسب المنادى دلالة جديدة ك (التعظيم) و التعبير عن شعور المبدع و شوقه المستمر إلى المنادى وهو النبي الأكرم ، أما صدارة الاداة فكانت بمثابة المنبه الذي قامت عليه صورة النص بما تحمله من أساليب بلاغية ^(١)، ففي النداء محاولة خلق روابط ، و في الروابط انسجام ، و في الانسجام حب، ما يعزز خطاب الحب ، و يعزز معه اقناعنا و امتاعنا حين أكد رغبته في فداء النبي و صرّح بحبه و بسلبية فقده .

و من وصية له يوصي بها ولده الحسن ﴿عَلَيْهِ السَّلَام﴾ جاء فيها : ((وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ مَا أَقْبَحَ الْخُسُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ الْجَفَاءِ عِنْدَ الْغِنَى إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ وَ إِنْ كُنْتَ جَارِعًا عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ وَ لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغَتْ فِي إِيْلَامِهِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَنْعِظُ بِالْآدَابِ وَ الْبَهَائِمِ لَا تَنْعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَ حُسْنِ الْيَقِينِ))^(٢).

نظم الله تبارك و تعالى و حدد العلاقات و الحقوق العائلية ، و الحب العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الانفال: آية ٧٥)، و قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٣ ، ص ١٨ ، شرح نهج البلاغة لابن ميثم : ١٠٧ / ٤

منهاج البراعة : ج ١٥ ، ص ٦٧ ، صورة النبي في نهج البلاغة : ص ١٥٠ - ١٥٣

(٢) نهج البلاغة ، كتاب ٣١ ، ص ٤٩٦

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿التوبة: ٦﴾ ، و الأولاد فلذات أكباد آبائهم ؛ لأنهم الامتداد الطبيعي لهم لذلك يكون الاهتمام بهم أكثر من سائر الأقارب و بالأخص لو كان الولد سيحمل إرث أبيه في قيادة الأمة^(١) ، فقله ﴿عليه السلام﴾ : (وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ) ، " قد قسم ﴿عليه السلام﴾ الرزق إلى رزق يحصل بلا طلب و إلى رزق يحصل بالطلب ، (مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَ الْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى ...) ، ثم قبح ﴿عليه السلام﴾ خلقا معروفا عند الناس و هو الخضوع عند الحاجة و الجفاء عند الغنى . و قد أشار ﴿عليه السلام﴾ إلى أنّ ما يفيد للإنسان من الدنيا هو يصلح به أمر آخرته فحسب ، و أما غير ذلك فيذهب هدرًا و يبقى تبعته ، و أشار ﴿عليه السلام﴾ إلى تسلية مقنعة مستدله لترك الأسف على ما فات بأنه إذ جزع على ما خرج من يده من المال و الجاه فلا بدّ أن يجزع على جميع ما في الدنيا ممّا لم يصل إليه لأنه لا فرق بين القسمين ، و وصّى أن يكون للإنسان قلبا خاضعا مستعدا للتعاظ و هو دليل العقل و الفراسة و لا يخلو الإنسان من هموم ترد على قلبه من حيث يشعر و لا يشعر فوصّى ﴿عليه السلام﴾ بطرد هذه الهموم بملازمة صبر ثابت و يقين صادق و بملازمة طريقة عادلة في أعماله و أخلاقه^(٢)

في هذا النص جاءت أداة النداء لتنبية المتلقي إلى أهمية الأمر الوارد في السياق اللغوي و الذي سلك فيه المبدع أسلوب الناصح لفلذة كبده الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ فما أروع هذا الأسلوب الذي يتمتع المتلقي و يقنعه ليوصله الى أعلى مراتب الحب لله تبارك و تعالى ، فكان النداء موجها إلى ذهن المتلقي إلى هذا الجانب مبينًا أهميته القصوى ، ثم أعلم الإمام ﴿عليه السلام﴾ ولده إلى ما يفيد الإنسان من هذه الدنيا هو إصلاح أمر آخرته و طرد الهموم بملازمة الصبر الثابت و اليقين الصادق^(٣) ، لقد كان النداء هنا حقيقيا و لم يأخذ ناحية مجازية ربما لأنه في سياق الوعظ و الإرشاد ، و ربما لأن النداء يشكل حلقة وصل متينة بين المنادي و المنادى في سياق كالسياق الذي أورده ﴿عليه السلام﴾ ، فلفظة (بني) تحمل دفي الانتماء الأسري

(١) ينظر : الحب في القرآن الكريم ، ص ٢١٣

(٢) منهاج البراعة ، ٢٠ / ٣٣ - ٣٦

(٣) ينظر : شرح نهج البلاغة : عباس الموسوي ، ٤ / ٢٩٢ ، صورة النبي في نهج البلاغة ص ١٥٥

المليء بالوجدان و الحب ، و نداؤه نداء حب ، و هذا يبعد سياق الوعظ عن النبذة الآمرة ، و يجعل سياق الحديث مليئاً بالحب و الرغبة في السمو بمن نحب ، و محاولة جعله قريباً دائماً أو الحفاظ على قربه بهدف الحفاظ عليه من النواحي كلها ، فيجعل النداء خطاب حب و أمل و يجعل المتلقي مقتنعاً بما آل إليه المعنى بهدف صونه من النواحي كلها .

٣- الدعاء

يعد الدعاء شكلاً من الأشكال الفنية ، فهو يقوم من حيث المظهر الخارجي على عنصر المحاورة الانفرادية ، و من حيث المظهر الداخلي على عنصر العاطفة و الوجدان، و هذان المظهران يمثلان الركيزة الأساسية للدعاء، و يوضع كلام المبدع العظيم بالمرتبة الثالثة من الاعجاز البلاغي بعد القرآن و الحديث النبوي الشريف ؛ لأن في كلام الإمام ﴿عليه السلام﴾ مسحة من الكلام الإلهي ، و نفحة من كلام النبي الأكرم ﴿ﷺ﴾ ، و بلاغته تحمل من الفن الجميل و الذوق الرفيع مما يجعلها تتسجم مع كل عصر و زمان^(١).

و قد ورد هذا الأسلوب في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة له يبيّن فضل الإسلام و يذكر فيها النبي ﴿ﷺ﴾ جاء فيها: ((حَتَّى أَوْرى قَبْساً لِقَابِسٍ وَ أَنَارَ عِلْماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيْثُكَ نِعْمَةً وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ اقسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ وَ اجْزِهِ مُضَعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ اَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ نَزْلَهُ وَ شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ اَعْطِهِ السَّنَاءَ وَ الْفَضِيلَةَ وَ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَ لَا نَادِمِينَ وَ لَا نَاكِبِينَ وَ لَا نَاكِثِينَ وَ لَا ضَالِّينَ وَ لَا مُضِلِّينَ وَ لَا مَفْتُونِينَ))^(٢) .

يتجلى في خطاب الإمام ﴿عليه السلام﴾ اسمى معاني الحب مستهلاً إياه بأسلوب الدعاء للنبي ﴿ﷺ﴾ ، و لا ريب أن المبدع هو الأعلم و الأعرف بأسرار هذا الدعاء كما هو الأعرف بالرسول الكريم و ما خفي على الناس ، فالكثير منهم يمتلك شعور الحب لنبي

(١) ينظر : الدعاء في نهج البلاغة ، د . خليل خلف بشير ، ص ١٣ - ١٤

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٦ ، ص ١٩٢

الإسلام ، لكنه لا يهتدي الى التعبير المناسب لإعطاء هذه الصورة حقها، فالمبدع العظيم سلك سبيل الدعاء لرسم هذه الصورة التي تحقق على إثرها إمتاع المتلقي و إقناعه ، فبدء الإمام حديثه بتمجيد النبي الأكرم بقوله : (حَتَّى أَوْرى قَبَساً لِقَابِسٍ): أي أنه أظهر نور الحق ، ثم قال : (وَ أَنَارَ عِلْماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيْثُكَ نِعْمَةً وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً) ، فالأصل في إنارة العلم للحابس هو أن يوقد النار عليه و يستنار الضال به و الحابس أي الذي حبس ناقلته و وقف لا يدري كيف يهتدي المنهج ، و استعاره هنا لإظهاره ﴿ٱللَّهُ﴾ أنوار الهداية ليهتدي بها من حبسته ظلمة الحيرة و الشبهة عن سلوك طريق الحق و قد حقق هذا اللون البلاغي جمالية في النص تحقق على إثرها إمتاع المتلقي و إقناعه ، فالنبي الأكرم أمين الله تعالى و بعينه و هو رحمة للعالمين ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء: ١٠٧)، وهذه الأوصاف تبعث الراحة و الطمأنينة للسامع ، فجاءت هذه الكلمات التي صاغها ﴿ٱللَّهُ﴾ مقدمة للدعاء مما جعله مثيرا للمتلقي، و مشوقا لشعوره الباطني ، فأول الدعاء طلب للنبي الاكرم أن يبلغ اقصى مراتب القرب والوصول بما لديه من القابلية والاستعداد النفسي فقال : (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ) و لما دعا له بما يستحقه زاد على ذلك فقال : (وَ اجْزِهِ مُضْعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ) : أي أعلى درجات الكمال ثم خصّه بالتفضيل على جميع الانبياء و المرسلين بقوله : (أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ) :أي اجعل منزلته في دار الثواب اعلى المنازل ، ثم قال : (وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزْلَهُ وَ شَرَّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ) حيث استعار المبدع لفظ (النزل) لما هياه تبارك و تعالى في حقه من الثواب الجزيل و الأجر الجميل في حظيرة القدس و (آته الوسيلة) هو امتثال لما طلبه النبي من امته بقوله : سلوا الله لي الوسيلة ، و بعد ذلك انتقل المبدع بالدعاء للمؤمنين و لنفسه بأن يؤتته الله ما يتوسل به اليه و يقربه منه، و هو ان يكمل استعداداه لما هو أتم القوة على الوصول إليه^(١) .

يعد الدعاء بـ (اللهم) من أشهر الأسماء التي استعملها أمير المؤمنين في نصوص نهج البلاغة، و لفظ (اللهم) يتضمّن (يا) النداء المحذوفة و التي عُوّض عنها بحرف

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد ، ٦ / ٢٧٠ ، منهاج البراعة : ٧ / ٢١٢ - ٢١٣ ، صورة النبي

في نهج البلاغة ص ١٥٦ - ١٥٩

(الميم) المضغفة، و الأصل في هذا اللفظ (ياالله)، فالدعاء الذي أورده الإمام (عليه السلام) بتكرار لفظ (اللهم) اكثر من مرة له دلالة في كل لفظة ذكرها فمنح النص صوراً متنوعة بأسلوب يمتع السامع و يُفَنِّع لَبَّه. ثم " يأتي دور المتلقي تجاه هذه الصورة ؛لأنه بعد ذكر هذه الصفات التي ميزت هذه الصورة من غيرها و كانت الأولى على جميع الصور الإلهية الخاصة و العامة بما حوته ألوانها الراقية من عبودية و رسالة حب خاتمة لجميع من سبق ، و فتحها كل ما انغلق من ابواب الهداية و دمجها باطل الجاهلية بحق الاسلام حتى أورى قبس الطريق لمن أراد أن يسلكه الى الجنة ، أدخل هذا الأسلوب في شعور المتلقي القناعة أن لهذه الصورة حقا عليه لا بد من الوفاء به " (١) .

و من الدعاء أيضا ما ورد من كلام له (عليه السلام) يذكره إذا لقي العدو محاربا جاء فيه :((اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أَتَضَيَّتِ الْأَبْدَانُ اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْنُونُ الشَّنَانِ وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتَّتْ أَهْوَانُنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)) (٢) .

" حب الله هو أعظم حب في الوجود، ليس قبله حب أو بعده حب، به تعالج أمراض القلوب وتنتهي نزعات النفوس، وبه أيضاً ينقذ المجتمع مما يعج به من ويلات مهلكة للنفس والإيمان ،وبمثل الدعاء أحد أهم الوسائل التي تُقرب العبد من خالقه و تحببه له؛ لأن الدعاء يُشعر العبد بالضعف تجاه خالقه وأن لا منقذ و لا مخلص له غير الله جلّ جلاله" (٣)، فالدعاء يمثل أقصى حالات انقطاع العبد الى الله تبارك وتعالى ، و به تستقر النفس و تأنس باللطف و العناية الربانية لأن الباري عزّ وجل يسمع دعاءها و يلبي نداءها ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) وقد تكرر لفظ (اللهم) في دعاء الإمام (عليه السلام) ثلاث مرات و هذا التكرار يشير إلى شدة تقرب المبدع إلى خالقه ، و عندما نتفحص أدعية المبدع نجدها مشتملة على صور بلاغية متنوعة تتشكل من فنون بيانية مختلفة من استعارة

(١) صورة النبي في نهج البلاغة : ص ١٦١

(٢) نهج البلاغة ، الكتاب ١٥ ، ص ٤٧٣

(٣) الحب الأعظم حب الله ، مقال منشور على الأنترنت ، <https://www.lahaonline.com/articles/view>

و مجاز و كناية ، حيث تداخلت الصور المختلفة فيما بينها لتكوين أسرار فنية ذات صبغة جمالية تجذب العقول وترنو إليها النفوس مما تحقق على إثرها امتاع المتلقي و إقناعه، ففي قول الأمام: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَفْئَادُ وَ أُضْضِيتِ الْأَبْدَانُ) ، فمد العنق يعني تطويله كناية عن الميل و التطلع ، ثم يشرع في باقي فقرات الدعاء (اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَ تَشْتَتِ أَهْوَانِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) ؛ إذ يشكو ﴿الطَّلِيلَةَ﴾ الى الله تعالى فقد النبي الأكرم و ما تبع وفاته ﴿الْمَشَقَّةَ﴾ من زيغ و فتن و أحقاد وغيرها^(١) .

٤ - الأمر

الأمر لغة : " نقيض النهي : أمره به ، و أمره بإياه على حذف الحرف يأمره أمرا و إمارا فأتى : أي قبل الأمر"^(٢) ، قال تعالى : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل : آية ١) .

أما اصطلاحا فيعرف بأنه: " طلب حدوث الفعل على جهة الاستعلاء وجوبا أو ندبا بتبادل ذلك المعنى إلى فهم السامع عند سماعه هذه الصيغة و يعتبر التبادل إلى الفهم أقوى دلائل الحقيقة غالبا " ^(٣).

و قد ورد هذا اللون من الأساليب في نصوص نهج البلاغة على شكل فعل أو صيغة تعطي معنى الأمر، فمن كتاب لأمر المؤمنين ﴿الطَّلِيلَةَ﴾ إلى الحارث الهمداني جاء فيه : ((و تَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْفُرَّانِ وَ اسْتَنْصَحْهُ وَ أَحِلَّ حَلَالَهُ وَ حَرَّمَ حَرَامَهُ وَ صَدَّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَ اعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا ... وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ أَبَقَ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَإِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةِ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالْشَّرِّ مُلْحَقٌ وَ وَقَرَّ اللَّهُ وَأَحْبَبَ أَحِبَّاءَهُ وَ اخْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ))^(٤)

إن التمسك بالقرآن الكريم و المحافظة على تلاوته له تأثير إيجابي في شخصية

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ١٥ / ٧٨ و الدعاء في نهج البلاغة : ص ٣٠

(٢) لسان العرب : ١٤ / ٢٧٤

(٣) دراسات في علم المعاني ، عبد الواحد حسن الشيخ ، ص ٧٨

(٤) نهج البلاغة ، الكتاب ٦٩ ، ص ٥٨٧

الأنسان و هو المسلك الحق للإبداع و القيادة و السعادة و النجاح ، يقرب العبد من محبوه الحقيقي و يهديه إلى الصراط المستقيم ، لذا فإن الإمام (عليه السلام) يحث أصحابه على التمسك بكتاب الله تعالى ، فبدء المبدع العظيم حديثه بصيغة فعل الأمر واعتمدها كوسيلة لتنبيه المتلقي ، و مناسبة المقام هو كونه (عليه السلام) مفترض الطاعة في أوامره مع السامع ، و قد حمل خطاب الإمام في طياته الموعظة و النصيحة و الا رشاد حيث تجلت معاني الحب بأبهى صورها لما تحققه من اقناع المتلقي و امتاعه و تشعره بأن إمامه و قائده حريص على سعادته في الدنيا و الآخرة ، وقد حمل الخطاب مجموعة من صيغ الأمر (تمسك ، استنصحه، أحلّ ، حرّم، صدّق ، وقرّ، أحب ،احذر)، فصيغة الأمر (تمسك)،(و تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْفُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا) هي تمهيد وتهيئة ذهنية للمتلقي مفادها أن يتمسك بحبل القرآن فاستعار لفظ الحبل و أراد من ذلك لزوم العمل بتعاليمه و أوامره و نواهيه ، و أن يتخذه ناصحا ؛ لأنه يهدي الى الصراط المستقيم ، و أن يعتقد يقينا أن ما فيه من الحلال و الحرام هو حلال و حرام و يقف عند اعتقاده و يعمل بمقتضاه ، و يصدّق بما سلف من الحق مما ذكره القرآن الكريم من أحوال القرون الأولى و أحوال الأنبياء مع أممهم ليصح منه الاعتبار، ثم حذّره أن ينزل به الموت حال ما هو آبق من ربه ،(وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزَلَ بِكَ الْمَوْتُ وَ أَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالْشَّرِّ ...) ، و استعار له الآبق باعتبار خروجه عن أوامره و نواهيه في طلب الدنيا ، و حذّره من صحبة الفسّاق لأن القرنين بالمقارن يهتدي ، و أمره أن يجمع بين توقير الله و تعظيمه و بين محبة أحبائه و أوليائه وهما اصلا متلازمان^(١) ؛ فنبّه بأسلوب التحذير المخاطب على أمر قد يقع له شر من ورائه ، و هو نزول الموت و هو آبق ، و مصاحبة الفساق ، و هذا يجسد شعور حب و خوف على الآخر ، علما أن الشعور بالحب و الخوف على الآخر يمثل قيمة جمالية ، لذا كانت البداية طلبا بصيغة فعل الأمر (تمسك)، و هذا الطلب أسلوب بلاغي يمثل حالة من حالات الأسلوب الانشائي الطلبي الذي يعكس الانفعال و الحب و الاقناع ، لكن الأمر (تمس) وفي التمسك شدة التشبث بالأرض ،وفي هذه العبارة اقتباس لجأ

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ٢٠٨ - ٢١١

إليه ﷺ من قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران: ١٠٣) ، لذا نلاحظ حركية الطلب في زوايا متعددة بدأها بفعل أمر و تلاه أمر آخر، ثم التحذير ، و هذا الأمر ضروري لتبيان حبه ﷺ فأثار الحافظة الجمالية لكنه كان مشبعا بالحب، وتضافرت الجزئيات مكونة المشهد الشعوري بمتعة و تمت مخاطبة العقل بعد أسلوب التحذير و قبله؛ لأن الأمر يستدعي مطلوبا و يشد انتباه القارئ محققا المتعة و الاقناع ،" و لعل الذي دفع المبدع لاستعمال صيغة الأمر هو ما توحى به من دلالة النصح و الارشاد و التوجيه و هو ما يكون أبلغ تأثيرا في شعور المتلقي ليقوده في طريق التفاعل معها " (١) ، و الامتثال لتعاليم القرآن الكريم .

و من خطبة له أيضا جاء فيها : ((فَتَأْسَ بْنَبِيكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا وَ لَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا أَهْضَمَ أَهْلُ الدُّنْيَا كَشْحًا وَ أَخْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا غُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ وَ حَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِفَاقًا لِلَّهِ وَ مُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ)) (٢) .

الطابع المهيمن في خطاب المبدع هو التأسى برسول الإسلام ﷺ ، و هو ما جاء متواشجا مع قوله تبارك و تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الاحزاب: ٢١) و قدّم الاسلوب الذي سلكه المبدع الدليل القطعي للسامع بأن (الأسوة) مفتاح موضوع النص ليقنعه بمدى أهمية هذه (الأسوة) ، فكأن المتلقي أقرّ بما أُلقي إليه ، لذا جاء الأمر بصيغته المتواشجة مع مفتاح النص ليعطي الدلالة الصورية أبعادا ممتعة بتكراره بطريقة اشتقاقية لا يشعر المتلقي بالملل عند سماعها و تكون مقبولة في نفس المتلقي و منسجمة مع شعوره ، فقول الإمام: (فَتَأْسَ بْنَبِيكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ) ثم تبعه (فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَ عَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَّى) إذ لو اختلج في نفس

(١) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٦٦

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠

المتلقي ما ذكر على هيئة سؤال سيجد جوابه في النص نفسه و هو قول المبدع (أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ) و هذا ما كان منسجما كل الانسجام مع قوله تبارك و تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)، ثم جاء الاستئناف البياني بقوله : (قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا) و أراد بقضمه اقتصاره ﴿ ﷺ ﴾ في الدنيا على قدر الضرورة ، و قوله : (وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا وَ أَحْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا) فهو لم يجعل الدنيا مطمح نظره و هو كناية عن عدم التفاته إليها و (أهضم ...) كناية عن كونه أقلهم شبعاً و أشدهم جوعاً، وانه ﴿ ﷺ ﴾ صَغَرَ و حَقَّرَ ما صغره الله وحقره (١) .

٥ - القسم

و قد ورد هذا اللون من الأساليب في نصوص نهج البلاغة ، فمن كلام له ﴿ ﷺ ﴾ و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين جاء فيه : ((أَمَّا قَوْلُكُمْ أ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَ اللَّهُ مَا أَبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَ اللَّهُ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَ تَعُشُوا إِلَيَّ ضَوْئِي وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِأَثَامِهَا)) (٢) .

أراد المبدع العظيم في هذا الخطاب أن يوصل رسالة مفادها أن المهمة الاساسية لنا هي هداية الناس إلى سبيل الحق و هي مهمة الأنبياء و الأولياء ، فالإمام ﴿ ﷺ ﴾ يطمع أن تلحق به طائفة من هؤلاء القوم ممن تجذبهم العناية الربانية فتهتدي به و تعشو إلى ضوء عمله و كماله ، و كان ذلك أحب إليه من قتلهم و ضلالتهم ، فاختار المبدع العظيم هذا اللون من الأساليب و هو القسم بلفظ الجلالة ليس لمدح النفس أو بيان مكانتها ، و إنما هو اختيار لإسلوب أكثر اقناعاً للمتلقي و بيان الصورة الحقيقة التي ينبغي أن يكون عليها المصلح فقول الإمام : ((أَمَّا قَوْلُكُمْ أ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ): أي ضرورة أن العارف بالله

(١) ينظر : منهاج البراعة ، ٩ / ٣١٦ - ٣١٩ ، و صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٦٧ - ١٦٩

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٥٥ ، ص ٩٥

بمعزل عن تقية الموت خصوصا من بلغ الغاية في الكمالات النفسانية و الخصال القدسية ، و اختيار الإمام لفظ (تعشو)؛ لأن فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشام ، فهم في الاهتداء بهداه كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل ، فالدور الرئيس في هداية الناس هم الأنبياء و الأولياء في اهتداء الخلق بهم و الاكتساب من كمالاتهم و الاستضاءة بأنوارهم و لذلك ترتب عليه قوله: (وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبْوُّ بِآثَامِهَا) ، إذ تبرز جمالية أسلوب القسم في محاولة ترسيخ الفكرة التي يود المبدع إيصالها و يعطي مجالا لتوكيد المعنى ، و خصوصا أن قوله (فوالله) يحمل قوة النبرة الإيقاعية و ما تنتجه من متعة و تأثير مقنع ، و يحمل أيضا اقناعا خاصا ؛ لأنه نوع من أنواع أسلوب التوكيد يؤكد المبدع بوساطته عدم اكترائه بالموت ؛ لأن الموت برزخ عبور إلى حياة خالدة ، و بهذا أفننا بشجاعته في مواجهة الموت ، و أبرز الحب العميق الصادق الذي عكسه خطابه ﴿عليه السلام﴾ .

و منه أيضا قوله ﴿عليه السلام﴾ عقب أسلوب التعجب : ((فَمَا أَعْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ وَ قَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ وَ اللَّهُ لَقَدْ رَفَعْتَ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أ لَا تَتَّبِعُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى))^(١).

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ إماماً من أئمة الزهد، حيث عزف عن الدنيا بجميع ملذاتها ؛ لأن قلبه ﴿عليه السلام﴾ كان ملكا لله تعالى وحده و ذلك بتأسيه برسول الله ﷺ حيث كان مثله الأعلى، و كذا يتضح لنا مدى تأثير المبدع بصورة النبي الأكرم و ماهي نتائج اتباعها واحتذاء خطواتها، " و قد أوضح الإمام ذلك الاتباع و التأسي بالإشارة إلى مراتب زهده ، و فيه عبرة لمن اعتبر، فقله ﴿عليه السلام﴾ : (وَ اللَّهُ لَقَدْ رَفَعْتَ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا) والمدرعة هي ثوب من صوف يتدرع به و(استحييت من راقعها) لكثرة رقاها و قوله : (ألا تتبذها ...) :أي تطرحها ، و قوله : (فعند الصباح ...) وهو مثل يضرب لمن احتمل المشقة عاجلا لينال الراحة آجلا " ^(٢) ، و في هذا الأسلوب "

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠

(٢) منهاج البراعة ، ٩ / ٣٣٢

إذ المبدع في مقام بيان صورة النبي الاكرم ﷺ قرينة على صرف المدح عن نفسه ، أو أنه كان يعنيها مثلا ، بل يتحدث بوصفه شخصا ثالثا يراقب صورة النبي الاكرم ﷺ و أفضل من تأسى بها فكان خير ممثل له ﷺ و ليس اعتدادا بالنفس كلا فما هذا من فعال الإمام ﷺ ، بل هو يقول إن صورة هذا النبي الذي أمرتكم باتباعه و عجبت ممن لا يعرف منة الله عليه به أقسم لكم أنه يستحق أن نتأسى و نفتدي به لأن تلميذه و من يلوذ به حتى في المعارك، وصل الى درجة الزهد التي لا يغير ثوب الصوف مع كثرة رقاعه و لا يرضى بنبذها عنه و احتمل مشقتها العاجلة لنيل الراحة الآجلة ، فكان اسلوب القسم مقنعا للمتلقي بصدق التصوير وأن الصورة النبوية حق أحق ان يتبع و مثل أعلى يحتذى به " (١).

(١) صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ١٧٤

الفصل الثالث

التأثير والتأثر في خطاب الحب

المبحث الأول: الصوتي

المبحث الثاني: المعجمي

المبحث الثالث: التركيبي

مفهوم التأثير والتأثر

ورد في اللسان : " الأثر بقية الشيء والجمع آثار وأثر وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده وأتثرته و تأتثرته تتبعت أثره ... والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إبقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثراً " (١).

و في المصباح المنير " أثرت فيه تأثيراً: جعلت فيه أثراً و علامة، فتأثر أي قبل و انفعّل " (٢).

إن كثيراً من الدراسات بمختلف مجالاتها لا يمكن أن تخرج عن إطار التأثير و التأثير و إن تعددت النماذج و التفرعات و المفردات أو اختلفت الألفاظ و الاصطلاحات و ذلك عائد الى التكوين العاطفي و العقلي لدى الإنسان " لأن الإنسان إما أن يتم إقناعه عن طريق العاطفة أو عن طريق الإقتناع العقلي و هذه الأساليب و الألفاظ هي بالحقيقة أدوات تؤثر في المتلقي ، لما فيها من التفاتات تعطي للمتلقي القوة في التلقي ، و تؤثر على تقبل الرسائل الإعلامية و الدعوية ، و لأنها تؤثر في تحفيز العقل لكي يستعد لما يستحصل من المتكلم ، و هذا التحفيز هو استثارة لجوانب كثيرة منها : استثارة لجوانب العاطفة ، و جوانب الغرابة في الرسائل ، و تكرار الرسالة ، و إعمال العقل و القلب ، و مسايرة هذا الأسلوب و الدخول معه في التجاوب و إلى غيرها من الاستثارة التي تؤدي إلى تهيئة العقل و القلب للاستماع ، أو مشاهدة ما يُلقى إليه ، و القضاء على ما يحاول أن يقطع هذا التواصل و بالنتيجة هو إشعار بتقبل الدعوة " (٣) .

و تعد نصوص نهج البلاغة لسيد البلغاء علي بن ابي طالب (عليه السلام) حافلة بالجانب التأثري و التأثيري لما في هذه النصوص من قوة بلاغية ذات أبعاد جمالية نابعة عن قلب صادق عشق الله تعالى فأحبه و حباه وجعل أفئدة من الناس تهوي إليه، و سيتضح لنا ذلك من ثنايا البحث في الجوانب الصوتية و المعجمية و التركيبية بحسب ما يتسع له نطاق البحث .

(١) لسان العرب : ٥ / ٤

(٢) المصباح المنير ، احمد بن محمد بن علي الفيومي ، ٢ / ١

(٣) الافناع و التأثير و اثرهما في انجاح الدعوة الاسلامية ، رعد حميد توفيق ، البحث نُشر في مجلة دياالى ،

العدد ٤٧ ، ٢٠١٠ ، ص ١٨٣

المبحث الأول: التأثير والتأثر الصوتي

هناك مؤثرات سمعية انطباعية لها وقع تأثيري على الوجدان تدركها المعرفة ، فينشد لها العقل و ترنو إليها النفوس ، و السبب يعود في ذلك إلى بلاغة الأسلوب و ارتياح النفس، لأن الاصوات التي ترد في النص تتسجم كل الانسجام مع شعور المتلقي ، أضف إلى ذلك جمالية الأسلوب الذي ترد فيه ، و من أبرز تلك المؤثرات :

أولاً : التنغيم :

ورد في اللسان " النُّغْمَةُ جَرَسُ الكلمة وحُسْن الصوت في القراءة وغيرها وهو حسنُ النُّغْمَةِ والجمع نَغَمٌ " (١) .

أما اصطلاحاً فالتنغيم أو " التنغيمات أو التنوعات التنغيمية: هي تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة ، أو أجزاء متتابعة ، و هو وصف للجمل و أجزاء الجمل ، و ليس للكلمات المختلفة المنعزلة " (٢) ، و معنى ذلك أن مفهوم التنغيم " يدور على و صف التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت المتكلم أثناء استرساله في الكلام " (٣) ؛ إذ " يظهر التنغيم من خلال التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني و يستطيع المتكلم التعبير عن مشاعره و أفكاره من خلال التنغيم " (٤). التنغيم ظاهرة صوتية ترتبط بالكلام أثناء النطق بما يكسبه طابعاً موسيقياً ، قد يمنحه دلالة تختلف عن تلك التي يمكن استنتاجها من خلال رؤية نصوصه مكتوبة و قراءتها ، و ذلك من خلال تناوب الصوت بين الارتفاع و الانخفاض حسب الكلمة أو الجملة و ارتباطها بسياق معين " (٥) ؛ لأن " التنغيم في أصله صوت منطوق بدرجة متفاوتة

(١) لسان العرب ، ١٢ / ٥٩٠

(٢) دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، ص ٢٢٩

(٣) المعنى في الدراسات البلاغية (النثر - التمكين - التوجيه)، د . مزاحم مطر حسين ، ص ٧٧

(٤) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية و الصرفية و النحوية و المعجمية) ،

الدكتور محمود عكاشة ، ص ٤٩

(٥) الظواهر الصوتية و دلالتها في خطب البشير الابراهيمي ، فاطمة بن عدة ، ص ١٩٨

و نبرات متمايضة و هو تلوين صوتي في درجات تنغيمية مؤثرة ^(١)، و للتنغيم أنواع منها:

١ - النغمة المستوية:

تُعرف النغمة المستوية بأنها : " وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة ، و قد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة " ^(٢) ، و يتمثل هذا النوع من التنغيم في معاني النصح و الإرشاد و النداء المحض و طلب الانتباه و كذا في معاني التقرير و الخبرة ^(٣).

و قد ورد هذا اللون من التنغيم - النغمة المستوية - في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة له عليه السلام تُعرف بخطبة الأشباح جاء فيها: ((فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام) خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبَلَّتِهِ وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَ أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ وَ الْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ ... وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا وَ قَسَمَهَا عَلَى الضَّيِّقِ وَ السَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا وَ لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ ...) ^(٤).

جعل الله تعالى الحب أساس العلاقة بين العبد و خالقه ، فهو الذي أوجده من العدم و فضّله على سائر المخلوقات و سخر له ما في الكون ليعينه على عبادته وحده لا شريك له ، فقد (مَهَّدَ أَرْضَهُ): أي أصلحها للإنسان و سواها أو بسطها على الماء ، و المراد من ذلك هو إتمام خلق الارض وفق ما تقتضيه المصلحة في تنظيم أمور ساكنيها ، و هذا المعنى جاء متواشجا مع قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ (النبأ: ٢) ، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهْدًا وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه: ٥٣) ، فعلى التقدير الأول ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾

(١) التنغيم صوت و دلالة ، سعاد بسناسي ، ص ٣٦

(٢) المدخل الى علم اصوات العربية ، د . غانم قدوري الحمد ، ص ٢٥٨

(٣) الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص) ، ص ٣٢

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ، ص ١٤٨

أي أن الله تعالى خلقها بحيث يسهل على الناس التصرف فيها بشئى مجالات الحياة ، و على التقدير الثاني ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكُ... ﴾ يكون لفظ المهد استعارة لها مشبها إيّاها بمهد الصبي كونها محلا للراحة و النوم^(١) ، و هذا يشير إلى شدة تأثر المبدع العظيم بالقرآن الكريم قولاً و فعلاً ؛ إذ " عمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في أذهان الناس بلفت أنظارهم إلى وجوب إحلال هذه الثقافة في النفوس و إمكانية استبدال البناء اللغوي الجاهلي بآخر جديد معجز في بنائه و معانيه من خلال قدرتها على استيعاب الحياة " ^(٢) ، و قول الإمام عليه السلام : ﴿ وَ أَنْفَذَ أَمْرُهُ ﴾ أي: أجرى أمره التكويني و أمضاه في إيجاد المخلوقات و إتمامها ، و قوله : (اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام) خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ ... عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ) : أي اختار آدم أبا للبشر و فضله سبحانه و تعالى و ذريته على سائر المخلوقات ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٣) ، و قوله عليه السلام : ﴿ وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا وَ قَسَمَهَا عَلَى الضَّيِّقِ وَ السَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيُبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا وَ لِيُخْتَبَرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ الصَّبْرَ ﴾ : أي أن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له و يجعل بعضهم غنيا و بعضهم فقيرا و يختبر بذلك الشكر من الاغنياء و الصبر من الفقراء لإعطاء مثوباتهم و إعلاء درجاتهم^(٣) ، و هذا يمثل أجلى مظاهر حب الله تعالى للإنسان ، و هو مصداق لحديث النبي الأكرم عليه السلام : (إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء ، فإذا أحب الله عبدا ابتلاه الله بعظيم البلاء ، فمن رضي فله عن الله الرضا ، ومن سخط بالبلاء فله عند الله السخط)^(٤) ، و لم يغب هذا المعنى في الشعر العربي قال الشاعر :

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ قَاسَيْتَ مِنْهَا عَظِيمَةً فَإِنَّ الْعَظِيمَ مُبْتَلَى بِعَظَامِهَا^(٥) (الطويل)

يعدُّ هذا من الكلام التام في معناه، فإكمال المعنى في المجموعة الكلامية لا يتحقق من خلاله ارتفاعاً في درجة التنعيم ، أو انخفاضاً فيه ، و إنما هو أمر بين أمرين أي يلزم

(١) ينظر : منهاج البراعة ، ج ٧ / ٢٨ - ٣٠

(٢) الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل و المضمون ، عباس علي حسين الفحام ، ص ٢٣

(٣) ينظر : منهاج البراعة ، ج ٧ / ٢٧ - ٣٠

(٤) الكافي ، الشيخ الكليني ، ت ٣٢٩ هـ ، تحقيق ، علي أكبر الغفاري ، ٢ / ٢٥٣

(٥) ديوان الشريف المرتضى ، ٣ / ٤٦٧

حالة الوسطية بين الارتفاع و الانخفاض ^(١).

نلاحظ في كلام المبدع العظيم أن التراكيب التي تضمّنها النص سارت على نسق موسيقي ثابت خال من الوقف (فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام) خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَ أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ) ؛ لأن الوقف يتطلب التغيير في المعنى و هو ما لا نجده في تراكيب النص الذي سار بوتيرة ثابتة و مترابطة من حيث المعنى (مَهَّدَ أَرْضَهُ ، أَنْفَذَ أَمْرَهُ ... أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ ...) ، فالنص يتألف من جمل خبرية ، و الجملة الخبرية عند الأصوليين " ما كان لنسبتها واقع خارجي قبل التلفظ به فيصح وصفها بالصدق و الكذب " ^(٢) ، وشرطية (وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْأَفْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ وَ الْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ) ، فالاستواء في التنعيم تحقق بفعل الجمل الخبرية واسلوب الشرط و المدلول المكتمل (تمام المعنى و ترابطه) و قد ولّد هذا الترابط تأثيرا في نفس المتلقي ، و لا ريب أن هذا الثبات جاء سجية لغوية ؛ لأن اللغة طوع إرادة الإمام عليه السلام تحقق على إثرها حالة من الهدوء و الاستقرار في نفس السامع " فقيمة كل جملة في النص السابق متأثية من ترابطها مع الجمل الأخرى الموجودة في النص فإذا نزعنا أيّا منها من السياق فإنها لا تؤدي الأثر ذاته الذي تؤديه في وجودها داخل النص " ^(٣). فلو كان النص (فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام) خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ ...) بحذف (وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ) لكان هناك خلل في الترابط بين الجمل ؛ لأن اختيار آدم عليه السلام مرتبط بتمهيد الأرض وإنفاذ الأمر ، فحافظت نغمة الإيقاع على مستوى نغمي واحد و قد تكوّن هذا الانتظام من توازن التراكيب من جهة ، والاسلوب الخبري من جهة ثانية ، فالأسلوب الخبري أفاد التقرير ، لكنه تقرير يشي بخطاب الحب ، فتمهيد الأرض حب واسكان الجنة حب ، و هذه الملازمة بين المبنى و المعنى أفنعتنا و جذبتنا : أي مكوّنة تأثيرا واضحا بما يحمله الإيقاع من نبرة حب ، و هذا التأثير ورد بوضوح في تكرار هاء الغائب التي تشير إلى همس الأحبة من جهة ، واستحضار الغائب من جهة أخرى ، و هو استحضار إيجابي دلّ عليه السياق العام فبرز حب الله آدم عليه السلام

(١) ينظر : من القيم الصوتية في نهج البلاغة ، تحسين فاضل عباس ، بحث منشور ، ص ٢٠

(٢) الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، د . احسان النص ، ص ٤٥

(٣) الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص) ، ص ٣٣

حين قال (جعله أول جبلته) ، فهذا ما عكس حبه إياه ، ثم بدأت النعمة ذاتها في سياق السرد حين قال (أسكنه جنته) و تابع المبدع العظيم الطريقة ذاتها فكنا أمام مشهد حب حقيقي .

و من هذا اللون من التنعيم- النعمة المستوية- قوله ﴿الْحَمْدُ﴾ في وصيته للإمام الحسن: ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَ أَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ وَ قَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَ نَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَ ذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ قَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَ بَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَ حَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَ فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ وَ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِيْنَ وَ ذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ))^(١) .

هنا رسالة الحب الأبوي التي تستدعي الحرص على المحبوب و إرشاده حفاظا عليه قد تاهت بعطرها على أريج ورود النص البلاغي ، فهو الأب و الإمام و العطف و الحنان منه يسع الأبْن و يتجاوزه إلى كل الرعية، فهو يوصيه " بالتوجه إلى الله تعالى برعاية تقواه ، و لزوم أمره ، والاعتصام بحبله، والتوجه إلى القلب بتحليلته بالفضائل، وإحيائه بالمواعظ " ^(٢) ، وجاء هذا المعنى متواشجا مع قوله تعالى على لسان لقمان الحكيم ﴿الْحَمْدُ﴾: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧)، فالتركيب في هذا النص سارت على نمط واحد و نسق موسيقي ثابت، ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ)، (وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ)، (وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ)، (وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ)، (وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ)، (وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ)، (وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا)، (وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ)، (وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ)، (وَ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِيْنَ)، (وَ ذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ)، ففي هذا المقطع نحن أمام نص وعظي ، و نعمة الوعظ مكون آخر من مكونات الرسالة الوعظية لا يقل أهمية عن أهمية الكلمات و هي نبرة ثابتة من أول المقطع حتى نهايته ما جعلنا أمام نعمة مستوية تناسب الوعظ ، و لأننا أمام رسالة وعظية فنحن أمام مرسل يشكل الجانب التأثيري و الجانب الآخر التأثري الذي يبرز في المتلقي ، فهذه التراكيب لها النسق الموسيقي ذاته ما يجعلنا نرى الحب في أساليبهم .. و كلماتهم و يعمق خطاب الحب ، فمن لا يحب لا يوعظ أحدا ، فالتركيب التي ذكرت كان التنعيم فيها مستويا

(١) نهج البلاغة ، كتاب ٣١ ، ص ٤٩٦

(٢) منهاج البراعة ، ٢٠ / ٨ - ٩

و قد أدى الاستواء التنغيمي في هذا النص إلى خلق جو من الهدوء و الاستقرار الروحي عند المتلقي و هو الإمام الحسن عليه السلام عندما كان المبدع العظيم يبيت له " تلك المواعظ و النصائح مما يساعد على بقائها في ذهن المتلقي و لا سيما أن هذه هي الغاية المرجوة من الوصية " ^(١) . و قد أدى هذا التماسك و الترابط المعنوي بين فقرات الوصية الذي نتج عنه التنغيم إلى احداث حالة من الجذب العقلي و الروحي ولّدت تأثيرا في نفس المتلقي .

٢ - النغمة الصاعدة:

و سميت بالصاعدة لصعودها في نهايتها ^(٢)، " و تعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علوا منها " ^(٣) .

و قد ورد هذا اللون من التنغيم " النغمة الصاعدة " في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة للإمام عليه السلام ينبّه فيه على فضيلته جاء فيها : ((و لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنَكُّصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَ تَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا وَ لَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَ لَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ (صلى الله عليه وآله) وَ الْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْنِيَّةُ مَلَأَ يَهْبِطُ وَ مَلَأَ يَعْجُجُ وَ مَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْمَةً مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْيَحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَ مَيِّتًا)) ^(٤) .

من النعم الربانية التي أفاضها الله جلّ شأنه على أمير المؤمنين عليه السلام ملازمته المستمرة للنبي الأكرم عليه السلام و مصاحبته له فتربى في حجره و اتبعه اتباع الفصيل إثر إمه ، فكان أول من آمن بنبوته ، و أول المصلين خلفه ، إلى أن كان آخر المودعين له حين وفاته ، فكان حبيب النبي و أقرب الناس إليه، و واساه في المواطن التي تتكص فيها الأبطال، " فثبت معه يوم أحد حيث فرّ الناس، فكان رسول الله عليه السلام يقول: قال لي

(١) الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة ، ص ٣٢

(٢) ينظر: علم الاصوات ، ص ٥٣٦

(٣) المدخل الى علم اصوات العربية ، ص ٢٤٤

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٧، ص ٣٩٢

جبرائيل حينئذ : يا محمد هذه المواساة ، فقلت و ما يمنعه ؟ و هو مني و أنا منه ، فقال جبرائيل: و أنا منكما ، و ثبت معه يوم حنين في نفر يسير من بني هاشم يتقدمهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن ولّى المسلمون الدبر " (١)، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة: ٢٥)، و غيرها من المواطن الأخرى ، فهذه المسيرة المتوشّحة بالمواساة و الحب جعلت النبي (ﷺ) يعطي الأمام علي (عليه السلام) المئات بل الآلاف من الأوسمة و في مقدمتها حيازته لتلك المرتبة الرفيعة التي لم يصل إليها أحد على الإطلاق ، و هي المعرفة التامة و الكاملة بالله تعالى و رسوله الكريم (ﷺ) ، (يا علي ما عرف الله الا انا وانت وما عرفني الا الله وانت وما عرفك الا الله وانا) (٢) ، لذا نرى حديثه عن النبي (ﷺ) حديث الحبيب عن محبوبه الكاشف عن مكنون تلك الشخصية العظيمة لذا لا غرابة عندما يقول الأمام (عليه السلام): (فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَ مَيِّتًا) ، و أراد من ذلك لا أحق بالمنزلة و القرب منه ، ففي حياته بالأخوة و الوزارة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (٣) ، و بعد موته بالوصية و الخلافة ؛ إذ لا يريد أنه أحق بذاته ، بل كونه أحق به في المنزلة و ولاية أمره بعده (٤) .

بدت النعمة الصاعدة بوساطة انتقال المبدع من أسلوب خبري إلى أسلوب إنشائي ، فقال في البدء (و لَقَدْ وَاسَيْتُهُ) ؛ إذ كانت بداية النص سرد وقائع ، ثم انتقل إلى (فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَ مَيِّتًا)، ف(من): استفهام يتضمن معنى الإنكار، و هو أسلوب إنشائي طلبي ، و المراد من هذا الخطاب، إنه (عليه السلام) أحق الناس بالخلافة بعد النبي الأكرم (ﷺ) ، وأحقهم بالمنزلة منه حيث كان بتلك المنزلة في الدنيا، فالتنظيم الصاعد الذي تحقق بالاستفهام جاء نتيجة لمقدمة ذكر الإمام فيها منزلته الكبيرة و قربه من النبي (ﷺ) (و لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَكُصُّ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَ تَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا ...) ، لكن النعمة الصاعدة عكست شدة الانفعال الذي يشير إلى الحب

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ١١٤

(٢) مختصر بصائر الدرجات ، الشيخ حسن بن سليمان الحلي ، تحقيق : مشتاق صالح المظفر ، ص ١٣١

(٣) بحار الانوار ، ٥ / ٦٩

(٤) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ١١٢

العميق ، رغم ذلك الصعود و تأثيره في المتلقي ، فعكست هيبة الناصح و تأثر المتلقي من جهة أخرى في ميدان حبهما، و هنا " علاقة بين المقطع و النبر و التنغيم فـ(مَن) مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة (مقطع متوسط) ،و مادام المقطع واحدا فهو منبور، فحقق المقطع الواحد + النبر ، درجة تنغيمية عالية منحت النص قوة في الدلالة على أحقية الإمام (عليه السلام) و فضله و منزلته الكبيرة على الصحابة ، ثم أسهم المقطع المغلق بغلق الباب و حسم الأمر في علو كعبه ، و أردفه بمقطع طويل مفتوح (ذا) لإسماع أقوى في النبر؛ لأن المقطع حامل للنبر الذي نتج عنه إطالة في صوت (الألف) بزيادة في كمية الهواء الخارج من الرئتين" (١) .

و من هذا النوع من التنغيم أيضا ما جاء من خطبة له (عليه السلام) قال فيها : ((لِلّهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ وَ يُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا وَ أَزْمَعَ التَّرَحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ وَ بَاغُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا...أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ عَمَّارٌ وَ أَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ وَ أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَ أَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمُنِيَّةِ وَ أُبْرِدَ بَرُوسُهُمْ إِلَى الْفَجَرَةِ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ...)) (٢).

من أشد أنواع الفراق ألما موت الأحبة ، فالحزن في هذه اللحظات طبيعة إنسانية و البكاء فيه فطرة بشرية ، فكلما كان الحب و التعلق كبيرين كان الألم للفراق شديدا

و كل مصيبات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هيّة الخطب
وقلت لقلبي حين لجّ بي الهوى و كلفني ما لا أطيق من الحب (الطويل)
ألا أيها القلب الذي قاده الهوى أفق لا أقرّ الله عينك من قلب (٣)

فقد حزن الإمام (عليه السلام) على أصحابه الذين استشهدوا في سبيل الله " فذكر بنفي ضرر الموت و عدم الحياة عن إخوانه الذين قتلوا و زهد في تلك الحياة بكونها محل تجرع

(١) من القيم الصوتية في نهج البلاغة ، ص ١٤

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٢ ، ص ٣٢٧

(٣) ديوان قيس لبنى ، قيس بن ذريح الكناني ، شرح عبد الرحمن المصطاوي ، ص ٥٩

الغصص و شرب الكدر من الآلام و الأعراض و مشاهدة المنكرات ، و لما زهد في تلك الحياة نبه على ما لهم في عدمها من الفائدة و هي لقاء المحبوب (جل شأنه) و توفيته لأجورهم على الأعمال الصالحة و حلولهم في دار الأمن: أي الجنة بعد خوفهم من الضلال ، ثم أخذ في استنفهام عمّن ركب طريق الحق و مضى عليه مستصحبا له استنفهاما على سبيل التوجه لفقدهم و التوحش لفراقهم ، ثم عن أعيان أكابرهم فذكر عمار بن ياسر و ابن التّيهان و ذي الشهادتين و نظرائهم من الذين استشهدوا في سبيل الله و تعاقدهم على المنية اتفاهم على المقاتلة إلى غاية أن يقتلوا " (١) ، فاستشهاد هذه الثّلة المؤمنة أشعره ﴿عليه السلام﴾ بالغرابة فأخذ يتشوق لأصحابه رفقاء الدرب لشدة تعلّقه بهم و حبه لهم ، فهم صحابة النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بهم نصر الله الإسلام و نشره في أرجاء الأرض، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الاحزاب: ٢٣) .

نلاحظ تصاعد النغمات في خطاب المبدع بسبب و جود التعجب في قوله:(لله أنتم) ، و الاستنفهام الانكاري الذي أفاد معنى التوبيخ و التقريع في قوله : (أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَّا بِكُمْ الطَّرِيقَ وَ يُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ ...) :أي لا تتوقعوا أن إماما غيري يذهب بكم في طريق النجاة و يهديكم إلى الصراط المستقيم، ثم تلت هذا التركيب استنفهامات أخرى (أَيْنَ إِخْوَانِي) ، (أَيْنَ عَمَّارُ) ، (أَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ) ، (أَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ) ، (أَيْنَ نَظَرَاؤُهُم) التي أفادت معنى التحسر و التوجع على الأحبة الذين فقدهم " فالحالة النفسية للمنشئ لها أثر في تصعيد النغمات لوجود نقيضتين في الموقف و المنهج، موقف الإمام ﴿عليه السلام﴾ المعروف بالصلابة و الشجاعة ، و موقف أصحابه المتهاونين الضعفاء ، فهذا انتج حرقه في نفس الشجاع يفرغه في الكلام الموجه لهم ، الذي يذكرهم بحقوقه عليهم من الجهاد ، و الإسلام الموحد الجامع و حمية العربي الأصيل " (٢) ، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرا في نفوسهم .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٣ / ٣٦٨

(٢) من القيم الصوتية في نهج البلاغة ، ص ١٦

٣- النعمة الهابطة

هذا اللون من التنعيم يخالف النعمة الصاعدة في نطقها و اتجاهها ، فهي تعني :
" وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضا " ^(١) ، و يكثر و جود هذا النوع من التنعيم في الجمل التقريرية المستوفية للمعنى ، و الجمل الطلبية و منها الصادرة من الأدنى إلى الأعلى ، و الاستفهام عدا المبدوء بـ (هل و الهمزة) ^(٢) ، و تتمثل في معاني التفعج و الانكار و التهكم و التمني و الدعاء و التوبيخ ^(٣) .

و قد ورد هذا النوع من التنعيم في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة له (عليه السلام) ينصح فيها أصحابه جاء فيها : ((أَيْنَ الْقَوْمَ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَعُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ هِجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّيْهُمُ وَلَةَ اللَّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ رَحْفًا وَ رَحْفًا وَ صَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلْكَ وَ بَعْضُ نَجَا لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَ لَا يُعَزِّوْنَ عَنِ الْمَوْتِ مُرَّةَ الْغُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ خُمُصُ الْبُطُونِ مِنَ الصَّيَامِ ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ أَوْلَيْكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظُمًا إِلَيْهِمْ وَ نَعُضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ)) ^(٤) .

شعور صعب عندما يفارق الإنسان من أحبه ، فيسكنه الألم و الحزن لفراقهم ، و يتمنى أن يجمعه القدر بهم ، فهذا الفراق أشعر المبدع العظيم بالغربة فهو القائل : ((فَقَدْ الْأَحِبَّةَ غُرْبَةً)) ^(٥) . إن الإمام يأسف و يتحسر على أيامه بين الصفوة من إخوانه (أَيْنَ الْقَوْمَ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَعُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ هِجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّيْهُمُ وَلَةَ اللَّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا ...) الذين مضوا إلى ربهم ، و بقي بين قوم يتنافسون على العاجلة لأن حب الدنيا تمكن من قلوبهم فأنساهم ذكر الله على عكس إخوانه الماضين ، فهم (لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَ لَا يُعَزِّوْنَ عَنِ الْمَوْتِ) أي لا يفرحون إذا لم يستشهد واحد منهم ، و لا يحزنون إذا استشهد ؛ لأن الشهادة هي الفوز العظيم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

(١) المدخل الى علم اصوات العربية ، ٢٥٨

(٢) ينظر : علم الأصوات ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦

(٣) ينظر : التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، د . سمير ابراهيم العزاوي ، ص ١٥٧

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٢١ ، ص ٢٢٣

(٥) نهج البلاغة ، ص ٤٧٩

سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ (آل عمران: ١٦٩)، ثم أشار إلى مراتب زهدهم وحبهم وخشيتهم من الله تعالى فقال: (مُرَهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ)، أراد أنهم من شدة بكائهم من خوف الله تعالى أصبحت عيونهم فاسدة، و من كثرة صيامهم صارت بطونهم ضامرة، و من المواظبة على الدعاء ظلت شفاههم قليلة الندادة و النظارة، و من المراقبة على التهجّد و القيام باتت ألوانهم مصفرة، ثم قال: (أُولَئِكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظُمًا إِلَيْهِمْ وَ نَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ) حسرة على فقدانهم وشوقا إلى لقائهم ^(١)، و قد جاء هذا المعنى (الشوق للأحبة و التحسر على فراقهم) في الشعر العربي أيضا قال أحمد شوقي:

كَأَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَهُمْ غَرِيبٌ إِذَا عَادَتْهُ ذِكْرَى الْأَهْلِ ذَابَا (الوافر)
وَلَا يُنْبِيكَ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصَّاحَابَا ^(٢)

تبدو النغمة الهابطة في هذا المقطع مستوى تأثيريا له إحياءاته التي يقدمها الإيقاع الهابط المتكون من انتقال المبدع من الاستفهام بـ (أين) بما يحمل من إيقاع مرتفع إلى السرد في الأفعال التقريرية الماضية (دعوا، فرقوا، أحكموا، هيجوا، سلبوا...)، و تشكل هذه النغمة الهابطة في هذا المقطع آية من آيات الابداع المتجلي في أسلوب الإمام علي عليه السلام؛ إذ تحوي نغماته إيقاعا موسيقيا له وظائفه الجمالية الرفيعة بما تحمل هذه النغمات من تناسق الحركات و السكنات و المدات، و بما أن الجمال الصوتي أول ما تلنقطه الأسماع العربية، فهذا يشكل تأثرا يجذب المتلقي و يناسب خطاب الحب، و تتسم الجمل الواردة في خطاب المبدع العظيم بمعنى التقجع الذي أسهم بهبوط نغمة النص، أضف إلى ذلك الاستفهام بـ (أين)، (أَيَّنَ الْقَوْمَ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَعُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَ هِجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّوْهُا وَلَهُ اللَّقَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ رَحْفًا وَ رَحْفًا وَ صَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلكَ وَ بَعْضُ نَجَا)، ثم ينتقل المبدع العظيم إلى وصفهم بأنهم (مُرَهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ

(١) ينظر: منهاج البراعة، ٨ / ١٢٠، في ظلال نهج البلاغة، ٢ / ٥٦١

(٢) الشوقيات، ١ / ٩٥

الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ) بمجموعة من الجمل الخبرية (مُرُهُ الْغُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ) ، (خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ) ، (ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ) ، (صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ) ، و التي خَفَّظَتْ موسيقى الخطاب في النص .

و من هذا اللون من التنعيم - النغمة الهابطة - ما ورد من خطبة للإمام ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ جاء فيها: ((فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَ افْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ... فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ صَمَتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ))^(١).

من أجل ربط الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم و الالتزام بما جاء فيه من قيم و أحكام و أخلاق ، و الحث على ترك الفرقة و إحلال الوفاق و الألفة مكانها، أمر الإمام ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ الأمة بالتمسك بالقرآن و الالتصاق به و جعله دستوراً في الحياة ، فهو دواء القلوب و الصلة الوثيقة بين العبد و محبوبه^(٢) ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الاسراء: ٩) ، فقول الإمام: (فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ) أي: " الحق و الرشد و ميثاق الكتاب و كيفية التمسك به، (من عند أهله) ، و أراد به نفسه و الطيبين من أولاده و هم الأئمة (عليهم السلام) فهم عدل القرآن و الثقل الثاني ، قال النبي الأكرم ﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾: (أيها الناس اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(٣) و قوله: (فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ): أي بهم حياة العلم و موت الجهل ، و قوله: (هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ): أي ما صدر عنهم من القضاء و الأحكام على غزارة علمهم و جم معرفتهم (عليهم السلام) ، و قوله : (وَ صَمَتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٧ ، ص ٢٥٦

(٢) في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٢١٩

(٣) مختصر بصائر الدرجات ، ١ / ٩٥

صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ): أي إنهم حكماء و حسن أفعالهم و حركاتهم تكشف عن ملكاتهم و كمالاتهم النفسانية ؛ لأنهم قوامه و أولياؤه و ملازمون له (القرآن الكريم) عشقوا القرآن لأنه كلام المحبوب ، فصاروا أعرف الناس به " (١) ، هكذا كان سلوك أهل البيت (عليهم السلام) العملي من القرآن الكريم ، تلاوة كثيرة ، و متدبرة ، و حزينة... تلاوة مستمرة لآيات الكتاب الإلهي العظيم، و لم يغفل الشعر العربي هذا المعنى ، بل تحدث الكثير منهم عن علاقة أهل البيت بالقرآن الكريم

وقد دَرَسُوا الْقُرْآنَ وَ افْتَلَجُوا بِهِ فَكُلُّهُمْ رَاضٍ بِهَشِّ مُتَحَزِّبٍ (الطويل)
فَمِنْ أَيْنَ أَوْ أُنَى وَكَيْفَ ضَلَّاهُمْ هُدًى وَالهَوَى شَتَّى بِهِمْ مُتَشَعِّبٌ
فِيَا مُوقِداً نَاراً لَغَيْرِكَ ضَوْءُهَا وَيَا حَاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ
أَلَمْ تَرِنِي مِنْ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ أَرْوَحُ وَ أَغْدُوا خَائِفاً أَتَرَقَّبُ (٢)

الشاهد في خطاب المبدع العظيم (فاجتمع القوم على الفرقة و افترقوا على الجماعة كأنهم أئمة الكتاب و ليس الكتاب إمامهم فلم يبق عندهم منه إلا اسمه) ، فليس هناك ما يدل على ارتفاع النغمة ، فالجو العام للخطاب يتمثل في العتاب لبعض أصحابه عن عدم التمسك بالقرآن الكريم و فيه كل ما يحتاجونه من أمور دينهم و دنياهم .

تبدو النغمة الهابطة هنا في انتقال المبدع من أسلوب القصر في قوله (فلم يبق عندهم منه إلا اسمه) ، و أسلوب الأمر من انفعال و إيقاع قوي إلى الأسلوب الخبري في قوله (فإنهم عيش العلم و موت الجهل) ، و هذا الإيقاع الذي تدرج من ارتفاع إلى هبوط شكّل نغمة هابطة يناسب مستوى هبوطها إيقاع خطاب الحب الذي يبدأ بانفعال إيجابي و ينتهي بسكون الحب و استقرار نتائجه ؛ إذ أن الانتقال من ارتفاع الصوت إلى انخفاضه يكون العنصر الموسيقي و يرتبط بالنظام الصوتي للغة مشكلا وظيفة جمالية تعكس الحب و إيقاعا يعزز هذه القيمة الإيجابية و يبين مدى التأثير بخطاب الحب فتحقق صيحات انفعالية تأثيرية تبرز من تفاعل القارئ مع هذا الخطاب ، " فانخفاض موسيقى الخطاب لوجود الجمل الخبرية (فاجتمع القوم على الفرقة) ، (و افترقوا على الجماعة ...) ، أو دلالة العتاب لا

(١) منهاج البراعة ، ٩ / ٨١

(٢) شرح شعر الكميت بن زيد الأسدي ، داود سلوم ، ١ / ١٢٦

يعني ذلك حكما واحدا ، إنما أسهمت عوامل عدة في بيان المنظومة الصوتية ، التي أظهرت لنا أصواتا واضحة ، لوجود النبر في الفعل الماضي (اجتمع) و غلبة الأصوات المجهورة ذات العلو في ضغط الهواء ، التي شكّلت ثلثي النسبة بالمقارنة مع الأصوات المهموسة ، و أسهمت (هاء) السكت عند الوقوف على الفاصلة (الفرقة ، الجماعة ، اسمه) ، بإفراغ الهموم النفسية ، و غلق الدائرة الصوتية عند ذلك الصوت (الهاء) الذي ينتج هبوطا في قوة الوضوح الموسيقي ، و لكنه هبوط نصفي لما يتمتع به هذا الصوت من انفتاح في مجرى الهواء عند النطق به . و يبقى ذلك مرتبطا بالحالة الشعورية عند المتكلم، و بذلك ظهر لنا نسيج صوتي متوازن ساعد في تنسيق التنغيم و توازنه " (١)

ثانيا : الموازنة

تُعد الموازنة من طبيعة لغتنا العربية ، و هو فنٌ بلاغي يتّسم بالجمال ، و شيوع هذه الظاهرة في لغتنا يؤكد عنايتها بالجانب الموسيقي و الانسجام الصوتي الذي يمنحها الرونق الخاص بها ؛ " لأن لغتنا العربية ذات نغمة موسيقية من طراز خاص " (٢) ، و ظاهرة الموازنة " ظاهرة خطابية رافقت الانسان منذ أن بدأ يتواصل بواسطة اللغة ، و ما تزال ماثلة في خطابه اليومي إلى وقتنا هذا ، و يرجع سر وجودها إلى الطبيعة اللغوية الماثلة أساسا إلى التناسب و الائتلاف ، و إلى التطابق و التساوي من حيث كانت هذه المظاهر القولية انعكاسا للقاعدة ، و تجسيدا لأنماط الخطاب المحكوم بالتلاؤم و الانسجام " (٣) .

و عُرِفَ التوازن بأن: " تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن ... وللکلام بذلك طلاوة و رونق سببه الاعتدال ، لأنه مطلوب في جميع الأشياء ، و إذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت في النفس موقع الاستحسان " (٤).

و قد سمّاه بعض القدماء بـ (الازدواج) فقليل: " لا يحسن منثور الكلام و لا يحلو

(١) من القيم الصوتية في نهج البلاغة ، ص ٢١

(٢) الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ص ١٧٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٧

(٤) المثل السائر ، ١ / ٢٩١

حتى يكون مزدوجاً ، و لا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج ، و لو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن ، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق ، و قد كثر الازدواج فيه " (١) .

" و التوازن هو لون من ألوان الإيقاع الموسيقي المعجب ، إذ يقوم على تعادل فقرات الكلام و جملة من حيث الإيقاع و الوزن ، و من ثم يقوم على تكرار البنية الصرفية بصورة متناسقة ، تضيف على النص رونقا و حسنا تسيغه الأذن و تقبل عليه النفس " (٢)

مسببا التأثير في نفس المتلقي .

و قد ورد هذا اللون الإيقاعي (التوازن) في نصوص نهج البلاغة ، حيث جاءت خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) و رسائله و أقواله القصيرة زاخرة بالموازنة بين فقراتها، فمن خطبة له (عليه السلام) يصف فيها المتقين جاء فيها : ((فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَ تَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصَبٌ أَعْيُنُهُمْ وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهيقَهَا فِي أَصُولِ آدَانِهِمْ ... فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَ حَزْمًا فِي لِينٍ وَ إِيمَانًا فِي يَقِينٍ وَ حِرْصًا فِي عِلْمٍ وَ عِلْمًا فِي حِلْمٍ وَ قَصْدًا فِي غِنَى وَ خُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَ صَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَ طَلَبًا فِي حَلَالٍ وَ نَشَاطًا فِي هُدًى وَ تَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذَرًا وَ يُصْبِحُ فَرِحًا حَذَرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَ فَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ فَرَّةً عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَ زَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى يَمَزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلَّاهُ خَاشِعًا قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُورًا أَكَلَهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيْرًا دِينُهُ مَيِّتَةٌ شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا غِيْظُهُ)) (٣) .

إن محبة الله تبارك و تعالى من أعظم مراتب العبادة تدور عليها رحي الطاعة و السير و السلوك إلى الله ؛ لأنها تسوق المؤمن إلى القرب و ترغبه في الإقبال على الله و تجشّم المشقة و العناء في سبيل رضا الله تعالى و الفوز بجنته ، إن عباد الله المتقين إذا مروا بآية فيها تشويق تطلعت نفوسهم اشتياقا إلى لقاء الله والفوز بالجنة ، و إذا مروا بآية

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٢٦٠

(٢) أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية ، ميثاق علي عبد الزهرة ، ص ٩٨

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٣ ، ص ٣٨٠

فيها تخويف ارتعبا و أوجسوا خيفة من غضب الله تعالى ، (فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَ حَزْماً فِي لَيْنٍ ... وَ تَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ) ، " فالدليل القاطع على التقوى حقا و صدقا هو الاستقامة و المسلك النابع عن الوعي و اليقين ، و الحزم و الثبات ، و الحلم و الاعتدال ، و التواضع والتَّجَمُّل عند الحاجة ، و النشاط و الاجتهاد في الأعمال الصالحة النافعة مع القناعة و الكف عن المحرمات و التعبد لله وحده ، و التوكُّل عليه دون سواه ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الانفال: ٣)، (يَعْمَلُ: أي (المتقي) الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ) ، فالعالم المتورِّع يتوقع الخطأ في أقواله ، و يخشى النقص و الخلل ، لذا يحترس و يحتاط جهد المستطاع ، (يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هَمُّهُ الذِّكْرُ ... أَكَلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَرِيْرًا دَيْنُهُ مَيْتَةٌ شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا غَيْظُهُ) :أي هو شاكر ذاكِر لله في جميع حالاته و أوقاته ، و يتهم نفسه بالخطأ و التقصير فيخاف ، و أيضا يرجو الصواب بتوفيق الله و فضله فيطمئن ، و هذه هي سمة العلماء المتقين " (١) ، العاشقين ، و لعل الشعر العربي قد وقف على هذا المعنى موضحا ما يختلج في نفس العاشق، قال الشاعر :

أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ جَزَيْتَ بِبَعْضِهِ أَطَاعَكَ مِنِّي قَائِدٌ وَجَنِيْبُ (الطويل)
وَفِي الْقَلْبِ دَاءٌ فِي يَدَيْكَ دَوَاؤُهُ أَلَا رَبَّ دَاءٍ لَا يَرَاهُ طَبِيبُ (٢)

الشاهد في خطاب المبدع (فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَ حَزْماً فِي لَيْنٍ وَ إِيمَانًا فِي يَقِينٍ وَ حِرْصًا فِي عِلْمٍ وَ عِلْماً فِي حِلْمٍ...) ، جاءت الفاصلة في الفقرة الأولى طويلة مكونة من تسع كلمات (فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ) ، و جاءت الفواصل الأخرى مكونة من ثلاث كلمات (حَزْماً فِي لَيْنٍ) وَ (إِيمَانًا فِي يَقِينٍ) وَ (رِصاً فِي عِلْمٍ) وَ (عِلْماً فِي حِلْمٍ) وَ (قَصْداً فِي غِنَى) وَ (خُشوعاً فِي عِبَادَةٍ) وَ (تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ) وَ (صَبْراً فِي شِدَّةٍ) وَ (طَلْباً فِي حَلَالٍ) وَ (نَشَاطاً فِي هُدًى) وَ (تَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ) ، ثم ينتقل الإمام إلى فاصلة طويلة أخرى (يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ) مكونة من سبع مفردات بداية لإيراد الفقرات القصيرة أيضا (يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ) وَ (يُصْبِحُ وَ

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٤ / ٢٦١

(٢) ديوان الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ، ١ / ٢٥٥

هَمُّهُ الذِّكْرُ (يَبِيتُ حَذِرًا) وَ (يُصْبِحُ فَرِحًا) ، ثُمَّ وَازَنَ الْإِمَامُ عليه السلام بَيْنَ فِقْرَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ وَحِيدَتَيْنِ (إِنْ اسْتَصْعَبْتَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ) (لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ) ، ثُمَّ رَجَعَ الْمُبْدِعُ الْعَظِيمُ إِلَى الْإِسْلُوبِ ذَاتِهِ فِي إِتْبَاعِ تِلْكَ الْفِقَرَاتِ الطَّوِيلَةِ بِفَقْرِ قَصِيرَةٍ ذَاتِ مَفْرَدَتَيْنِ (تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ) (قَلِيلًا زَلُّهُ) (خَاشِعًا قَلْبُهُ) (قَانِعَةً نَفْسُهُ) (مَنْزُورًا أَكْلُهُ) (سَهْلًا أَمْرُهُ) (حَرِيزًا دِينُهُ) (مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ) (مَكْظُومًا غَيْظُهُ) ^(١).

" و ليس بخاف ما لهذا التنوع في طول الفقرات و قصرها من التماس للموسيقى و تحقيق للإيقاع. فحين أطال في صدر كلامه أكثر من ترصيعه ، ابقاء منه على التوازن لئلا يتبعثر إيقاعه " ^(٢)

يميل المبدع العظيم في الموازنة إلى قصار الجمل ، فتأتي الفاصلة الأولى طويلة ، ثم يتبعها بجمل قصيرة ، قليلة الكلمات ، و ينتهج المبدع في ذلك أسلوبا عاما في جلّ خطبه ، و قد أقيمت خطبة الإمام عليه السلام على أساس التوازن بين فقراتها ، فكانت أكثر الفقرات المتوازنة هي من الجمل القصيرة التي تتكون من مفردتين أو ثلاث مفردات. بدت الموازنة في هذا المقطع من خلال تقسيم العبارات بتناسق بين الجمل متراوحة بين الإيجاز و المساواة ، و هذا طبيعي في سياق بلاغي لسيد البلغاء و من ذلك التوازن قوله (رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَ تَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا) و قوله أيضا (قُوَّةٌ فِي دِينٍ ، حَزْمًا فِي لِينٍ ، إِيْمَانًا فِي يَقِينٍ) لقد أعطت العبارات المتوازنة جرسا صوتيا شد المتلقي فعمّق خطاب الحب مثيرا في النفس الاستحسان ، و مؤثرا بالمخاطب من خلال ما أدته وظيفة الموازنة من تلوين التعبير و التناغم و التناسق و الانسجام بين القرائن و العبارات ، و من خلال تداعي أجزاء الكلام و تجاوبها كما في قوله (حرصا في علم ، علما في حلم ، قصدا في غنى ، خشوعا في عبادة ، تجملا في فاقة ، صبرا في شدة ، طلبا في حلال ، نشاطا في هدى ، تحرجا عن طمع) ؛ إذ نجد النغمات متكاملة مع بعضها بعضا فيحصل الإيقاع الموسيقي بعيدا عن الرتابة النغمية ، وهذا يعكس بوضوح المحاكمة العقلية و التفكير المنطقي اللذين يمتاز بهما المبدع العظيم ، فضلا عن التألق في انتقاء العبارات و الالفاظ الموحية ، ما يجلو المعنى

(١) ينظر : التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام) ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥

في الذهن و يشد الانفعال بذاك الايقاع الموسيقي المنتظم في تموجاته و منه قوله (يمسى و همه الشكر و يصبح و همه الذكر) و قوله أيضا (قريبا أمله قليلا زلله خاشعا قلبه حريزا دينه ...) ، و هذا الايقاع المتناسق تماهى مع المعنى الايجابي الذي تحمله اللغة الوعظية من أمير المؤمنين إلى آله و عباد الرحمن ، مشبعا بذلك المتلقي بالرغبة في التحول الايجابي للقبض على القيم الايجابية مؤثرا به بدافع الحب و خطابه فينتج التأثير و التفاعل الايجابي عاكسا جمالية خطاب الحب ، فمن يكره لا يجيد نظم هذه العبارات بتوازن ؛ لأن الكره انفعال سلبي عشوائي الاستجابة ، و هذا يعزز تأثير الموازنة في خطاب الحب و ترسيخها إياه .

ومن التوازن أيضا ما ورد من خطبة له عليه السلام ذكر فيها النبي الأكرم عليه السلام قائلا : ((مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ وَ مُنْبِئُهُ أَشْرَفُ مُنْبِئٍ فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْنَدَةُ الْأَبْرَارِ وَ ثُبُتَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَبْصَارِ دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ وَ أَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا أَعَزَّ بِهِ الذَّلَّةَ وَ أَدَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ كَلَامُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ))^(١) .

إن حب الله تعالى لنبيه الأكرم عليه السلام أعظم من الحصر ، و أكبر من الوصف ، و قد بين الله تعالى تلك المحبة في كتابه الكريم في مواضع عدة ، فقد أثنى عليه في فؤاده ، قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (النجم: ١١) و أثنى عليه في عقله ، قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ (النجم: ٢) ، و أثنى عليه في صدره ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (الشرح: ١) ، و أثنى عليه في بصره ، قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (النجم: ١٧) ، و أثنى عليه في صدقه ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ (النجم: ٣) ، و أثنى عليه في حلمه ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨) ، ثم أثنى عليه كله ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) ، فاختار الله له الاصلاح الطاهرة و الارحام

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٩٦ ، ص ١٧٥

المطهرة^(١) ، و قد أشار المبدع العظيم إلى هذا الاختيار من خلال و صفه للنبي الأكرم ﷺ ، " و بيان شرفه و مناقبه الجميلة و هو قوله : (مُسْتَقَرُّ خَيْرٍ مُسْتَقَرٍّ وَ مُنْبِتُهُ أَشْرَفُ مُنْبِتٍ) فيمكن أن يكون المراد بالمستقر و المنبت الأصلاب الشامخة و الأرحام المطهرة ، و أن يكون المراد بالأول مكة و بالثاني طيبة و قوله : (فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ): أي الرسالة أو ما هو أعم من هذه ، و مهاد أي المهد المتّصفة بالسلامة من الأدناس و الأرجاس ، و البراءة من العيوب الظاهرة و الباطنة و قوله : (قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْنَدَةُ الْأَبْرَارِ) أي صرف الله تعالى أفئدتهم إليه و (وَ تُنْبِتُ إِلَيْهِ أَرْمَةُ الْأَبْصَارِ): أي عطفت إليه أزيمة مطايا البصائر و القلوب و هذا كلّه كناية من التفات الخلق إليه و تلقيهم له بقلوبهم و محبة الأبرار له إجابة لدعوة إبراهيم الخليل ﷺ قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧) : أي أسكنت بعض ولدي و هو اسماعيل ﷺ و من ولد منه " (٢) .

و قد وقف الشعراء العرب في جميع العصور المتعاقبة على التغني بحب النبي الأكرم ﷺ ، قال حسان بن ثابت :

وَكَانَ حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عِلِمُوا مَنِ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلًا^(٣) (البسيط)

نلاحظ في نص المبدع الترابط الوزني بين فقراته فقوله: (معادن الكرامة) و(مهاد السلامة) كلاهما على وزن (مفاعِلن مفاعلُ) ، فالجمال الإيقاعي الموزون يشدّ الذهن إليه و قد يشغله عن فكرة دلالة النص للوهلة الأولى بيد أن الانشغال ينقلب إمتاعاً مع تدبّر دقّة المعنى المراد و هو تصوير النبي ﷺ بطهارة المولد و الأرحام و شرف الميلاد ، و تكرر الجمال الإيقاعي في قول المبدع العظيم: (قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْنَدَةُ الْأَبْرَارِ) ، و (تُنْبِتُ

(١) ينظر : حب الله لنبيه ، د . سعد بن غندور الميموني ، مقالة نُشرت على النت بتاريخ ٣ / ١ / ٢٠١٩ ،

(<https://www.alukah.net/sharia/0/131834/>)

(٢) منهاج البراعة ، ٧ / ٩٥

(٣) ديوان حسان بن ثابت ، شرح : عبدأ مهنا ، ص ١٧٩

إِلَيْهِ أَرْمَتْهُ الْأَبْصَارُ) ، إذ يُرى جمال الإيقاع فهو يقترب من وزن البحر البسيط :

قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْدَةُ الْأَبْرَارِ *** وَثَبِتَتْ إِلَيْهِ أَرْمَتْهُ الْأَبْصَارُ

فأصوات لفظ (و ثبيت) بحركاتها المتتالية تُضعف الإيقاع ، لذا يكون من المرجح أنها (تُثَبِت) بالنون المشددة ، ليكون الوزن في أول الشطر (قد صُرِفَتْ) بوزن (مستفعلن) و (تُثَبِت) بوزن (متفعلن) المتحولان من (مستفعلن) ، و في المقطع المذكور انزياح واضح عن المقاطع السابقة و الفقرات اللاحقة للنص؛ و لأن الإمام عليه السلام يختار أسلوبه بعفوية هدفها التأثير في السامع ، فقد اختار هذا الوزن المؤثر في نفوس المتلقين ، و أما قوله عليه السلام : (دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ وَ أَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ) ، فاختص إيقاع المقطع المذكور بشطريه المتوازنين بفعل ماض (دفن) ، (أطفأ) و الفاعل هو نفسه لفظ الجلالة ، و كذلك الضمير و حرف الجر (به) ، و جمع التكسير (فعائل) في كل منهما تمثلت في لفظ (الضغائن) و (الثوائر) ، و قوله : (أَلَفَ بِهِ إِخْوَانًا وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا) فجاء هذا المقطع أيضا بشطريه بفعلين ماضيين يتصفان بالتضعيف هما (ألف) و (فرق) و كذا الضمير و حرف الجر (به) و الجمع الذي على زنة (أفعال) في لفظ (إخوانا) ، و (أقرانا) فالإيقاع في هذين المقطعين جاء ليعطي دلالة التجدد في هذه المعاني ، فمن صورة النبي ﷺ في إطفاء الثوائر و دفن الضغائن يتجدد به في التأليف بين الإخوان و التفريق بين الأقران ، و أما قوله عليه السلام : (أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ وَ أَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ) فيقوم هذا المقطع بأسلوبه الإيقاعي في التأثير على المخاطب عن طريق التضاد في لفظي (العز و الذل) و قد بين أسلوب المقطع كيف ترسم صورة الرسول ﷺ كونه المعز لمن يرى ذليلا دون وجه حق ، و المذل لمن يرى عزيزا بالباطل و هذا ما أخبر عنه القرآن الكريم ﴿يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨) ، و ذلك لأنهم أهل العزة الحقيقية ، و تحقق هذا بفضل النبي الأكرم ﷺ ، و يعد هذا شطر من صورته الجليلة صورة المقطع بشطريه بإيقاعه المميز بالتضاد الذي منح بأسلوبه لفتا وجدانيا و ذهنيا لدى المتلقي ، و جاء المقطع الأخير بإيقاعه القائم على التوازن الجملي و الصوتي (كَلَامُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ) ، (مفاعِلن فعولن مفاعِلن فعولن) فهو مشابه للمقطع

(مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَ مَمَاهِدِ السَّلَامَةِ) من حيث الوزن ، و كأن فيه دلالة على العلاقة بين المعدن الكريم بما هو بين و من هو معدنه كريما تحدث بالبيان و السلامة مهادها بصمت اللسان ، فهما مقطعان اسميان يدلان على الثبات ، و في هذا المقطع مفاجأة للسامع بعد أن كان قبله مقطع مبني على التضاد و المقابلة جاء الشطر الآخر من المقطع من حيث لا يحتسبه السامع مع كونه على الوزن نفسه (كلامه بيان و صمته لسان) و هذا ما كان غير متوقع أو نظيره ؛ لأن صمت النبي ﷺ عن فعل معين بمثابة الكلام، لأنه تقرير للفعل ، أو يكون (السان)، فالنص بجملته قائم على الاسلوب الایقاعي التقابلي و الذي يتألف كل شطرين منه على التوازن بين الجمل مما جعله أكثر تأثيرا على المتلقي^(١).

و نلاحظ أن المبدع العظيم لم يكتف بالموازنة بين الاجزاء اللغوية بل عمق خطاب الحب حين عزز القيم الإيجابية في تراكيب متناسقة و منها قوله (أعز به الذله ، أذل به العزة) فكنا أمام مقابلة عمقت الصورة الايجابية ، فالضد يظهر حسنه الضد ، و هذا التوازن رصد مكونات السياق في نصه ﷺ ، فبدأ أثر البديع في خلق عملية تفاعلية تبين حدود النص و بنيته المعنوية المشبعة بحب علي ﷺ رسول الله ﷺ ، فلو نظرنا إلى قوله (كلامه بيان ، صمته لسان) و دققنا في تناسق السياق لوجدنا أثر دلالة ذاك السياق في إبراز خطاب الحب بما نجد من قيم إيجابية و نغمات ممتعة مؤثرة ، فتنوع الكلام بتناسق ينشط الاسماع و يستميلها مؤثرا في النفس مظهرا الحب في خطاب واع له ضوابطه الشكلية و المعنوية ، خطاب كان من الدقة أن نسميه خطاب الحب.

المبحث الثاني: التأثير والتأثر المعجمي

تُعد مظاهر التطور اللغوي إحدى وسائل التوسع في المعنى ، إذ إن الدلالة المركزية قد تضيف إلى المعنى المعجمي معنى مغايرا لها من خلال بعض الظواهر اللغوية من

(١) ينظر : صورة النبي في نهج البلاغة ، ص ٩٨ - ١١٠ ، منهاج البراعة ، ٧ / ٩٤ - ٩٦

التقابل و المشترك اللفظي وغيرها من الظواهر الأخرى^(١).

و قد اهتم العرب و منهم سيبويه بالظواهر اللغوية اهتماما واضحا إذ قال : " اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، و اختلاف اللفظين و المعنى واحد ، و اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين " ^(٢).

" فاللفظة إلى جانب معناها المعجمي لها معنى جديد يعطي دلالات مختلفة مما له السياق أثر في بيان مدلولها " ^(٣) .

وتعد الظواهر اللغوية من أهم طرق كشف المعنى و بيان ظلاله و الذي يؤدي بدوره الى توسع دلالات الألفاظ التي تسهم في منح النص جمالية تزيد من الجانب التأثيري على السامع .

و قد حفلت نصوص نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام بالظواهر اللغوية المختلفة ، و المعبرة عن أعماق مبدعها و ضمّت تجاربه الابداعية مكونة محورا ثابتا تُدرك به ذات المبدع بكل ما تحويه من انفعالات و مكونات^(٤) جعلت من كلامه عليه السلام محل جذب للعقول و موضع لارتياح النفوس فأكسبته التأثير في المتلقي .

و من الظواهر اللغوية التي سنبحثها ما يلي :

١- المشترك اللفظي

٢- التقابل

أولاً: المشترك اللفظي

(١) ينظر : مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة للشيخ كمال الدين ميثم البحراني ، وصال عبد الواحد خضير ، ص ١٧٣

(٢) الكتاب ، ١ / ٢٤

(٣) مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة للشيخ كمال الدين ميثم البحراني ، ص ١٧٣

(٤) ينظر: المدخل النفسي في قراءة الشعر الجاهلي (قراءة إسقاطيه في نقد النقد) ، د . لارا عدنان ستيّتي ، ص

الأصل في لفظ (المشترك) من (شرك) و الشركة عند الخليل " مخالطة الشريكين، و
اشتركنا بمعنى تشاركنا... و الطريق مشترك، أي الناس فيه شركاء، و كل شيء كان فيه
القوم سواء فهو مشترك " (١) .

أما في الاصطلاح فهو : " ما وضع لمعنى كثير كالعين لاشتراكه بين المعاني ...
و يدخل فيه المشترك بين المعنيين كالقرء و الشنق " (٢) .

" و المشترك اللفظي صورة بارزة من صور التطور اللغوي ، فإنه لا يُعقل أن يكون
لفظ واحد قد وضع لعدة من المعاني ابتداء ، و لكن الواقع أنه نتيجة لعدة عوامل تسهم في
وقوعه من ناحية نظرية ، منها اختلاف اللهجات القديمة و تأثير بعضها ببعض ، و منها ما
يقع من تطور صوتي في بعض الالفاظ من تغيير أو حذف أو زيادة وفقا لقوانين التطور
الصوتي مما ينتج عنه اتحاد لفظ مع آخر في الصورة و إن كان يختلف معه في المدلول ،
و منها تطور المعاني و تغييرها مع احتفاظها بأصواتها ، و هو عكس الحالة السابقة ،
و تطور المعاني و تغييرها مع الاحتفاظ بالأصوات هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في
الصورة و اختلفت في المعنى " (٣) .

و يعلل بعض العلماء وجود المشترك اللفظي بالمجاز و الاستعارة ، فالأصل في
اللفظة لم يكن لها إلا معنى مركزي واحد و على سبيل الاستعارة و المجاز تعددت المعاني ،
فكلمة (عين) لم يكن المقصود بها غير العين الباصرة ، ثم جرى استعمالها لمنبع العين
للتشبيه على سبيل الاستعارة و بعد ذلك أطلقت على الجاسوس و الذات (٤) .

و قد ورد المشترك اللفظي في نصوص نهج البلاغة ، حيث احتوت اللفظة الواحدة
على أكثر من معنى ، و قد لعب السياق الدور الأبرز في كشف دلالات الالفاظ ، و من
تلك الالفاظ التي أوردها سيد البلغاء علي بن ابي طالب (عليه السلام) في نهجه ما يلي :

١- عدل :-

(١) معجم العين ، ٥ / ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) التعريفات ، ٢٢٩ - ٢٣٠

(٣) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، عودة خليل ابو عودة ، ص ٥٩

(٤) ينظر : فصول في فقه العربية ، د . رمضان عبد التواب ، ١٩٩٤

جاء في المقاييس " العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج. فالأول العدل من الناس: المرضيُّ المستوي الطَّريقة... والمُشرك يَعْدِلُ برَّه، تعالى عن قولهم علُوًّا كبيراً، كأنه يسوي به غيره... والأصل الآخر فيقال في الاعوجاج: عدل. وانعدل، أي انعرج " (١) .

و من المعاني التي ورد فيها لفظ (عدل) في نصوص نهج البلاغة هو معنى الحكم بالحق و عدم الجور، و منها ما جاء من خطبة له عليه السلام يدعو الله فيها للنبي الأكرم عليه السلام جاء فيها: ((اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَ الْمُغْلِي الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ... اللَّهُمَّ افسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَ اَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَ اَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ وَ اجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَةٍ فَصْلٍ اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَ قَرَارِ النِّعْمَةِ...)) (٢)

إن الدعاء حياة الروح و مخ العبادة ، و أنفع الأدوية وعدو البلاء يدافعه و يعالجه و يمنع نزوله أو يخففه إذا نزل، و هو سلاح المؤمن فالسعيد من كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى في كل حين ، و يعتبر دعاء المرء لأخيه عن ظهر الغيب من أجمل معاني الأخوة ، و أصدق مشاعر الحب ، فما بالك لو كان الدعاء لحبيب الله محمد عليه السلام صادر عن شخص هو نفس النبي عليه السلام بنص القرآن الكريم ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِنَفْسٍ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١)، حتماً هو أعظم درجة عند الله تعالى ، فقول الإمام عليه السلام: (اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَ الْمُغْلِي الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ)، فقد قدّم الإمام توصيف النبي عليه السلام بالعبودية على الرسالة مع كون درجة الرسالة أعلى مرتبة ؛ لأن أهل البلاغة من عادتهم تقديم غير الأبلغ على الأبلغ ، فحقيقة العبودية عنوان لعدة

(١) مقاييس اللغة ، مادة (عدل) ، ٤ / ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٧٢ ، ص ١١٠

أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما حوَّله الله ملكا ، و لا يدبّر العبد لنفسه تدبيرا ، و يكون جملة اشتغاله فيما أمر الله تعالى و نهاه عنه . فإذا أكرم الله العبد بهذه الأشياء هانت عليه الدنيا و لا يطلبها تفاخرا و تكاثرا ، و إلى هذا المعنى أشار الحديث القدسي : إن عبادي ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و لسانه الذي ينطق به و يده التي يبطش بها إن دعاني أجبتة و إن سألتني أعطيتة، و قوله (وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ): أي باب الهدى و طريق الرشاد ، و قوله : (وَ الْمُغْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ): أي المظهر الحق و هو خلاف الباطل ، و قوله : (ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَةٍ فَصْلٍ)، هو معنى الحكم بالحق و عدم الجور ، و قوله: (اللَّهُمَّ افسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ وَ اجْزِهِ ... وَ قَرَارِ النُّعْمَةِ)، متسعا في حضيرة قدسك و يضاعف له الكمالات من نعمه و يتم نوره يوم القيامة و يجمع بينه ﴿الْعَلِيِّ﴾ و بين النبي ﴿ﷺ﴾ في مستقر رحمة الله تبارك و تعالى^(١) .

الشاهد في خطاب المبدع العظيم (ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَةٍ فَصْلٍ)، فجاء لفظ(العدل) بمعنى الحكم بالحق و عدم الجور .

و من معاني (عدل) أيضا الاعوجاج و الميل أو الانتقال ، و منها ما ورد في كتابه لمالك الاشتر النخعي الذي جاء فيه : ((وَ لِيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَ اللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ ... وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَغْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ وَ لَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ))^(٢) .

إن من أعظم نعم الباري عزّ شأنه على عباده أن يشملهم بستره ، فالله تعالى ستيّر يُحب الستر و الصون ، فيستر على عباده الكثير من الذنوب و العيوب و يكره القبائح و الفضائح و المجاهرة بها ، فالستر خصلة محمودة تغني بها حتى الشعراء في العصور المتعاقبة ، فأشار ابن الرومي إلى فضيلة الستر قائلا :

(١) ينظر : منهاج البراعة ، ٥ / ١٦٤ - ١٦٥

(٢) نهج البلاغة ، كتاب ٥٣ ، ص ٥٤٤

لك الدهر معروف شهير وإنما تحب من المعروف كل ستر^(١) (الطويل)

لذا كان عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر متضمنا لهذه الصفات الحميدة التي ينبغي للوالي أن يتصف بها ، فقال : (وَ لِيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَ أَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَ اللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ) ، ينبه الإمام عليه السلام أن من مصلحة الوالي الستر على عيوب الناس و عدم التفتيش عنها حتى لا يوجب نفورهم عنه و خوفهم منه ، فيفترض بالوالي عدم الكشف عن عيوب رعيته لئلا تشيع أسرارهم بين الناس و يصبحوا موضعا للسخرية و شماتة الآخرين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور : ١٩) و قوله : (وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَغْدُلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَ يِعْدُكَ الْفَقْرَ وَ لَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَ لَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحَرِصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ) ، فالإمام ينهاه عن مشاورة البخيل و الجبان و الحريص؛ لأن المشورة مع هؤلاء تميل به عن طريق الحق و تحرفه عن الرأي الصائب لما في هؤلاء من مساوئ الأخلاق التي تؤثر في رأيهم و تكدره^(٢) .

الشاهد في خطاب المبدع (يغْدُلُ بِكَ)، حيث جاء هذا اللفظ بمعنى الاعوجاج و الميل أو الانتقال.

و من معاني (عدل) أشرك أو شبهه ، و قد ورد هذا المعنى في كلام المبدع العظيم فمن خطبة له تُعرف بالأشباح جاء فيها : ((وَ تَوَلَّهْتَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ وَ غَمَضْتَ مَدَاخِلَ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَتَأَوَّلَ عِلْمَ ذَاتِهِ رَدْعَهَا وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ... وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خُلُقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ

(١) ديوان ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريح الرومي ، ٢ / ٧١

(٢) ينظر : منهاج البراعة ، ٢٠ / ١٦٥ - ١٦٦

بَيِّنَاتِكَ (...))^(١) .

في الوصل بالله تبارك و تعالى و تعلّق القلب به راحة و طمأنينة ، و لكل إنسان حق أن يخلق علاقة متقرّدة بينه و بين خالقه تُشبعه و تغذّي روحه بالبحث عن طريق روحاني يعتمد على الارتقاء و السمو بالنفس ، و كل شخص له الحق أن يحيا ببساطة مع الله و ليس بقواعد معقدة و ثابتة ، فالنفوس العاشقة تطرب بالحديث عن معشوقها ، فتشعر بالسعادة و الراحة ، قال الشاعر :

(الطويل)

فَيَا عَجَباً لِلْعَيْنِ أَمَّا رُقَادُهَا فَعَانٍ وَأَمَّا الدَّمْعُ مِنْهَا فَمُطْلَقُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْعَاشِقُونَ دَوُو الْهَوَى وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ^(٢)

إن قول الإمام عليه السلام : (و تَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ... مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ) :أي اشتدّ شوقها إليه لتجري في كيفية صفاته ، و انتهت العقول إلى حد أنها لا تعتبر مع ملاحظة ذات الصفة له ، بل يحذف كل خاطر و كل اعتبار من صفة ، أو غيرها من ملاحظة قدسه لينال علم ذاته بالكنه ، ثم استعار المبدع العظيم لفظ (السدف) لظلمات الجهل بكل معنى غيبي من صفات جلاله و طبقات حجبته: أي ردها عن تلك المطالب حال ماهي قاطعة لمهاوي تلك الظلمات ، ووجه الاستعارة ما يشتركان فيه من عدم الاهتداء فيها ، و قوله : (و أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ): أي من شبهه ، و جعل له مثلاً بالكفر^(٣) ، و هذا من الذنوب العظام التي أعد الله لمرتكبيه عذاب السعير ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الاحزاب: ٦٤) .

الشاهد في خطاب المبدع (فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ): أي أشركوا بالله و جعلوا له مثلاً. و يتضح مما ذكر أن لفظ (عدل) من المشترك اللفظي، إذ تعدد معناه في كل نص أورده ، وقد أسهم السياق في الكشف عن دلالة اللفظ؛ إذ يعد من العناصر المهمة التي تمنح الالفاظ دلالات أخرى، فالسعة و التنوع في تعدد معاني اللفظ " فضلاً عن خصوصية

(١) نهج البلاغة ، خطبة ٩١ ، ص ١٤٨

(٢) ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق : عاتكة الخزرجي ، ص ١٩٧

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٢ / ٣٤٩ - ٣٥٥

كل منهما و قدرته على منح النصوص ملمحا إضافيا " (١) كل ذلك قد عزز من جمالية خطاب الحب و منحه سمة تأثيرية تزيد من استجابة المتلقي للمتكلم.

قد يختلف كثيرون في المعنى السياقي على وفق اختلاف تأويلهم ، لكن يبقى للحرف محيطه التعبيري المتجسد من جرسه الموسيقي و نظامه مع بقية حروف الكلمة ، لذلك فالجذر (عدل) له وجوده المعجمي و دلالاته الخاصة مهما تغير في سياقه ، فكل جزئية تركيبية من ذاك الجذر توحى بمعنى معجمي ثابت يوحيه لفظ الحرف ، فحرف العين حلقي مجهور احتكاكي يدل على القوة ، و يأتي بعده حرف الدال و هو أيضا حرف جهري بما يملك من خاصية التكرار و الجهر (٢) ، و اجتماع هذه الحروف معا يعمق المعنى المعجمي و يزيده قوة ، فعدل حين تكون بمعنى الحكم تعني قوة حب الحق و منه فهي تعني حب قوة حب الإمام أمير المؤمنين الدال إلى الحق ، و حين نقرأ النص الثاني (يعدل بك عن الحق) نجد أن القوة واضحة في هذا الجذر ؛ لأنه يحمل معنى التأثير و من يؤثر سلبا أو إيجابا فهو قوي ، لكن النهي هنا حوّل قوة البخيل السلبية إلى قوة حب الكرم ، أما النص الثالث ، فقد بدأت قوة الجذر عدل في معنى الشرك الذي أوحى به النص من خلال الفعل (اشهد) فكان الجذر في موضع المثال و المثال دليل .. أي قوة برهانية ، لكن انزاحت إلى معاني حب الله و ذلك بوساطة نفي الشرك به ، و بذلك كان الجذر (عدل) ... في حالاته كلها يحمل معنى القوة المجهور بها محملا بدلالات الحب و معمقا خطاب ذاك الحب .

٢ - عين

" العين والياء والنون أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على عُضْوٍ به يُبْصَرُ وَيُنْظَرُ ... وَعَيْنُ الْقَلْبِ مَثَلٌ عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ. وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ فِي الْعَيْنِ، قَوْلُهُمْ: "وَلَا أَفْعَلُهُ مَا حَمَلْتُ عَيْنِي الْمَاءَ"، أَيْ لَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا ... وَ أَعْيَانُ الْقَوْمِ، أَيْ أَشْرَافُهُمْ ... وَ عَيْنُ الرِّكْبَةِ، وَهُمَا عَيْنَانِ كَأَنَّهُمَا نُقْرَتَانِ فِي مَقْدَمِهَا ، وَ يُنُ الْجِيْشُ : يَرِيدُونَ رَئِيسَهُ وَالْأَعْيَانُ : الْإِرْتِيَادُ . وَبَعَثْنَا عَيْنًا أَيْ طَلِيعَةً يَعْثَانُنَاوْ يَعْثَانُ لَنَا أَيْ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ ، وَ الْعَيْنُ : الْمَالُ الْعَتِيدُ الْحَاضِرُ

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة ، ص ١٦١

(٢) ينظر الاصوات اللغوية ، ص ٥١ - ص ٧٥

الناض. ومن كلامهم : عَيْنٌ غير دَيْنٍ . و العَيْنُ : النَّقْدُ يقال : اشتريت العبد بالدين أو بالعَيْنِ و العَيْنُ الدينار و العَيْنُ في الميزان : الْمَيْلُ " (١) .

و قد ورد لفظ (العين) في خطب نهج البلاغة بدلالات متعددة ، فمن خطبة له عليه السلام ينبّه على إحاطة علم الله بالجزئيات و يبيّن فضل الإسلام ، جاء فيها : ((ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ وَ أَصْفَاهُ خَيْرَ خَلْقِهِ وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ ...)) (٢) .

إن الدين الإسلامي دين قوامه المحبة لله و في الله ، فلا إيمان لمسلم فضّ غليظ لا يحس بمشاعر الحب و عاطفة الحب، قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) .

إن قول الإمام عليه السلام : ((ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ وَ أَصْفَاهُ خَيْرَ خَلْقِهِ وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ)) : أي لا دين مرضي عند الله سوى دين الإسلام ، و هو التوحيد و التدرّع بالشرع الذي جاء به سيّد المرسلين ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: ١٩) ، فالله اصطفى الدين الإسلامي و اختاره من بين سائر الأديان ، و قوله: (وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ) : أي اتخذه صنعة و اختاره حال كونه مراعيًا حافظًا له ، مراقبًا ، مشاهدًا إياه ، و يجوز جعل العين مجازًا في العلم فيكون المعنى أنه اصطنعه و اسس قواعده على ما ينبغي و على علم منه به أي حال كونه عالما بدقائقه و نكاته أو بشرفه و فضله ، و قوله : (وَ أَصْفَاهُ خَيْرَ خَلْقِهِ وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ) : أي آثر و اختار للبعثة به خير خلقه محمد عليه السلام و أثبت أركان الإسلام فوق محبته تعالى ، فإن من أحبه سبحانه أسلم له (٣) .

الشاهد في قول المبدع عليه السلام : (وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ) ، فجاء لفظ (العين) في خطابه عليه السلام بمعنى الإحاطة و العلم بدقائق الأمور .

(١) مقاييس اللغة ، ج ٤ ، ص ١٦١ - ١٦٥ ، لسان العرب ، ١٣ / ٢٩٨

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٨ ، ص ٣٩٣

(٣) ينظر : منهاج البراعة ، ١٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧

و من خطبة له أيضا في أصحابه و أصحاب رسول الله ﷺ جاء فيها :
 ((انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم و اتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى و لن
 يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا و إن نهضوا فانهضوا و لا تسبقوهم فتضلوا و لا
 تتأخروا عنهم فتهلكوا لقد رأيت أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) فما أرى أحدا
 يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا و قد باتوا سجدا و قياما يراوحون بين
 جباههم و خدودهم و يقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب
 المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم و مادوا كما يمد
 الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب و رجاء للثواب))^(١).

إن حب أهل البيت ﷺ واتباعهم يجسد حب الله تعالى و نبيه الكريم ﷺ في
 أجلى صوره و هو غاية أمل المؤمنين ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
 يُحِبِّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)، فحب أهل البيت
 والتمسك بولائهم هو أمر إلهي، وقد ورد هذا المعنى في الشعر العربي، قال الشاعر :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله (البسيط)
 يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له^(٢)

إن المبدع العظيم يوصي الناس باتباع أهل البيت (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا
 سمتهم و اتبعوا أثرهم ... فتهلكوا) لأنهم مطهرون من الرجس بنص القرآن ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ
 اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (الاحزاب: ٣٣)، و هم هداة الخلق
 إلى الحق و حفظة الدين و خزنة العلم و أعلم الناس بمواقع الصبر و النهوض إلى بيان
 الحق و الشريعة على نهج السبيل، و قوله: (لقد رأيت أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله)
 فما أرى أحدا يشبههم ...)، من البداهة أن الجيل اللاحق امتداد للجيل السابق في كثير من
 العادات و العادات ما يصلح لزمان دون زمان، و منها ما يصلح و ينفع لكل زمان
 والعامل أن يختار الأصلح، وقد كان لكثير من الصحابة فضائل جمّة كالصدق و الإخلاص،

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٩٧ ، ص ١٧٦

(٢) ديوان الشافعي (الجوهرة النفيسة في شعر الإمام محمد بن ادریس) ، تعليق : محمد ابراهيم سليم ، ص ١٢١

و الزهد ، والتعبد لله و الخوف منه، و التضحية بالنفس في مرضاة الله ، و نصره الحق و على الخلف أن يتحلّى بهذه الصفات^(١) .

الشاهد في خطاب الإمام (كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمَغْرَى مِنْ طَوْلِ سُجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ) ، فجاء لفظ (العين) في الخطاب ، بمعنى العين الناضرة.

و يتضح لنا مما ذُكر في الخطبتين أن لفظ (العين) في الخطبة الأولى يدل على المجاز، و هو العلم و الإحاطة، و في الخطبة الثانية يدل على العين الناضرة ، و هو المعنى الحقيقي لها و بذلك يكون لفظ (العين) من المشترك اللفظي .

تبدو السمة المعجمية لجذر العين تتحو نحو الانفتاح و القوة ، ما يجعلنا مستبصرين معنى القدرة ، و الدليل الحروف المكونة هذا الجذر ، فحرف العين صوت حلقي مجهور احتكاكي و هو فاء الجذر حرف يتصف بالجهر و الانفتاح ، و حرف الياء المشكل عين الفعل له الداليتين السابقتين و هو من الحروف الشجرية ، و المكون الأخير من مكونات الجذر حرف النون و هو لام الفعل ، و هو حرف مجهور منفتح له غنة^(٢)، فإن كانت دلالة الأجزاء تتصف بالقوة و القدرة ، فالجذر يشير إلى الدلالة ذاتها ، فحين قال المبدع في النص الأول : (اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ) أشار إلى الإحاطة و في الإحاطة قوة لكنها قوة الحب حين يمتد ذاك الحب ليشمل الأحبة ، و خصوصا أن الإمام (عليه السلام) قد جعل تلك الإحاطة رحمانية نورها نور القرآن الكريم مشكلا ضياء أغنى به خطاب الحب و زاده عمقا ؛ لأن من أبرز سمات المحب الإحاطة بتفاصيل محبوبه و حمايته و إرشاده ، أما النص الثاني فهو (عليه السلام) يخاطب أهل البيت فكان لفظ عين في قوله: (كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمَغْرَى) حاملا صفات الحب في خطاب المبدع ؛ لأن الأعين حملت قوة الجذر (عين) فالأعين قدرة بصرية ؛ لأنها بمعنى الأعين الناضرة هنا لكنها عين الساجد بما تحمل من حب الله تعالى ، و هذا يعطينا مزيدا من القدرة و القوة ؛ لأن الرؤية البصرية هنا اندمج فيها البصر و البصيرة لكنها بصيرة حب و هذا يغني خطاب الحب و يعطيه بعدا تأثيريا مميزا.

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٣٦٦

(٢) ينظر : الاصوات اللغوية ، ص ٤٧ - ص ٥٨

جاء في العين و المقاييس (الحميم) هو (الماء الحار) ^(١)، و في المنجد في اللغة ذكر لها معنيان: " الحميم: الماء الحار، و الحميم: القريب أو الصديق " ^(٢).

و قد ورد لفظ (الحميم) في نصوص نهج البلاغة بمعنييه المختلفين، فمن خطبة للمبدع العظيم و هي من الخطب العجيبة تُسمى الغراء جاء فيها: ((أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ ... وَ أَعْظَمَ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ نُزُولُ الْحَمِيمِ وَ تَصَلِيَةُ الْجَحِيمِ وَ فَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَ سَوْرَاتُ الزَّفِيرِ لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ وَ لَا دَعَةَ مُرِيحَةٍ وَ لَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ وَ لَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ ...)) ^(٣) ،

إن الحب بعد كل ما قيل عنه و نُسب إليه ، ليس إلا أن تأخذ بيد من تُحب لتقوى الله ، و رضاه ، و النعيم السرمدى ، ذلك هو الحب من معينه الصافي ، و نبعه الرقراق ، لذا كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرا ما يوصي أهل بيته و رعيته بالتقوى ، (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ): أي الآيات التي ذكرها في كتابه دليلا على وجوب الإيمان به ، و باليوم الآخر و بكتبه و رسله ، و هي على أنواع : منها ما يصدق عليه المنهج الطبيعي ، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الاعراف: ١٨٥)، و منها ما يدخل في المنهج العقلي ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ: ٤٦)، و منها ما يتعلق بالمنهج الروحي، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، و قوله: (وَ أَعْظَمَ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ نُزُولُ الْحَمِيمِ وَ تَصَلِيَةُ الْجَحِيمِ وَ فَوْرَاتُ السَّعِيرِ): أي أن ما قاساه الإنسان في الدنيا من النكبات ، و في القبر من الأهوال لا يساوي شيئا إذا ما قيس بعذاب يوم القيامة ، من الرمي في ماء حار أسماه الله بالحميم، و الحريق بنار اشتد لهبها ،

(١) ينظر : العين ، ٣ / ٣٣ ، مقاييس اللغة ، ٢ / ١٥

(٢) المنجد في اللغة : أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بـ كراع ، تحقيق : أحمد مختار عمر و ضاحي

عبد الباقي ، ص ١٨١

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ ، ص ١٢٠

و أنواع أخرى من العذاب^(١) .

الشاهد في خطاب المبدع العظيم: (وَ أَعْظَمَ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةٌ نُزُولُ الْحَمِيمِ وَ تَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ) ، فقد جاء لفظ (الحميم) في النص الأول بمعنى (الماء الحار) و من خطبة له أيضا جاء فيها: ((فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ وَ دَخِيرَةُ مَعَادٍ وَ عِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَ نَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَ يَنْجُو الْهَارِبُ وَ تُنَالُ الرِّغَائِبُ ... فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ ... يَفْتَسِمُونَ ثُرَاتِكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ وَ قَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ وَ آخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ))^(٢) .

ذكرنا في النص السابق إن المبدع العظيم كان يحث على التقوى ؛ لأن فيها حب الله تعالى و القرب منه ، ثم يعود الأمام (عليه السلام) في هذا الخطاب ليصفها بأنها (مِفْتَاحُ سَدَادٍ وَ دَخِيرَةُ مَعَادٍ وَ عِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَ نَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ)؛ لأن السداد هو الاستقامة ، و لما كانت التقوى هي الخشية من الله ، فإنها تجعل الإنسان يقوم بالواجبات و يترك المحرمات و بذلك يحقق الاستقامة ، و تقوى الله أفضل ما يحزره الإنسان و يعدّه لإيَّام حاجته ، و هي تعتق الإنسان و تحرره من شهوات النفس و البطن و الفرج و هي خير لباس ، قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الاعراف: ٢٦) ، و قوله: (يَفْتَسِمُونَ ثُرَاتِكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ ...) ، هكذا يموت السلف فيأتي الخلف لتوزيع الميراث و تقسيمه فيما بينهم و العاقل من يعمل في ماله ما يحب دون أن ينتظر توريث من خلفه^(٣)

الشاهد في قول المبدع العظيم (يَفْتَسِمُونَ ثُرَاتِكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ) ، فجاء لفظ (حميم) بمعنى الصديق أو القريب .

و عليه " فإن كلمة (حميم) من المشترك اللفظي و إن كانت تدخل تحت ما يسمى (تعدد المعنى) فإنها في الوقت نفسه قد حملت معنيين متباينين؛ إذ لا علاقة بين (الماء الحار) و (الصديق أو القريب)، و إنهما قد أتيا على لفظ واحد " ^(٤) .

و الحديث عن الحميم بمعنييه قد أكسب النص جانبا تأثيريا في المتلقي لما في

(١) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ١٣٩ - ١٧٤

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٣٠ ، ص ٤٤٤

(٣) ينظر ، شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٤ / ٧٦ - ٨٠

(٤) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٢٦٣

النصين من تصويرات مروعة عن أهوال القيامة من جانب و عن الموت و العالم الآخر من جانب آخر مما جعل سماع ذلك تتجذب إليه العقول و تتوجّل منه النفوس خيفة .

و نقف في هذين النصين على لفظين جذرهما المعجمي (حمم) و لو دققنا في صفات مكونات الجذر لوجدنا المكون الأول حرف الحاء وهو حرف مهموس رخو يناسب همس الأحبة واختلاج المرء بعاطفة الحب ربما لذلك كان الحرف الأول من اسم (الحب)، ثم نجد تتابع حرف الميم مرتين متتاليتين و الميم حرف جهري يلائم التصريح بالحب و الرضا ؛ لأنه شفوي ينبثق من ضم الشفتين معا^(١) و في ضمهما ما يلائم حميمية الحب و الرضا و في تكرار الحرف تأكيد دلالاته و هذا يعكس جمالية استعمال حرفي الحاء و الميم في سياق الحب أيا كان المعنى السياقي ؛ لأن هذين الحرفين يخدمان سياق الحب و يوحيان به ، و هذا ما نجده في النص الأول حين قال : (وَ أَعْظَمَ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ نَزُولُ الْحَمِيمِ وَ تَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَ فُورَاتُ السَّعِيرِ) ، فالحميم هنا (ماء حار) و في الماء الحار احتراق ، لكنه ﴿الْعَبَادُ﴾ يوصي عباد الله و يحاول إرشادهم لاجتناب هذا الحميم عاكسا حميميته مع عباد الله علما أن للحب حرارته مع الأحبة لكنه هنا حب عميق أظهرته وصيته ﴿الْعَبَادُ﴾ فكان من بلاغته أن استعمل حروف الجذر حمم بما يوحيه من دلالات الأصوات أي أراد إبراز البعد الثالث و هو إحياء الجذر المعجمي و تسخيره على وفق السياق الذي يناسب دلالاته المعجمية ليشير من خلال المعنى السلبي إلى محبته العظيمة ، ففي الحمم حرارة ملتهبة تحرق و في الحب حرارة ملتهبة تحيي و بين الحياة و الموت برزخ النصيحة الوجودية ، لكننا إذ نقف على النص الآخر نجده يبين أن التقوى نجاة قائلا: (يَقْتَسِمُونَ ثَرَاتَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ) و الحميم هنا القريب أو الصديق و في المعنيين كليهما حب فكان التصريح بحميمية خاصة ، حميمية لها صداها في خطاب الحب .

٤ - قرن

(١) ينظر : الاصوات اللغوية ، ص ٤٨ - ص ٧٦

وردت كلمة (قرن) في معجمات اللغة بمعان مختلفة منها: " قرن الثور، و القرن في السن: اللذة ، والقرن: الأمة ، وقرن بعد قرن، و قيل عمر كل قرن ستون سنة والقرن: ضدك في القوة. والقرن: حد ظبة السيف والسنان " (١) .

و قد وردت كلمة (قرن) في نهج البلاغة بمعانيها المتعددة، فمن خطبة للإمام ﴿عليه السلام﴾ جاء فيها: ((و مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَ وَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَ قَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَةِ إِلَيْهِ وَ لَمْ تَجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَ شَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ... وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ بَلْ تَعَاهَدَهُمُ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ مُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه و آله) حُجَّتُهُ)) (٢).

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية ، قائمون بالخدمة ، منفذون للتعاليم ، و علم الله بهم محيط ، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ، أو يخالفوا تعليمات خالقهم ، قال تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ (الانبياء: ٢٧) فطهرهم الله تعالى على عبادته و محبته ، فقول أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾: ((و مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى ... وَ شَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ) : أي هناك صنف من الملائكة مفرط في الطول ، و لهم أقدام بيض كالأعلام يمدونها من العلو فتهبط فلا يصددها شيء . تفرغوا للعبادة حيث لا زراعة و لا صناعة و لا تجارة... أبدا لا شيء إلا الذكر فإيمانهم بالله و إخلاصهم له صرفهم عن كل شيء إلا عن التوجه لخالقهم ، فقد ذاقوا طعم حلاوة معرفة بالله و العلم بقدرته ، و لا شك أن العلم بالله يبعث على حبه و الخوف منه في آن واحد ، و قد جسّد الملائكة الحب لله و الخوف منه بالذكر و الطاعة ، و قوله : ((وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ بَلْ

(١) العين ، ٥ / ١٤١

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ ، ص ١٤٨

تَعَاهَدُهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَ مُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه و آله) حُجَّتُهُ، أشار الإمام (عليه السلام) إلى إرسال الرسل لهداية الناس ، فأرسل بعد آدم كثيرا من الأنبياء على فترات زمنية مختلفة مبشرين الخلائق و منذرين لهم ليكونوا على صلة دائمة بالله تعالى حتى ختمهم بسيد الكائنات حبيب إله العالمين محمد (ﷺ) فهو خير الخلق و افضلهم على الإطلاق و على يديه ختمت الأديان السماوية^(١) ، و قد أشار الشاعر إلى هذا المعنى قائلا :

وَجَعَلَ الْخَاتَمَ لِلنَّبِوَّةِ أَحْمَدَ ذَا الشَّفَاعَةِ الْمَرْجُوَّةِ (الرجز)
الصَادِقُ الْمُهَذَّبُ الْمُطَهَّرُ صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا فَأَكْثَرًا^(٢)

الشاهد في خطاب الإمام (عليه السلام) قوله: (قَرْنًا فَقَرْنًا)، جاء لفظ (القرن) في هذا الخطاب بمعنى الفترة الزمنية.

و من خطبة له أيضا جاء فيها: ((فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى تَزْوِلِ الْحَقَائِقِ هُمْ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ وَ يَكْتَفُونَهَا حِفَافِيهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا أَجْزَاءَ امْرُؤٍ قِرْنَهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَ قِرْنُ أَخِيهِ))^(٣) .

إن الصبر من أعظم خصال الخير التي حثَّ الله تعالى عليها في كتابه الكريم، و أمر بها رسوله (ﷺ)، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الاحقاف: ٣٥)، وأخبر بمحبته للصابرين ﴿وَكَايْنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، و أن له الأجر الأعظم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، و إلى هذا المعنى أشار الشاعر :

سَأَصْبِرُ مَوْقِفًا بِوَفُورِ حَظِي وَأَجْرُ الصَّابِرِينَ بِلَا حِسَابٍ^(٤) (الوافر)

(١) في ظلال نهج البلاغة ، ٢ / ٢٧٢ - ٢٩٨

(٢) ديوان ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز العباسي ، ص ٤٨١

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٢٤ ، ص ٢٢٧

(٤) ديوان ابن الرومي ، ١ / ١٧٥

إن خطاب الإمام عليه السلام: (فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى تَرْوِيلِ الْحَقَائِقِ هُمْ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ وَ يَكْتَتِفُونَهَا حِفَافِيهَا وَ وَرَاءَهَا ... وَ قِرْنُ أَخِيهِ) : أي أن راية الحرب يجب أن تكون بيد الشجاع الصبور المقدام، و أن يحفّ بها الأبطال البواسل؛ لأنها النظام الذي يجمع المحاربين ، و عليها تدور رحى المعركة ، و (القرن) الخصم الذي يبرز للمجاهد ، و على المجاهد أن يصمد أمام خصمه ، و لا يدعه يفلت منه ، و على المجاهد أيضا أن يعين من يحتاج المعونة من إخوانه في المعركة ^(١) .

الشاهد في خطاب المبدع (فَيُفَرِّدُوهَا أَجْزَاءَ امْرُؤٍ قِرْنَهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ) ، فجاء لفظ (القرن) في هذا الخطاب بمعنى الخصم .

و يتضح مما ذكر أن لفظ (القرن) في الخطاب الأول (قِرْنًا فَقِرْنًا) جاء بمعنى الفترة الزمنية ، و في الخطاب الثاني (فَيُفَرِّدُوهَا أَجْزَاءَ امْرُؤٍ قِرْنَهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَ لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ) جاء بمعنى الخصم ، وهذا يشير إلى أن لفظ (القرن) من المشترك اللفظي ؛ إذ كان للفظ الواحد معنيان مختلفان حددهما السياق (قِرْنًا فَقِرْنًا حَتَّى تَمُتَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه و آله) حُجَّتُهُ) نجد أن القرن هنا مئة عام و هو دال على الفترة الزمنية لكنه زمن اتمام الرسائل السماوية فهو زمن خير و زمن يعكس حبا عظيما من خالق عظيم لم ينس خلقه من الهداية فأرسل إليهم الرسل بشكل متواصل حبا بهم و رغبة في إنقاذهم من الضلالة ، و في الوقت ذاته أبرزت المفردة خطاب الحب الذي أبدع به عليه السلام؛ لأن جذر قرن يحمل الارتباط و التلاحم ، و لو دققنا في معناه الآخر الذي حمله النص الثاني لوجدنا قرين بمعنى خصم و في الخصم عداوة لكنه جعل هنا الأداة النافية (لا) تنصدر جملة اللفظة المذكورة فنفت تلك العداوة (وَ لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ) ؛ إذ وضعنا السياق مع لون آخر من ألوان الحب و هو الجرأة و الاستبسال في سبيل المحبوب ، فحرف القاف لم يوحي بغصة ألم هنا في هذا المشترك اللفظي، بل أوحى باحتكاك الروح بالروح و قوة ذاك الاحتكاك ليأتي حرف الراء بما يحمل من خاصية التكرار في إرساء دعائم ذاك الحب و لكن حرف النون بما يحمل من غنة جعلنا أمام الفرح بتكرار قوة الحب .

و لهذا اللفظ (القرن) معان أخرى منها قول الإمام عليه السلام: ((لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ

(١) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٣٣ - ٣٤

إِنْ تَلَقَّهْ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ ^(١)، "جاء لفظ (القرن) بمعنى الروق من الحيوان، وفي ذلك كناية عن كبرياء طلحة ^(٢)، و قوله: ((كَلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصًا سَلَّابِينَ)) ^(٣)، جاء اللفظ (القرن) بمعنى السيد، أو الكبير، أو الرئيس ^(٤)، إلا أننا لم نفصل البحث فيها لعدم وضوح خطاب الحب في النصوص المذكورة .

ثانيا : التقابل

التقابل من الفعل قبل " القاف والباء واللام أصل واحدٌ صحيحٌ تدلُّ كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء ، فالقُبُل من كلِّ شيء: خلافٌ دُبُرِه، وذلك أَنَّ مُقَدِّمَه يُقْبَلُ على الشيء. والقَبِيل: ما أَقْبَلَتْ به المرأة من غَزَلها حين تَفْتَلِه ، والقَبْلَةُ سُمِّيَتْ قَبْلَةً لِإِقْبَالِ النَّاسِ عليها في صَلَاتِهِمْ، وهي مُقْبَلَةٌ عليهم أيضاً ^(٥)، و قبل " نقيض بعدُ. والقُبُلُ والقَبْلُ: نقيض الدُبُرِ و الدُّبُرِ. ووقع السهم بِقُبُلِ الهدف وِدُبُرِه. وَقَدْ قَمِيصَه من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ، بالنتقيل، أي من مقدمه ومن مؤخره، و يقال انْزِلْ بِقُبُلِ هذا الجبل، أي بسفحه، وكان ذلك في قُبُلِ الشتاء وفي قُبُلِ الصيف، أي في أوَّلِه " ^(٦).

" و يبدو أن الاختصار على (المواجهة) بين الشئيين في معنى (التقابل) لغة قد جعل عددا من المفاهيم و المصطلحات التي وردت في التراث العربي تنضوي تحته ؛ إذ يُستعمل التقابل اصطلاحا ليشمل كل أشكال التناقض و التضاد ، بل و الاختلاف أيضا ، فقد استعمل في مصادر قديمة بمفهومه الدال على التضاد ، سواء أ كان تقابلا في المفردات أم في المركبات و الأساليب " ^(٧) .

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٣١ ، ص ٦٨

(٢) ينظر: : منهاج البراعة ، ١ / ٢٢٥

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٦٠ ، ص ٩٩

(٤) ينظر : منهاج البراعة ، ٤ / ٣٧٥

(٥) مقاييس اللغة ، مادة (قبل) ، ٥ / ٤٢ - ٤٣

(٦) الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفار عطار ،

مادة (قبل) ، ج ٢ ، ص ٥٩

(٧) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٢٩٣

" و أطلق علماء العربية على ظاهرة (التقابل) عدة تسميات منها : الطباق ، التطابق ، المطابقة ، المقابلة ، التضاد ، المخالفة ، التناقض ، التكافؤ " (١). و الشرط الذي يفرضه النظر اللغوي الحديث للتقابل هو تعاكس الدلالة بين طرفي التقابل، و قد أدى ذلك الشرط إلى توسيع مفهوم التقابل ليشمل: أي نمطين لغويين يقومان على فكرة التعاكس في الدلالة " (٢)، و بذلك صار التقابل يعني أنه " لفظان أو تركيبان أو عبارتان ، متضادتان أو متخالفتان ، أو متناقضتان في الدلالة بحيث يكون أحدهما ضد الآخر أو خلافه أو نقيضه بالمعنى و يدرك ذلك بالقرائن الدلالية المتعارف عليها كالقرينة السياقية أو الحالية أو غيرهما " (٣) .

و قد ورد التقابل في نصوص نهج البلاغة بأنواعه المتعددة و سيقف البحث عندها مستعينا بقرينة السياق التي لها الأثر الأبرز في تحديد المعنى ، و من أنواع التقابل :

١ - التقابل في الألفاظ المفردة :

و قد ورد هذا النوع من التقابل في نصوص نهج البلاغة و منها ما جاء من خطبة له (عليه السلام) تُعرف بالقاصعة قال فيها : ((وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ (صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَكْثَرَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْئَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَ يَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ فَأَرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ غَيْرِي وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَ خَدِجَةَ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ وَ أَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ ...)) (٤)

" إن العناية الإلهية بالأنبياء والرسل لا ترتبط بزمان بعثتهم ، بل هي قبل

(١) مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة للشيخ كمال الدين ميثم البحراني ، ص ٢١٤

(٢) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٢٩١

(٣) التقابل الدلالي في القرآن الكريم ، منال صلاح الدين عزيز ، ص ٢٣

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ ، ٣٥٩

ذلك ؛ فقد شملت العناية الإلهية موسى الكليم (عليه السلام) منذ أن كان طفلاً ، بما ألهمت أمه أن تلقيه في النهر وردّه الله إليها. وهذا النص من أمير المؤمنين (وَلَقَدْ قَرَنَّ اللَّهُ بِهِ (صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ) يشهد على أنّ النبي حتّى قبل بعثته كان محلاً للعناية الإلهية بالتربية التامة ، ولذا لم يتمكن أعداء رسول الله ممّن حارب دعوته أن يعيب على رسول الله بشيء من مثالب الأخلاق قبل البعثة مع أنّه قد لبث فيهم أربعين سنة ، يعيش بينهم كعيشتهم ، ولكّنه امتاز عنهم بما وهبه الله من لطف " (١) ، و قوله (عليه السلام) : (وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَ يَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ ...) ، فهذا الاتباع يعكس أجلى سمات الحب بينهما " و هذه من خصوصيات الإمام (عليه السلام) أنه كان ملازماً له ، لا يفارقه ، كالفصيل الذي لا يفارق أمه ، بل يلحقها حيث توجهت ، و كان النبي (صلى الله عليه وآله) يرفع له في كل يوم عنواناً من عناوين الأخلاق العامة و يأمره بالاتباع و الاقتداء به ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١) ، فكان معلم الصدق و الأمانة و الإخلاص و كل الفضائل و كان يأمر الإمام بها و يحثّه على الاقتداء به في هذه الفضائل و الأخلاق " (٢)

الشاهد في قول المبدع : (لَيْلُهُ وَ نَهَارُهُ) ، فكان التقابل بين لفظي (الليل) و (النهار) ، و هنا يريد الإمام (عليه السلام) أن يشير إلى كثرة ملازمة من وكلّه الله تعالى بحفظ نبيه و العناية به ، و يبدو التقابل في الألفاظ المذكورة مشهداً من مشاهد البلاغة المحكمة ، فكل من اللفظين المتقابلين (لَيْلُهُ وَ نَهَارُهُ) في الواقع أحدهما يلغي الآخر ؛ لأن الليل يحل بزوال النهار ، و النهار يقبل بزوال الليل ، فاللفظان يحملان ضدية و تقابلاً ؛ لكن هنا لم نكن أمام تناقض فلا تناقض في خطاب الحب ، بل كنا أمام لفظين يكمل كل منهما الآخر ؛ لأن اللفظين المتقابلين معا كونا دلالة واضحة على استمرارية التحلي بمحاسن الأخلاق ما جعلنا نتأثر بالقيم الإيجابية التي توحى بها محاسن الأخلاق و هذا يعزز تذوقنا و تأثرنا بخطاب الحب الذي أورده المبدع العظيم .

(١) العقائد الإسلامية ، الشيخ خليل رزق ، مقال منشور على النت ، <https://research.rafed.net>

(٢) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٣ / ٣٤٨

و من خطبة له يذكر فيها عيسى بن مريم عليه السلام جاء فيها: ((و إِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام) فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَ يَلْبَسُ الْخَشِنَ وَ يَأْكُلُ الْجَشِبَ وَ كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَ ظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا ... فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأْسَى وَ عَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسَى))^(١).

إن الزهد في الدنيا طريق الأنبياء ، و من سار على نهجهم ، و هو مما يحبب الله تبارك و تعالى في عباده ؛ إذ من زهد في شيء لوجه الله تعالى عوّضه الله بدله خيرا منه ، و محبة الباري عزّ وجل خير من الدنيا و ما فيها ، و قد أشار الشعراء العرب إلى فضيلة الزهد ، قال الشاعر :

وَأَبْصَرْتُ أَنَسَ الزُّهْدِ فِي وَحْشَةِ الْبُلَى وَشَاهَدْتُ وَجَةَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرُ
وَأَيَّقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَ أَنَّ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورُ^(٢)

(الطويل)

فقول الإمام عليه السلام: ((و إِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام) فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ...))، فهو يتحدث عن زهد النبي عيسى عليه السلام، الذي ملكه حب الله تعالى فزهد في الدنيا لأجله تبارك و تعالى ، وكان يقول : " خادمي يداي و دابتي رجلاي و فراشي الارض و وسادتي الحجر و دفئي في الشتاء مشارق الارض و سراجي بالليل القمر و إدامي الجوع و شعاري الخوف و لباسي الصوف و فاكهتي و ريحاني ما أنبتت الارض للوحوش و الأنعام ، أبييت و ليس لي شيء ، و أصبح و ليس لي شيء ، و ليس على وجه الأرض أحد أغنى مني " ^(٣) ، ثم ينتقل المبدع العظيم للحديث عن الأسوة بالنبي الأكرم عليه السلام قائلا : (فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأْسَى وَ عَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَّى وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسَى) : أي أن النبي عليه السلام هو خير إسوة لنا ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٠ ، ص ٢٨٠

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ، شرح : أحمد أمين و آخرون ، ص ٤٧٩

(٣) منهاج البراعة ، ٩ / ٣١٥

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿ (الاحزاب: ٢١)، و قوله: (وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي): أي بنبيه، و عدم التكالب على الدنيا، و أن لا نتهالك عليها و نثير من أجلها الحروب، و الإنسان يستطيع الصبر و مجاهدة نفسه الأمانة بالسوء و كبحتها في مواطن الإضرار بدين المرء^(١).

الشاهد في قول المبدع العظيم (مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبُهَا) ، فالمشارك و المغارب جمع للمشرق و المغرب " و هما الاتجاهان المعروفان، غير أن الإمام أوردهما بصيغة الجمع انسجاما مع الموقف الذي أراد التعبير عنه، و هو توسيع الحيز المكاني الذي يستدعيه ذلك الموقف، فقد جاءت الكلمتان ضمن مجموعة أحوال تصف حياة نبي الله عيسى عليه السلام ، فالمشارك و المغارب و إن كان لهما دلالة مكانية غير أن الإمام قصد من ورائها الإشارة إلى كثرة تطواف عيسى عليه السلام و تجواله " ^(٢)، و قد أدى هذا الأسلوب الى التأثير في نفس المتلقي كون هذه الصفات التي توافرت في النبي عيسى عليه السلام، و النبي ﷺ هي مدعاة للإسوة الحسنه ، فالتضاد يثير حركة جمالية في الخطاب و يجعل المتلقي أمام مجال تخيلي يثير خياله و هذا ما تحقق من اللفظتين (مشارق ، مغارب) ؛ إذ أن النص عن سيدنا عيسى المسيح عليه السلام لكنه بلغ بظلاله مشارق الأرض و مغاربها و المشرق مكان شروق الشمس و المغرب غياب تلك الشمس وبين الشروق و الغياب امتداد وجودي له منعكساته و تأثيراته و خصوصا في خطاب الحب ؛ لأن الحب جعل من المتلقي مركز انفعال و تحول فأثار الخيال بتكوين مشهد تقابل بين مفردتين تقدم المجال الذي تتحرك به كل مفردة ، لكن للتقابل قيمه البلاغية التي تعطي معنى يغني النص الموجودة فيه و تعكس امتدادا زمنيا

٢ - التقابل في الجمل

و هو التقابل الذي يشتمل ركناه على إسناد تام، أي يكون كل طرف تركيب في حد ذاته ، و هذا النوع من التركيب مكون من مسند و مسند إليه، و قد ورد هذا النوع من التقابل

(١) ينظر : في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ٣٧٦

(٢) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٢٩٢

في نصوص نهج البلاغة ، فمن كلام له عليه السلام جاء فيه : ((لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسِيفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ (صلى الله عليه وآله) أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ))^(١).

"المؤمن لا يبغض الإمام عليه السلام مهما كانت الظروف و الأحوال ؛ لأن محبته جزء من الإيمان ، و المنافق لا يحب الإمام ؛ لأن المنافق كافر و الكافر لا يحب الإيمان و دعامته و عمدته ، و لذا يقول الإمام : (لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ) كناية عن أنه مهما كانت مواقف الإمام قاسية مع المؤمن حتى لو أدى الأمر إلى ضربي له على موضع كرامته و عزّه ما أبغضني ، و في المقابل لو جمعت للمنافق الدنيا و ما فيها من جليل أموالها و حقيرها و وضعتها في حجره و سلمتها إلى يده ما أحبني ، ثم بين سبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله حكم و قضى بما كان و هو لا يبغض عليا إلا مؤمن و لا يحبه منافق ، و بهذا القول النبوي حسم الموقف و اتضحت الصورة"^(٢) و أشار صاحب بن عباد إلى حب الإمام علي عليه السلام في قصيدة له جاء فيها :

قَالُوا تَرَفُّضْتَ قُلْتُ كَلَّا مَا الرِّفْضُ دِينِي وَلَا إِعْتِقَادِي
لَكِنْ تَوَالَيْتُ دُونَ شَاكٍّ خَيْرَ إِمَامٍ وَ خَيْرَ هَادِي (البسيط)
إِنْ كَانَ حُبُّ الْوَصِيِّ رَفْضًا فَإِنَّنِّي أَرَفُضُ الْعِبَادَ^(٣)

الشاهد في قول المبدع العظيم (أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي)، (أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي) و قوله: (لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ)، و المراد من ذلك هو تثبيت حب المؤمن و بغض المنافق له عليه السلام، فالتقابل حصل بين الفعل (يحبني) و (يبغضني)، و كذا بين كلمتي (مؤمن) و (منافق)، فالتقابل حدث بين جملتين تامتي الإسناد ، وليست الدلالة في حقل التقابل أحادية الاتجاه ؛ لأنها حامل خصب للمعاني و هذا ما يثير خيال المتلقي و يجعله يتصور الحالتين كلتيهما الوجه و الوجه الآخر البغض و الحب ضمن طباق السلب و

(١) نهج البلاغة ، الحكمة ٤٥ ، ص ٦٠٩

(٢) شرح نهج البلاغة ، عباس الموسوي ، ٥ / ٢٤١

(٣) ديوان صاحب بن عباد ، تقديم : إبراهيم شمس الدين ، ص ١٣٥

في طباق السلب قيمة وجدانية و هذه القيمة الوجدانية متمثلة في إطار العاطفة التي تتولد بين الإمام (عليه السلام) و الناس ، فتلك العاطفة تحدد إطار سلوك المرء ؛ إذ تثبت تقارب المؤمنين حبا و تنافر المنافقين مع المؤمنين بغضا ، فكان الجو العام جوا شعوريا له صдаه في خطاب الحب تأثير و تأثرا ، و أنت الأداة (لو) فزادت المعنى عمقا لأنها حرف امتناع لوجود ، تثبت امتناع كره المؤمن للإمام (عليه السلام) و امتناع حب المنافق إياه

و من هذا النوع أيضا ما ورد من خطبة له (عليه السلام) يحث فيها الناس على التقوى جاء فيها : ((اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ لَا يُحَرِّزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ إِلَّا وَ بِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَ بِالْيَقِينِ تُدْرِكُ الْغَايَةُ الْفُصُوصُ عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبُّهَا إِلَيْكُمْ... وَ إِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ وَ يَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ))^(١) .

للتقوى ثمار جمّة و أبرزها محبة الله تعالى و هي الغاية الأسمى ، و قد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن محبة الله تعالى لعباده المتقين ، قال تعالى : ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦)، و قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٤)، و قوله تعالى : ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٧)، فقول الإمام : (أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ...) ، " أي دار حصانة ، و نسبة العزة و الذلة إلى الدار باعتبار عزة من تحصّن بالأول و ذلة من تحصن بالآخر ، أما الأول : لأن التقوى تحرز من اتقى في الدنيا من الرذائل المنقصة ، و في الآخرة من النار و غضب الجبار ، و أما الثاني: فلأن الفجور يوقع الفاجر في الدنيا في المعاطب و المهالك، و لا ينجيه في الآخرة من العذاب ، و قوله (عليه السلام) : (عِبَادَ اللَّهِ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبُّهَا إِلَيْكُمْ ...) ، الظاهر أن المراد بها أنفسهم ، إذ كل أحد يحب نفسه بالذات و لغيره بالعرض و التبع ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٧ ، ص ٢٧٥

(التحريم: ٦)، قدّم الأمر بوقاية النفس على الأهل لكونها أولى بها من الغير^(١) .

الشاهد في قول المبدع (يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ وَ يَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ) ، " حيث قابل الإمام عليه السلام بين فعلين و فاعليهما في سياق الحث على التقوى ، فكّى عن الدنيا بـ(اليوم) و عن الآخرة بـ(الغد) ؛ إذ أن في كلمة اليوم مجموعة من الدلالات المتناقضة التي تتسجم مع تناقضات الحياة الدنيا ، و ما قيل من الانسجام بين واقع الحياة و كلمة(اليوم) يقال أيضا بين واقع الحياة الآخرة و كلمة (الغد)؛ إذ أن تناقضات الآخرة تعبّر عنها المدلولات المتناقضة التي تحملها كلمة (الغد)، و مما يزيد من حركة المشاهد التي يروم الإمام الإفصاح عنها إسناد الفعلين المضارعين (يذهب) و (يجيء) إلى الفاعلين(اليوم) و(الغد) ؛ إذ أن وجود عنصر الفعل المضارع في الاسناد الجملي يضيف على هذا النوع من الاسناد صفة (الحركة) أما نوع هذه الحركة فهي متدرّجة ، أي تحدث شيئا فشيئا " ^(٢).

و تبرز المقابلة عنصرا مهما من إيصال المعنى النصي، فبين الذهاب و المجيء كون كامل، إنه كون بمثل الوجود كله، لأنه زمن متلاحق يمثل الماضي و المستقبل ، و الوجود قائم فقط على هاتين اللحظتين .. الماضي و المستقبل ؛ إذ لا وجود للحاضر فما الزمن الحاضر إلا لحظة عجائبية اختلقها الإنسان ليعي لحظة الانتقال من الماضي إلى المستقبل ، فكل ما تم ماض و كل ما سيتم مستقبل ولا حاضر في حقيقة الوجود و هذا يعمق خطاب الحب ؛ لأن المرء يشعر بأن الزمن محدد و ان عليه القيام بمستلزمات الحب قبل فوات الأوان ما يشكل بؤرة مركزية من بؤر المجال الشعوري المؤثر و المتأثر معا .

٣- التقابل في الصور

" تُعد الصور إحدى الأدوات التي يعمد إليها أرباب البيان لغرض تقريب بعض المعاني إلى الإفهام ، و ذلك من خلال نقل تلك المعاني من حالتها المعنوية المجردة إلى حالة مادية مشاهدة ... " ^(٣) .

و قد ورد هذا النوع من التقابل في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة للإمام عليه السلام

(١) منهاج البراعة ، ٩ / ٢٧٤

(٢) التقابل الدلالي في نهج البلاغة ، تغريد عبد فلحي ، ص ١٦١

(٣) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة، ص ٢٩٩

لما بويع في المدينة و فيها يخبر الناس بعلمه و بما تكون عليه أحوالهم ، جاء فيها :
((أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمْسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ خُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ
أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَرْمَتَهَا فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَ بَاطِلٌ
وَ لِكُلِّ أَهْلٍ فَلْتَيْنِ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَ وَ لَتَيْنِ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ
فَأَقْبَلَ))^(١) .

لقد مرّ الحديث عن التقوى كونها من مسببات محبة الله تعالى للإنسان ، و قد
أوردها المبدع العظيم في كثير من خطبه بسياقات و تشبيهات متنوعة، فقد شبهها الإمام
(التقوى) بالمطية الذلول ، " و وجه الشبه بينهما هو أن المطية الذلول زمامها بيد راکبها ، و
كذلك التقوى ، فإن صاحبه الذي بيده زمامه، و هي الحدود الشرعية التي بها يملكه و يستقر
عليه يسهل له سلوك الصراط المستقيم، و يتمكن من الفوز بالسعادة الأبدية ، في مقابل هذا
التشبيه ، شبه الخطايا بخيل شمس، و وجه الشبه بينهما أن الخيل الشموس التي خلعت
لجامها تتقحم بصاحبها في المعاطب و المهالك ، فكذلك الخطيئة تورّد بصاحبها في نار
جهنم " ^(٢).

يكمن التقابل بين الصور بين مفهومي الخطايا و التقوى ، فالإمام أراد أن يقرب بين
هذين المفهومين إلى أذهان مخاطبيه لذا أتى بصورتين متقابلتين من واقع الحياة العربية كي
تكونا أكثر تأثيراً و وقعا في النفوس " و هما صورة الفرس الذي يمنع ظهره الآخرين ، و من
ثم يوردهم موارد الهلكة و صورة المطية الذلول التي تكون سلسلة الانقياد لصاحبها فتوصله
الى المقاصد المنجية ، و غرض الإمام من هذا التصوير هو عرض حالتين متقابلتين هما
الخطايا و التقوى " ^(٣) ، ويقوم التضاد على أساس شعوري غايته إثبات الفكرة ، و الخطايا
خيوط شمس و التقوى مطايا ، و الشمس علو فهي تعلو كل شيء ، و المطايا تُعلو و لا
تعلو ، و بين الاثنين تقابل و تضاد و القصد من هذا التضاد المبالغة في بيان شدة الفرق
بين التقوى و الخطايا ، ما يجعلنا نمتلك أبعاد الصورتين فكنا أمام تأثير و تأثر يبرز حب
الله و يعزز خطاب الحب

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦ ، ص ٤٣

(٢) منهاج البراعة ، ج ٣ ، ص ١٩٨

(٣) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة، ص ٣٠٠

٤ - التقابل الموقفي :

" هو أن يصدر من الإنسان موقفان يتناقض أحدهما مع الآخر، و قد يكون ذلك التناقض فطريا مصدره النفس بما جُبلت عليه من سجايا متقابلة كالرجاء و الخوف و الرغبة و الرهبة، أو قد يكون ذلك التناقض نتيجة للتباين في المواقف التي يتخذها الإنسان في حياته ، و هذا مما يتبع بناء الشخصية الإنسانية و سلوكها في الحياة " (١).

و قد ورد هذا النوع من التقابل في خطابات نهج البلاغة ، فمن خطبة للإمام (عليه السلام) ((أَيُّ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَ بَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَ وَضَعَهُمْ وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ وَ أَدْخَلَنَا وَ أَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجَلَى الْعَمَى إِنَّ الْأَنْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَ لَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ)) (٢) .

حبّ أهل البيت عليهم السلام مبدأ رسالي يتضمن أبعاداً مهمة و خطيرة ، لها آثارها في حياة الفرد المسلم و حياة المجتمع الإسلامي ، فحبهم لم يكن مجرد علاقة قلبية أو ارتباط عاطفي يشدنا إلى أفراد معينين لأنهم قرى النبي (ﷺ) وعترته، بل إنه تعلق بحبل الله الممدود من السماء إلى الأرض بعد النبي (ﷺ) والذي يتحقق من خلاله ارتباط حياة الفرد والمجتمع بتعاليم السماء وبإرادة الخالق العزيز ، ذلك؛ لأنهم (عليهم السلام) يمثلون الثقل الالهي في الأرض وهم آيات الله والدالون عليه وفيهم تتجسّد الصفات والكمالات التي يريدّها الله تعالى . قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ٧)، و هم آل محمد (٣) ، ومن جانب آخر " فان حبّهم (عليهم السلام) يضمن سلامة الطريق المؤدي إلى الأهداف التي تريدها الرسالة الإسلامية ؛لأنهم النبع الصافي والمصدر الأمين لأحكام الرسالة ومفاهيمها والانفتاح على قيمها الاخلاقية وعطاءاتها التربوية ، وبذلك فان مودة أهل البيت عليهم السلام ضمان لصيانة الشريعة الإسلامية وخط الرسالة المحمدية وأفكارها وحفظ

(١) خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، ص ٣٠١

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٤ ، ص ٢٥٢

(٣) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، ٣ / ٣٩

الأمة من الانحراف كي تسير في السبيل المستقيم الذي يؤمن لها الخير والكما^(١) و هذه المكانة العظيمة و الصفات الجليلة أكسبتهم التأثير في المتلقي ، فكان لكلامهم و مواقفهم وقع في النفوس ، و قد أشار الشاعر إلى هذا المعنى قائلاً :

في حُبِّ آلِ الْمُصْطَفَى وَوَصِيهِ شُغْلٌ عَنِ اللَّذَاتِ وَ الْقَيْنَاتِ (الكامل)
إن النشيد بحب آل محمد أَرْكَى وَ أَنْفَعُ لِي مِنَ الْقَيْنَاتِ^(٢)

إن قول الإمام عليه السلام: (أَيُّ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا ...) ، "هو تحد صريح لكل مدّع و زاعم أنّه يداني أهل البيت (عليهم السلام) في العلم و المعرفة ، و قوله: (أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَ وَضَعَهُمْ وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ وَ أَدْخَلْنَا وَ أَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجَلَى الْعَمَى ...) :أي أن رفعة الإنسان، أو وضعته لا تقاس بالكراسي و المناصب، و لا بالانتصارات والهزائم في المعارك، و إنما تقاس رفعته ممّا يترك من أثر مفيد ينتفع به أخوه الإنسان . و من تتبع سيرة أهل البيت يجد أن مبادئهم تقرير لحق الإنسان ، و تعاليمهم إعلان لهذا الحق ، و أعمالهم توضيحات بالنفس و الأهل من أجل الإنسان و خيره و هدايته^(٣) .

الشاهد في خطاب المبدع (أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَ وَضَعَهُمْ) ، (وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ) ، (وَ أَدْخَلْنَا وَ أَخْرَجَهُمْ) ، فالتقابل الموقفي حدث بين (رفعنا ، وضعهم) ، (أعطانا ، حرّمهم) ، (أدخلنا ، أخرجهم) ، فالله تعالى هو المتسبب في الرفعة و الإعطاء و الإدخال لأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن الله وجدّهم مستحقين لهذه النعم على عكس غيرهم ممن وصفهم الإمام عليه السلام بالوضع و الحرمان و الإخراج ، فبدأً التقابل الموقفي أداة انسجام بلغت قيمته الجمالية ذروتها حين صور عليه السلام الفرق بين حالتين متناقضتين للمؤمنين و غير المؤمنين فبدت المدركات المعنوية أداة توضيح مؤثر لكننا نقف في قول المبدع هنا على انطباع

(١) معطيات حب أهل البيت ، مقال منشور على النت ، موقع موسوعة أنصار الحسين ،

https://www.ansarh.com/maaref_details

(٢) ديوان دعبل الخزاعي ، شرح : حسن حمد ، ص ٤٦

(٣) في ظلال نهج البلاغة ، ٣ / ١٩٩

مليء بالحب الذي يناسب سياق خطاب الحب ، لأن الرفع و العطاء يبرزان عمق المودة ، لكن النقيض يعززها بالضد يبرز حسن ضده و هذا جذب المتلقي و جعله يندفع للانضمام الى حقول الإيمان و الدخول في تقوى الله تعالى .

و سئل عليه السلام عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ : ((أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرِيحَانُهُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَ النِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَ أَسَمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمَكْرُ وَ أَنْكَرُ وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَصْبَحُ))^(١).

يستعرض المبدع العظيم أصناف الأسر من قريش قائلا: (أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرِيحَانُهُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَ النِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ) : " أي أن رجال بني مخزوم حلو اللسان ، مليح البيان ، و أهل للمنادمة و الأئس الأدبي ، تحب الحديث معهم ، و نساءهم جميلة و صالحة للتعيش و النكاح ، و قوله : (وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا): أي بعد نظرهم عن الإسلام و المعارف القرآنية ، فإنهم حاربوا رسول الله ﷺ ، و القرآن الكريم إلى أن بلغت أرواحهم التراقي ، ثم أسلموا كرها ، و أما قوله : (وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَ أَسَمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمَكْرُ وَ أَنْكَرُ وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَصْبَحُ) : أي كرماء في العطاء و يضحون بأنفسهم من أجل دينهم ، فهم أفصح الناس لأن القرآن جرى على ألسنتهم ، و أنصح للإمة ؛ لأن منهم هداة الخلق و أئمة الحق ، و أصبح ؛ لأن وجوههم منورة بعبادة الله "^(٢)، قال تعالى: ﴿ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩)

التقابل في خطاب الإمام عليه السلام حصل في قوله : (وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا)، فوصفهم المبدع بعدم السداد بالرأي و (وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا وَ أَسَمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا)، و وصف بني هاشم بأنهم كرماء يضحون بأنفسهم من أجل دينهم و قوله: (وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمَكْرُ وَ أَنْكَرُ)؛ إذ وصفهم بكثرة النسل و المكر، و (وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَصْبَحُ): أي على قلة نسلهم إلا أنهم (بنو هاشم) أكثر

(١) نهج البلاغة ، الحكمة ١٢٠ ، ص ٦٢٢

(٢) منهاج البراعة ، ٢١ / ٢٠٩

فصاحة و نصحا منهم ، فالحياة ميدان اختلاف دائما ، و ربما لذلك كنا أمام ثلاث صور مشهدية اجتمعت لترسم الواقع الأسري المتفاوت في قريش، إنها صور موقفية لا بيانية و في الموقف اختصار تجارب حياة عاشها الناس في حينها فتأثروا بها و أثروا بنا بتصوير النتائج الموقفية لكل نوع من أنواع الأسر ، قد يكون موضوع المقارنات و الاختلافات بين شرائح المجتمع تقليديا ... لكن الإمام عليه السلام أخرجه إخراجا جديدا فجعل بنو مخزوم ربحانة و الريحان له رائحة طيبة و مفعول علاجي و رمز طهارة مستمدة من وروده في القرآن ، و بنو عبد شمس الأبعد رأيا .. و في بعد الرأي تقييم فكري خصب يشد المتلقي لحالة هذه الشريحة فيتأثر متخذاً المنحى الايجابي في علاقاته الاجتماعية و الدينية أيضا و بدأ الموقف الثالث أكثر وضوحا فأبرز أطر التعامل ضمن بوتقة ألوان الحياة المميزة .

المبحث الثالث: التأثير والتأثر التركيبي

لا ريب أن للمستوى التركيبي أهمية كبرى في الكشف عن جمالية الأسلوب و مؤثراته الإبداعية و مدى التأثير الذي يحققه في نفوس متلقيه من خلال براعة التنسيق في التشكيل و التركيب ، فالإبداع لا يُعزى إلى الألفاظ فحسب ، و إنما إلى نظم تلك الألفاظ و ترتيبها و استغلال خواصها الصرفية و الصوتية و تنسيقها في تراكيب متجانسة تتجذب لها العقول و ترنو إليها النفوس فتحدث تأثيرا في نفس المخاطب .

و هذا يشير إلى براعة الناثر و حذاقته الفنية في إنشاء النص المؤثر و الكشف عن مغرياته الجمالية .

و سنبحث في هذه الدراسة التوازي التركيبي باعتباره أحد أهم المؤثرات الإبداعية التي تتسم بجمالية الأسلوب .

التوازي التركيبي

وردت مادة (وزي) في المعجمات اللغوية بمعان مختلفة ، منها " ما يدل على تجمع في شيء واكتناز، يقال للحِمار المجتمع الخلق: وَزَى، وللرجل القصير وَزَى " (١) ، و" المستوزي المنتصب المرتفع، واوزى ظهره إلى الحائط اسنده، ووزي فلاناً الأمر غاضه ، و الوزى الطيور، و الموازة المقابلة و المواجهة " (٢)، و يدل التوازي لغة على معنى المحاذاة و الانتقاض و الاجتماع (٣) .

أما اصطلاحاً: فعُرف بأنه " عبارة عن علاقة تماثل تتم على مستوى أو مستويات لسانية بين طرفين أو أكثر... و العلاقة القائمة بين هذين الطرفين تتبني على مبدأين هما التشابه و التضاد، ما دام كل طرف يحتفظ رغم التشابه بما يتميز به عن الآخر " (٤).

و عُرِف أيضاً بأنه " بمثابة متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية دلالية " (٥).

و عُرِف أيضاً بأنه " شكل من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول و النغمة و التكوين النحوي بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة من الخطاب " (٦) .

و القصد من ذلك كله " تكرار لنظم الجمل و شبه الجمل مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل حيث تبني بشكل متواز في الشعر أساساً ، و في النثر وفق هذا المفهوم " (٧) ، فالتوازي " هو نوع من التكرار و لكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى " (٨) .

و قد ورد التوازي التركيبي في نصوص نهج البلاغة ، فمن خطبة له (عليه السلام) ﴿

يَبِينُ فِيهَا فَضْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَ أَهْلَ الْبَيْتِ (عليهم السلام) جاء فيه: ((حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةً

(١) مقاييس اللغة ، ٦ / ١٠٧

(٢) القاموس المحيط، ٤ / ٤٠٢

(٣) ينظر : لسان العرب ، مادة (وزي) ، ١٥ / ٣٩١

(٤) التوازي و لغة الشعر، محمد كنوني ، مجلة فكر و نقد ، السنة الثانية ، العدد ١٨ ، ١٩٩٩ ، ص ٧٩

(٥) التوازي و لغة الشعر ، ص ٨٠

(٦) بلاغة الخطاب و علم النص ، ص ١٩٨

(٧) نحو النص ، أحمد عفيفي ، ص ١١١

(٨) نحو اجرومية للنص الشعري ، سعد مصلوح ، (بحث منشور) ، ص ١٥٩

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مُنْبِتًا وَ أَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ وَ انْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ وَ أَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَ بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَ ثَمَرٌ لَا يُنَالُ فَهُوَ إِمَامٌ مِنَ اتَّقَى وَ بَصِيرَةٌ مِنَ اهْتَدَى سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَ زُنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَ كَلَامُهُ الْفَصْلُ وَ حُكْمُهُ الْعَدْلُ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ هَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَ غَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ((^(١)).

إن النبي الأكرم ﷺ هو أفضل الأنبياء و الرسل على الإطلاق و أعلاهم منزلة عند الباري عز وجل ، فهو سيد الخلق من الأولين و الآخرين ، و محبته أصل عظيم من أصول ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤) ، و قال النبي الأكرم ﷺ : (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ويكون عترتي أحب إليه من عترته)^(٢) ، فاختار الله له الاصلاب الطاهرة و الأرحام المطهرة (فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مُنْبِتًا وَ أَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا) ، و يحتمل أيضا أن يكون المراد مكة زادها الله شرفا ؛ لأنها لما سمحت بمثله صلوات الله عليه صار أجدر بأن تكون أفضل المعادن و أعز الأصول ، وقوله ﷺ : (مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ وَ انْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ) ، و الأظهر أن يكون المراد من الشجرة إما ابراهيم الخليل ، أو إسماعيل الذبيح على نبينا و عليهما أفضل الصلاة و أتم التسليم ، لكون الأنبياء من فروع تلك الشجرة المباركة و انتهاء سلسلة النبوة الخاصة لمحمد ﷺ إليها ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (إبراهيم: ٢٤) ، و قوله : (عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ وَ أَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَ بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ...) ، و عترته هم الذين أوصى بهم النبي ﷺ و قال (إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كتاب الله و عترتي و أنهما لن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض) ، و أصل شجرته من خير

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٩٤ ، ص ١٧٣

(٢) بحار الأنوار ، ١٧ / ١٣

الأصول ، و المراد بها هاشم أو إسماعيل على سبيل الاستعارة ، (نَبَتٌ فِي حَرَمٍ) : أي ظهرت في مكة ، و (بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ) : أي طالت و ارتفعت في العزّة و الكرامة ، و قوله : (فَهُوَ إِمَامٌ مِّنَ اتَّقَى وَ بَصِيرَةٌ مِّنَ اهْتَدَى سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ...) : أي هو قدوة المتقين و تبصرة المهتدين له ، ثم شبهه ﴿عليه السلام﴾ بالسراج و الشهاب و الزند في كونه سبب هداية الخلق ، و قوله : (سِيرَتُهُ الْقَصْدُ وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَ كَلَامُهُ الْفَصْلُ وَ حُكْمُهُ الْعَدْلُ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَ هَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَ غِبَاوَةٍ مِّنَ الْأُمَمِ) ، يعني سيرته الاعتدال ، و سنته الصواب ، و كلامه فصل بين الحق و الباطل ، و حكمه خال من الحرف و الميل ، أرسله الله على حين فترة من السكون و انقطاع من الرسل أجمعين^(١) إن المحور الأساس في هذا التمرکز في الخطبة كان في التوازي التركيبي الذي ظهر بوضوح ، و السبب في ذلك يعود إلى غرض الخطبة في التأكيد على الفكرة الواحدة ، سماعاً و قراءة بالاعتماد على كثير من الاستنتاجات المنطقية التي تدور حولها فكرة التفضيل و المدح فضلاً عن التقفية في كثير منها أضفى لها المعنى الذي تؤتاه ، فلهذه المجانسة الوزنية التركيبية في هذه العبارات وعدد كلماتها وحروفها من التقارب ما كرس الطابع الجمالي في النص^(٢) .

فلا نستطيع مناقشة التوازي التركيبي دون الوقوف على الأثر الصوتي الذي يحدثه تماثل التكوين بين التراكيب ، هذا الأثر نرى نبرته في انسجام تتالي الوحدات الصوتية و الفونيمات المتتالية و هذا ما نراه في قول المبدع : (فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنَبَاتًا وَ أَعَزَّ الْأَرْوَامَاتِ مَغْرَسًا) فلدينا تركيب إضافي أساسه المضاف و المضاف إليه و بعده التمييز ما جعلنا أمام علاقة انسجام ثلاثي سياق خطاب الحب في نص يصف فيه فضل النبي الأكرم ﴿عليه السلام﴾ و مزاياه ، و من خلال المرور تلى المستوى التركيبي سنرى محاكاة النسيج البنيوي للمقطع (صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ أَنْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ) و قوله : (عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثَرِ أُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ شَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ) فتحققت لحمة بين اللفظ و المعنى و الصياغة ، و هذا نجده في تكوين جملة الجمل منها (نبتت في حرم ، بسقت في كرم) ؛ إذ كنا أمام فعل و فاعل و

(١) ينظر : منهاج البراعة ، ٧ / ٨٤ - ٨٨

(٢) ينظر : رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة لغوية ، رملة خضير مظلوم ، ص ١٣٧

شبه جملة ، ثم تلاها أسم و اسم موصول و فعل (إمام من اتقى ، بصيرة من اهتدى) ، و هذا التناسق يشد الذائقة السمعية و الفكرية أيضا ما حقق شعرية النص ... و هذا قمة البلاغة ، و هذا ما نلمسه في الانسجام الذي قدمه التوازي في قول المبدع : (سراج لمع ضوؤه ، شهاب سطع نوره ، زند برق لمعه) إنها ثلاثية (فعل، اسم، فعل) المكررة بجمال ، ثم يأتي بثنائية (اسم ، شبه جملة) في قوله : (هفوة عن عمل ، غباوة من الأمم) و هذا يرسخ نبرة الحب و يعزز خطابه فيمنح النص التأثير الإيجابي .

و قد تكررت البنى النحوية في هذا النص في الفقرات التالية

١- فأخرجه من أَفْضَلَ الْمَعَادِنِ مُنْبِتًا

أَعَزَّ الْأَرْوَاحِ مَغْرَسًا

إذ كل فقرة فيها تكونت من :

اسم مجرور و هو مضاف+ مضاف إليه + تمييز

٢ - مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ

انْتَجَبَ مِنْهَا أُمْنَاءُهُ

إذ جاءت الفقرات على النحو التالي :

فعل ماض + الفاعل ضمير مستتر + جار و مجرور + مفعول به و هو مضاف + مضاف إليه

٣- عَثَرْتُهُ خَيْرَ الْعَثَرِ

أَسْرَتُهُ خَيْرَ الْأُسْرِ

شَجَرْتُهُ خَيْرَ الشَّجَرِ

كل فقرة من الفقرات تكوّنت من :

مبتدأ و هو مضاف + مضاف إليه + خبر و هو مضاف + مضاف إليه

٤- نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ

بَسَقَتْ فِي كَرَمٍ

جاءت الفقرات على النحو التالي :

فعل ماض + الفاعل ضمير مستتر + جار و مجرور

٥- فَهُوَ إِمَامٌ مِّنْ أَتَقَى

بَصِيرَةٍ مِّنْ اهْتَدَى

فكل فقرة من الفقرات المذكورة جاءت على النحو التالي :

خبر + اسم موصول + فعل ماض

٦- سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ

شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ

رَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ

إذ جاءت الفقرات كالآتي :

خبر لمبتدأ محذوف + فعل ماض + فاعل و هو مضاف + مضاف إليه

٧- سِيرَتُهُ الْقَصْدُ

سُنَّتُهُ الرُّشْدُ

كَلَامُهُ الْفَصْلُ

حُكْمُهُ الْعَدْلُ

فجاءت كل فقرة على النحو التالي :

مبتدأ و هو مضاف + مضاف إليه + خبر

٨- أَرْسَلَهُ عَلَى حِينٍ فِتْرَةً مِنَ الرُّسُلِ
مُفَوَّةً عَنِ الْعَمَلِ
عِبَاوَةً مِنَ الْأُمَمِ

إذ تكوّنت الفقرات من :

مضاف إليه + حرف جر + إسم مجرور

إن الفردة التي يجدها المتلقي في هذا الخطاب لا تتمثل في هذه التوازيات بمعزل عما يريده المبدع العظيم الذي هو المعنى من خطابه ، فالإمام (عليه السلام) في هذا الخطاب و غيره دلالة النص هي محط اهتمامه الأول ، فهو يغير في توازي فقرات النص و لا يراعي ما قبله مع إمكانية السير على منوال واحد في جميع الفقرات لا سيما أن اللغة طوع بنانه (عليه السلام) ، فالتوازي التركيبي في أسلوب الإمام يكون موافقا للمعنى الذي يريده ، و هو ما يزيد الأسلوب تشويقا و فريدة ما يستدعي إثارة المتلقي .

و من وصية له (عليه السلام) لولده الحسن جاء فيها : ((وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَ الْإِقْتِسَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ الْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَ الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لَأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ وَ فَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ... وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ وَ لِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ...))^(١) .

(١) نهج البلاغة ، الكتاب ٣١ ، ص ٤٩٦

الأبناء هم فلذات أكباد آبائهم و الامتداد الطبيعي لهم ، و هم من يكملون مسيرة الآباء و يرثون طباعهم ، لذا فإن حب الآباء لأبنائهم هو حب لا يقدر بثمن ، لأنه نابع من العطف و الحنان و الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، و أشار الشاعر إلى هذا المعنى قائلاً :

ولقد تُسَلِّي القلبَ ذُكرُته أني بأن ألقاك مرتَهَنُ
أولادنا أنتم لنا فِتْنٌ و تفارقون فأنتم مِحْنٌ^(١) (الكامل)

و قد تجسّد هذا الحب الفطري في خطاب المبدع العظيم لولده الإمام الحسن (عليه السلام) و امتد ليشمل رعيته ، فقوله (عليه السلام) : (وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَ الْإِقْتِسَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ الْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَ الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ) ، و هو " الإشارة إلى بيان ما هو الأحب إليه أن يأخذ به من وصيته ، و الإرشاد إلى كيفية أخذه و ما ينبغي أن يبدأ قبل الشروع من الاستعانة بالله و الرغبة إليه في التوفيق ، فمن الأحب إليه تقوى الله الذي هو الزاد المبلغ إليه ، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ١٩٧) ، ثم الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الأدلة دون التوغل في الفكر و خوض الشبهات مما لم يكلف به آخذا بما مضى عليه الصالحون من أهل بيته كحمزة و جعفر و العباس و عبدة بن الحارث و غيرهم من بني هاشم ، و قوله (عليه السلام) : (وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ وَ لِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ) ؛ إذ ينبّه الإمام (عليه السلام) إلى أن العلة الغائية من خلقه و وجوده ، هي للآخرة دون الدنيا ، و الموت و الفناء دون الحياة و البقاء ، و هذه الأمور هي علل عرضية من وجود الإنسان ، لكونها من ضرورات وجوده ، و أما العلة الحقيقية الأولى من وجوده ، فهي استكمالها و وصوله إلى حضرة ربّه طاهرا من علائق الدنيا ^(٢) .

إن التوازي التركيبي في هذا النص قائم على الترابط بين الكلمة و ضدها على النحو

التالي:

(١) ديوان ابن الرومي ، ص ٤٣٤

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ١٧/ ٥ - ٣٧

لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا الْآخِرَةُ # الدُّنْيَا

لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ الْفَنَاءُ # الْبَقَاءُ

لِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ الْمَوْتُ # الْحَيَاةُ

حرف جر + اسم مجرور + لا النافية + جرف جر + اسم مجرور

أضف إلى ذلك أننا نجد ترابطاً دلالياً بين المجموعتين، حيث ضمت المجموعة الأولى (الآخرة، الفناء، الموت)، و الثانية (الدنيا، البقاء، الحياة).

و يتضح هنا ان التوازي التركيبي في هذا النص ، لا يمكن أن تكون بنيته شكلية فحسب ، بل " هي بنية ترتبط بالمعنى و الدلالة ارتباطاً وثيقاً " ^(١) فتشكل تأثيراً أكبر في نفس المتلقي ، وكذا نلاحظ تقديم ألفاظ المجموعة الأولى على ألفاظ المجموعة الثانية لأهميتها و كونها تمثل البؤرة المركزية في هذا النص ^(٢) .

و من كتاب له ﴿عليه السلام﴾ إلى أهل مصر لما ولى عليهم مالك الأشتر النخعي جاء فيه : ((مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ فَضْرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ وَ الْمُقِيمِ وَ الظَّاعِنِ فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ وَ لَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ وَ لَا يَنُكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرُّوعِ أَشَدَّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وَ هُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ وَ لَا نَابِي الضَّرِيْبَةِ فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا وَ إِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَ لَا يُحْجِمُ وَ لَا يُؤَخِّرُ وَ لَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي وَ قَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ)) ^(٣) .

من المؤكد أن مسلك الإمام علي ﴿عليه السلام﴾ ، و الطريقة التي كان يتعامل بها مع الناس ، كانا على أساس الحب و الإيمان و الإخلاص و الإنسانية ، فكان يوصي ولاته

(١) ظاهرة التوازي في شعر الخنساء ، موسى ربايعه ، بحث منشور ، مجلة دراسات للعلوم الانسانية ، العدد : ٥ ،

١٩٩٥ ، ٢٢ / ٣٣

(٢) ينظر : الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص ، ص ١١٧

(٣) نهج البلاغة ، الكتاب ٣٨ ، ص ٥٢١

بحب الرعية و التقرب إليهم ، و نصرة المظلوم منهم ، و من هؤلاء الولاة (مالك الأشتر النخعي) ،الذي ولّاه على مصر ، و وصف الإمام عليه السلام أهلها بأنهم (الْقَوْمُ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ غَضِيَ فِي أَرْضِهِ وَ ذَهَبَ بِحَقِّهِ فَضْرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ وَ الْمُقِيمِ وَ الظَّاعِنِ فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ وَ لَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ)، استجلابا لطباعهم ، و إشارة إلى إنكارهم للأحداث التي نسبت للخليفة الثالث ، و مسيرهم إلى المدينة غضبا لحدود الله أن تعطل، و لا ريب أن غضبهم كان محمودا ؛ لأنه لله تبارك و تعالى ، و هو ثمرة من ثمرات إيمانهم ^(١)، و قد ورد هذا اللون من الغضب المحمود في قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ (طه: ٨٦): أي " رجع موسى إلى قومه و هو في حال غضب و أسف لما أخبره الله تعالى لدى الرجوع بأن قومه ضلوا بعبادة العجل بعده " ^(٢) ، و إلى هذا المعنى أشار الشاعر قائل :

لَا يَغْضَبُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ إِنْ غَضِبُوا وَلَا يُضِيعُونَ حُكْمَ اللَّهِ إِنْ حَكَمُوا
تَبْدُو التِّلَاوَةَ مِنْ أَبِيائِهِمْ أَبَدًا وَ فِي بُيُوتِكُمْ الْأَوْتَارُ وَ النِّعَمُ ^(٣) (البسيط)

وقوله عليه السلام: (فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ وَ لَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ وَ هُوَ مَالِكُ بَنِ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ ...) ، " إذ يعلمهم بأنه عليه السلام قد بعث إليهم مالك الأشتر و وصفه بأوصاف يستلزم رغبتهم فيه ، وكتى بكونه لا ينام أيام الخوف عن علو همته ، و تعلّقها حين الخوف بتدبير الحرب و الاستعداد للقاء العدو ، و بكونه لا ينكل عن الأعداء عن شجاعته و شدة بأسه ، وأكد ذلك كونه أشد على الفجار من حريق النار ، و هو وصف صادق مع المبالغة فيه ،وأعلمهم أنه قد آثرهم به على نفسه مع حاجته إليه في الرأي و التدبير في معرض الامتنان عليهم بذلك ليشكروه ، و أشار إلى علة إيثاره لهم بكونه ناصحا لهم قوي النفس شديد الوطأة على عدوهم ، و كتى بشدة الشكيمة عن ذلك ، فأما مصلحته

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٥ / ٧٩

(٢) الميزان في تفسير القرآن ، ٨ / ١٣٩

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ، ص ٣٠٤

﴿التَّائِبِينَ﴾ في ذلك الإيثار، فهو استقامة الأمر له بصلاح حالهم" (١) .

الشاهد في قول المبدع العظيم:

فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا
وَ إِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا

(فَإِنْ أَمَرَكُمْ) + أَنْ (مصدرية) + فعل مضارع منصوب (بحذف النون) + فاء الجواب
(الرابطة) + فعل أمر (جواب الشرط)

و هو من التوازي التركيبي التام ، حيث استثمر فيه المبدع العظيم (التكرار) فقد كرر
﴿التَّائِبِينَ﴾ عبارة (فَإِنْ أَمَرَكُمْ) تأكيدا على وجوب الطاعة و الاتباع من أهل مصر لمالك
الاشتر (٢)، " و قد جيء بهذا التكرار بوصفه قيمة دلالية يتم التأكيد من خلالها على المفاهيم
... لافتنا نظر السامع و انتباهه و مستدعيا اهتمامه من خلال هذا التركيب" (٣) الذي ولد
التأثير في نفس المتلقي .

تشكل بنية هذا الخطاب القائم على المفارقة في جوانب معنوية شتى ضربا من
ضروب توضيح المعنى و ترسيخه ، و من إحساس يختلف عن الواقع أو يتضاد معه فتمتد
العلاقة بشكلها اللفظي إلى بوتقة معان ، وهذا نجده في قول المبدع (لا معروف يستراح
إليه و لا منكر يتناهى منه) ، لقد مثلت المفارقة الممتزجة بالتوازي التركيبي عنصر تأثر و
تأثير، فتمثل كل جزئية متوازية بنية خاصة في أسلوبها الشعري القائم على خطاب الحب في
كتاب الإمام ﴿التَّائِبِينَ﴾

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٨١/ ٥

(٢) ينظر : الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص ، ص ١٢٣

(٣) المستويات الجمالية في نهج البلاغة ، ص ٧٠

الخاتمة والنتائج

قام هذا البحث على دراسة أسلوبية لخطاب الحب في نهج البلاغة؛ إذ رصد الجوانب الأسلوبية ضمن هيكلية لغوية ومعجمية معا. مبرزاً أهم الرؤى الأسلوبية الكاشفة جوانب التأثير المعجمي والسياق اللغوي ضمن خطاب الحب في نهج سيد البلغاء علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ بهدف إبراز عمق الداليتين المعجمية والسياقية في بلورة المعنى النصي لنصوص نهج البلاغة، فاستقام هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة كانت وسطاً ثرياً لنتائج دراستنا.

حاول الفصل الأول تقديم البنى الانزياحية ضمن ثلاثة مباحث شملت الانزياح التركيبي والمعجمي والصوتي، ونتج منه ما يأتي:

- يتكون التركيب ضمن المتوالية اللفظية استناداً إلى أسس وقوانين محددة. تتعرض في أحيان كثيرة لانزياح لا يكسر قوانين اللغة المعيارية، بل يخرقها مولداً إثراءً لغوياً ومعجمياً معاً، موسعاً أفق التوقع لدى المتلقي بتحطيمه النسق الروتيني ضمن آليات شتى أهمها الالتفات والتقديم والتأخير والحذف .
- جسد الالتفات في نهج البلاغة فناً خاصاً تجلّى في الالتفات الحاصل في الضمائر أو الأسماء أو الأفعال، معلناً تشكلاً بنى معرفية لها امتداداتها الانزياحية الخاصة في مجال الكون عموماً والحياة الإنسانية الحاضرة والآخرة المرتقبة معاً.

- يجسد الالتفات الذي يرى في الضمائر أو الأسماء أو الأفعال انتقالاً له مركز ثابت، فالضمير أو الاسم أو الفعل حين تغير الوجهة من أي منهم إلى نوع آخر سيبقى المقصود واحداً، ما يعزز محورية الخطاب في نهج البلاغة، وتبيان مكانة المخاطب.
- ظهر الالتفات من الغيبة إلى التكلم في نماذج عدة من نهج البلاغة الخاصة بخطاب الحب أو إشاراته، فقد أبرز العدول من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم عمقا أسلوبيا يتجسد في إبراز الهيبة والجلال معا في معظم صورته، والدفق الانفعال عموماً في صور أخرى.
- يبين الالتفات من التكلم إلى الغيبة العناية بأهمية إبراز حالة الانتقال إليه في خطاب الحب في نهج البلاغة، إذ غالباً ما شكل هذا الانتقال حقلاً لغوياً أسلوبياً معاً، تجلى من خلاله في مرات عديدة ثنائية الحضور والغياب .
- أبرز الانتقال من الخطاب إلى الغيبة التكريم حيناً والذم حيناً آخر، في الوقت الذي أيقظ فيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب العمق المتلقي.
- أعلى الالتفات من الخطاب إلى التكلم منزلة المخاطب، وكسر الالتفات من التكلم إلى الخطاب السياق اللغوي معمقا المخزون الأسلوبي لنسق مفردات اللغة.
- لقد كثر في نهج البلاغة الالتفات من الاسم إلى الضمير، ومن الضمير إلى الاسم مفعلاً الأثر اللغوي.
- عمق الالتفات في الأفعال الدلالة المعجمية والسياقية معاً من خلال الانتقال بين الصيغ الزمنية المختلفة؛ لتحقيق غايات محددة، فالانتقال من الماضي إلى الأمر رافق مواقف النصح والإرشاد والالتماس والتقريع والتخيير والتحذير.
- كثر في نهج البلاغة تقديم أكثر من مسند على مسند إليه، فكان التقديم والتأخير للإيضاح حيناً، والتشويق حيناً آخر، أو للإقرار بأن المسند المقدم خبر لا نعت؛ بهدف التعظيم والعناية بالشيء مشكلاً عدولاً إسنادياً أكد المعاني ورسخها.
- أفاد تقديم الحال في معظم نصوص نهج البلاغة العناية والاهتمام، فلاءم سياق تبيان هيئات البشر في الحالات التي أوردها ﴿الغالب﴾ في نصوصه.

- حقق حذف المبتدأ تماسك السياق وانسجامه، في الوقت الذي أكد فيه حذف الخبر دلالة السياق عليه بما يحمل من عظمة الله، ونبه حذف الفعل أفق التوقع للمتلقي، فتضافر مع حذف الفعل في مواضع أخرى لإثبات التعظيم والإجلال.
- تحقق الانزياح المعجمي من انزياح الألفاظ التي تلتقي مع بعضها بعضا بعلاقة الترادف الجزئي أو شبه الترادف، إذ اشتركت بعض الألفاظ في المعنى الرئيس، ثم انفرد كل لفظ ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي حالت دون اتفاه التام مع غيره من الألفاظ، مكونا الدلالة المعجمية أو المركزية الأساسية.
- برز الإعجاز في نصوص نهج البلاغة من عمق اختيار اللفظة في سياقها الملائم فكانت لكل مفردتين متفقتين في المعنى المركزي خصوصية دلالية سياقية، وهذا ما يمكن رؤيته مثلا في اتفاق كلمتي الجزاء والأجر في المعنى المركزي المتمثل بالثواب، ولكن اختص الجزاء في النفع والضرر، وكان الأجر في النفع دون الضرر.
- اهتمت دراستنا الأسلوبية بالجانب الصوتي للولوج في نصوص نهج البلاغة فتناولت المتغيرات الصوتية التي أدت إلى خلق أثر في المتلقي.
- حظيت نصوص نهج البلاغة بالانزياحات الصوتية المختلفة التي كان لها دورها الأبرز في تشكيل الصور المتنوعة ذات الطابع التأثيري في نفس السامع.
- جسد التكرار سواء أكان حرفيا أم لفظيا أم تكرار جملة نوعا من أنواع الانزياح الصوتي، مسهما في خلق إيقاع من جهة، وترسيخ الصورة في ذهن المتلقي من جهة أخرى.
- شكل السجع عنصرا من أهم العناصر الإيقاعية التي اعتمدت عليها نصوص نهج البلاغة في صنع التناغم الصوتي المولد موسيقا داخلية لها علاقة خاصة محددة بمدلول ثري.
- ليس السجع في نصوص أمير المؤمنين (عليه السلام) مقصودا لذاته، بل جاء عفوا الخاطر متما مقتضيات المعنى .

وأثبت الفصل الثاني (الاقناع و الامتاع في خطاب الحب) الوشائج المتينة بين الألفاظ المعجمية و القدرة التأثيرية ضمن ثلاثة مباحث هي : (الاقناع و الامتاع الصوتي ،

و الإقناع و الامتاع المعجمي ، و الإقناع و الامتاع التركيبي (و قد تمخضت عنه النتائج الأتية :

- شكل الإقناع غاية العملية الحجاجية في نهج البلاغة، فكان ذروة هذه العملية بعد القرآن الكريم ضمن النفاذية التي حققت ثنائية الإقناع والإمتاع معا ضمن صور صوتية ومعجمية و تركيبية.
- تواترت الصور الصوتية كثيرا في نهج البلاغة وأكثرها السجع المتوازي مسهما في تزايد الجهر الصوتي الإيقاعي لشد انتباه المتلقي وجعله حاضر الذهن متفاعل مع المتكلم، و تضافر معه السجع المرصع ليزيد التأثير والإقناع تدفقا خالقا حالة من الاتساق الصوتي والتناغم الموسيقي خالقا متعة خاصة، زادها السجع المطرف جمالا في إسهامه في نصوص كثيرة بخلق إيقاع مميز .
- أسهم الجنس التام والناقص ومضارع والاشتقاقي والمحرّف بتكوين إيقاع خاص زاد البنى النسيقية والمعنوية تأثيرا وعمقا يلائم الهدف من نهج البلاغة في جذب متلقيه وصولا إلى تأثير فاعل وفعال في سيرورة تفكيره وتفاعله .
- قدمت الدلالة المركزية في مفردات نهج البلاغة إلى اللفظية المعجمية معنى مغايرا لها من خلال بعض الظواهر اللغوية من تقابل ومشارك لفظي وغيرهما، مجسدة إحدى مظاهر التطور اللغوي والتوسع في المعنى، ما أكسب نهج البلاغة عمقا معنويا فريدا.
- شكل المشترك اللفظي صورة بارزة من صور التطور اللغوي الذي أسهمت به اللهجات القديمة المتأثرة ببعضها بعضا وما وقع في الوسط الصوتي من تطور في بعض الألفاظ التي اكتظت بها نصوص نهج البلاغة كونه لسان العرب الفصيح بعد كلام الله تعالى، فأبرز هذا الخطاب في كتابه ﴿العلل﴾ تطور الألفاظ وفقا لما أصابها من تغير أو حذف أو زيادة وفقا لقوانين التطور العربي؛ أذ وجدنا اتحاد لفظ مع آخر في الصورة واختلافهما في المدلول، ووجدنا أيضا احتفاظا بالأصوات مع تطور معاني ألفاظها في مرات أخرى .
- كشف السياق في نهج البلاغة احتواء اللفظة الواحدة على أكثر من معنى، كلفظة عدل التي توحى بالاعوجاج والميل والانتقال أو الحكم بالحق أو غير ذلك.

- كثرت مظاهر التقابل في نهج البلاغة متجسدة بالطباق والمقابلة والتضاد، أي بتعاكس الدلالة بين طرفي التقابل سواء أكان في الألفاظ المفردة أم في الجمل أم في الصور أم في الموقف العاكس مراعيًا ما يلائم طبقة الصراع الوجودي من جهة، والصراع بين الخير والشر من جهة أخرى.
- قامت مفردات نهج البلاغة ببناء نظام لغوي خاص له حقل تفاعلي كان مبدعًا في نقل الأحاسيس والأفكار والأحداث محققًا الإقناع والإمتاع معًا.
- شكلت المصاحبة اللغوية قيما سياقيا مهما ضمن مدونة نصية حددت الكلمات الأكثر ورودا مع كلمة ما ضمن صور المصاحبة اللغوية بين الموصوف وصفته وكان أكثرها أسماء الله الحسنى (الله ، الحق ، المبين)، وقد وجدناها أيضا بين المضاف والمضاف إليه مجسدة تحديد الدلالة الخاصة بالتراكيب والألفاظ وتوجيهها، وصيرورة كثير منها إلى مصطلحات إسلامية مثل (حب الله)، وكثرت أيضا المصاحبة بين المعطوف والمعطوف عليه للدلالة على الجزء المجاور ضمن مجموعة مرتبة من الأجزاء الوجودية مثل (السموات والأرض) .
- كون التضاد بين الألفاظ والتركيب ضمن آليتي الطباق والمقابلة وسيلة لتوضيح المعنى من خلال إعمال العقل في المتناقضات وإبراز التناقض الحاد بينها.
- و كان ختام الفصول حول (التأثير و التأثر في خطاب الحب) ضمن مباحث ثلاثة توصلت إلى النتائج الأتية :
- شكل التحفيز الانفعالي في نهج البلاغة وسيلة تحفيز عقلي، لأنه يستثير جوانب كثيرة منها العاطفية ومنها ما يكشف الفراسة ومنها ما يعمل العقل والقلب معًا.
- حفلت نصوص نهج البلاغة لسيد البلغاء علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالجانب التأثري والتأثيري لما فيها من قوة بلاغية ذات أبعاد جمالية ناتجة عن قلب صادق عشق الله تعالى فأحبه وحياه وجعل أفئدة من الناس تهوي إليه.
- للمؤثرات السمعية التي نجدها في نهج البلاغة انطباعية لها وقع تأثيري على الوجدان؛ إذ تدركها الروح، وينشد لها العقل، وترنو إليها النفوس لما فيها من رشاقة الأسلوب وارتياح النفس، ومن تلك المؤثرات التنغيم الذي أثرى النصوص بأنواعه المختلفة.

- تجلى التنعيم ملائمة سياق الحال فكانت النغمة المستوية في سياق النص والإرشاد والتقدير و الخبرة و النداء المحض وطلب الانتباه، وكانت النغمة الصاعدة لشحن الجو والسياق بأدلة تثبت صحة الفكرة المعروضة، وكانت النغمة الهابطة في مواقف التفعج والإنكار والتهكم والتمني والدعاء و التوبيخ .
- كشف المستوى التركيبي في نهج البلاغة جمالية الأسلوب ومؤثراته الإبداعية، ومدى التأثير الذي حققه في نفوس متلقيه من خلال براعة التنسيق في التشكيل والتركيب.
- لا يعزى الإبداع في نهج البلاغة إلى الألفاظ فحسب، بل إلى طريقة نظمها واستغلال خواصها الصرفية والصوتية والمعجمية، وتنسيقها في تراكيب متجانسة.
- كان للمؤثرات الإبداعية في خطاب الحب في نهج البلاغة قدرة على إضفاء الجمالية الأسلوبية والتأثير في المتلقي ضمن آليات متعددة منها: التوازي التركيبي ضمن مبدأي التشابه والتضاد في متواليات متعاقبتين أو أكثر للنظام الصرفي النحوي نفسه، مع احتفاظ كل طرف بما يميزه عن الآخر المرافق .
- إن هذه الدراسة حاولت إثارة قضية جمعت المستوى المعجمي مع الدرس الأسلوبي، مكونة منظومة أسلوبية لغوية معاً، أبرزنا من خلالها الجوانب اللغوية في خطاب الحب لسيد البلغاء علي عليه السلام، وبيننا أسلوبياً عمق المبنى والمعنى ضمن آلية التركيب و انزياحاته من جهة، والألفاظ وما تحمله من معانٍ من جهة أخرى، آمليْن أن نكون قد وفقنا، فإن أصبنا فهذا أسمى ما نرجو، و إن اعترى دراستنا قصور ، فحسبنا أننا لم ندخر جهداً في إنجازها، وأنها عتبة من العتبات القرائية التي نالت شرف تذوق نصوص سيد الأوصياء علي عليه السلام.



القرآن الكريم

١. الاتصال الاقناعي مذكرة تعليمية لطلبة مستوى ثالث ، كلية الاعلام ، جامعة الاقصى ، غزة ، ٢٠٠٥
٢. الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل و المضمون ، عباس علي حسين الفحام، مكتبة الروضة الحيدرية ، النجف الأشرف، د . ط، ٢٠١٢
٣. الإحكام في اصول الاحكام ، علي بن محمد الآمدي ت ٦٣١ هـ ، تعليق : الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ
٤. أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، تحقيق : محمد باسل السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٨
٥. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط ١ ، ٢٠٠٤
٦. اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ ، تحقيق : محمود محمد شاکر ، دار المدني ، جدة ، ط ١ ، ١٩٩١
٧. الاسلوبية الرؤية و التطبيق ، د يوسف ابو العدوس ، دار المسيرة ، عمان ، الاردن ، ط ٢ ، ٢٠١٠
٨. الاصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس ، مطبعة نهضة مصر ، مصر ، د . ط ، د . ت

٩. الاقتصاد اللغوي المعايير الاقتصادية في تفسير مبادئ العربية ، د . محمد كشاش
شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر ، صيدا ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠١١
١٠. الإيقاع في شعر نزار قباني من خلال ديوان قصائد ، د. سمير سميج ، عالم الكتب
الحديث ، أريد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٠
١١. بحار الانوار ، الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره) ت ١١١٠ هـ ، دار
إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣
١٢. البديع في ضوء أساليب القرآن ، د . عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ،
مصر، ١٩٩٩
١٣. بلاغة الخطاب و علم النص ، د . صلاح فضل ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب
شهرية يصدرها المركز الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٩٩٢
١٤. البلاغة العربية اسسها و علومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن الميداني ، دار القلم ،
دمشق ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ
١٥. البلاغة و الاسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، تقديم و
ترجمة و تعليق : محمد العمري ، افريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٩٩
١٦. بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، تحقيق : محمد اللولي ، و محمد العمري ، دار
توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٨٦
١٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي
١٢٠٥ هـ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، الكويت ، ٢٠٠٨
١٨. التحرير و التنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٤ هـ ، دار التونسية للنشر
، د . ط ، ١٩٨٤
١٩. تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط ٣ ،
١٩٩٧

٢٠. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة (دراسة في الدلالة الصوتية و الصرفية والنحوية و المعجمية) ، الدكتور محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ،
٢١. التصوير الفني في خطب الإمام علي (عليه السلام) ، د . عباس علي الفحام ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، ط١ ، ٢٠١٢ .
٢٢. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، عودة خليل ابو عودة ، مكتبة المنار ، ط١ ، ١٩٨٥ ،
٢٣. التعرف لمذهب أهل التصوف ، أبو بكر محمد بن اسحاق الكلاباذي ، تعليق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٣
٢٤. التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، تحقيق : د . ابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢
٢٥. التقابل الدلالي في نهج البلاغة ، د. تغريد عبد فلحي ، مكتبة الروضة الحيدرية ، ٢٠٠٨
٢٦. التنعيم اللغوي في القرآن الكريم ، د . سمير ابراهيم العزاوي ، د . ط ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٠
٢٧. توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك ، الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي ، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، مكتبة الكليات الازهرية ، ط ١ ، مصر ، ١٩٧٦
٢٨. التوقيف على مهمات التعريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : د . عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ .
٢٩. ثلاثة كتب في الاضداد - الاصمعي و السجستاني و ابن السكيت ، نشرها د . أوغست هفner ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٢
٣٠. جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٠

٣١. جدلية الأفراد و التركيب في النقد العربي القديم ، د . محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية للنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥
٣٢. جنان الجناس في علم البديع ، صلاح الدين الصفدي ، ط ١ ، قسطنطينة، ١٢٩٩ هـ
٣٣. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع ، أحمد الهاشمي ، ضبط د . يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩
٣٤. الحب في التراث العربي ، محمد حسن عبد الله ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٠
٣٥. الحب في القرآن الكريم ، غازي بن محمد بن طلال الهاشمي ، المكتبة الوطنية ، ط ١٠ ، ٢٠١٥
٣٦. الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري ، الحبيب أعراب ، مقال ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته
٣٧. الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، د . احسان النص ، دار المعارف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٨
٣٨. دراسات في اللسانيات التطبيقية ، احمد حساني ، الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ١٩٩٤
٣٩. دراسات في علم المعاني ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مكتبة الاشعاع الفنية ، الاسكندرية ، د . ط ، د . ت
٤٠. دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، د ط ، القاهرة ، ١٩٩٧
٤١. دراسة بلاغية في السجع و الفاصلة القرآنية ، د . عبد الجواد محمد طبق ، القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٣
٤٢. دروس في علم الاصول ، السيد محمد باقر الصدر ، دار الكتاب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦
٤٣. دلائل الاعجاز ، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، تصحيح محمد عبده و الشيخ محمد محمود التركي ، تعليق :محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨

٤٤. ديوان ابن الرومي ، علي بن العباس بن جريح الرومي ، شرح : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢
٤٥. ديوان ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز العباسي ، ت ٢٩٦ هـ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د . ط ، د . ت
٤٦. ديوان أبي العتاهية ، اسماعيل بن القاسم ، دار بيروت للطباعة و النشر ، د . ط ، بيروت ، ١٩٨٦
٤٧. ديوان أبي فراس الحمداني ، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، ت ٣٥٧ هـ ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، ١٩٩٤
٤٨. ديوان الجواهر، محمد مهدي الجواهري ، مطبعة بغداد ، ط ١ ، ١٩٥٣
٤٩. ديوان الشافعي الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن ادريس، أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ، ت ٢٠٤ هـ تعليق : محمد ابراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا ، د . ط ، د . ت
٥٠. ديوان الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى ، ت ٤٠٦ هـ ، تحقيق ، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ١ ، الناشر وزارة الاعلام العراقية ، د . ت
٥١. ديوان الشريف المرتضى ، علي بن الحسين بن موسى الملقب بالشريف المرتضى ، ت ٤٣٦ هـ ، شرح : د . محمد التونجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧
٥٢. ديوان الصاحب بن عباد ، تقديم : ابراهيم شمس الدين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١
٥٣. ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق : عاتكة الخرجي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤ ،

٥٤. ديوان الفرزدق ، شرح الاستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧
٥٥. ديوان حافظ ابراهيم ، شرح : أحمد أمين و آخرون ، الدار المصرية للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٧
٥٦. ديوان حسان بن ثابت ، شرح : عبدأ مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٤
٥٧. ديوان دعل الخزاعي ، شرح : حسن حمد ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٤
٥٨. ديوان قيس لبنى ، قيس بن ذريح الكناني ، شرح عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، ط ٣ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤
٥٩. رسالة في ماهية العشق ، ابن سينا ، مؤسسة هنداوي ، د ط ، ٢٠١٧
٦٠. رماد الشعر ، عبد الكريم راضي جعفر ، بغداد دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٨
٦١. روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت ١٢٧ هـ ، دار احياء التراث العربي ، د . ط ، بيروت ، لبنان ، د . ت
٦٢. الزمن واللغة ، مالك يوسف المطلبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦
٦٣. سر الفصاحة ، أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي ت ٤٦٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢
٦٤. شرح الكافية في النحو ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥
٦٥. شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي ابن يعيش النحوي ت ٦٤٣ هـ ، تصحيح و تعليق مجموعة من العلماء ، مصر ، ط ١ ، د . ت
٦٦. شرح شعر الكميت بن زياد الأسدي ، داود سلوم ، مكتبة الأندلس ، د . ط ، بغداد ، العراق ، ١٩٦٩

٦٧. شرح نهج البلاغة ، عباس علي الموسوي ، دار الرسول الاعظم ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨
٦٨. شرح نهج البلاغة ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله الشهير بابن ابي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦هـ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، د . ط ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩ ،
٦٩. شرح نهج البلاغة ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، دار الثقليين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩
٧٠. الشوقيات ، أحمد شوقي ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، د . ط ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٢
٧١. الصاحبى في فقه اللغة و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، ابن فارس ، تعليق : احمد حسن بسبح ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧
٧٢. الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية) ، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفار عطار ، دار العلم ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٧
٧٣. صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، ت ٢٥٦هـ ، د . ط ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ١٩٨١
٧٤. صورة النبي في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية ، د. ناجح جابر الميالي ، اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، العراق ، ط ١ ، ٢٠١٤
٧٥. طوق الحمامة في الألفة و الألف ، علي بن حزم الأندلسي ، مؤسسة هنداوي للتعليم و النشر ، القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ٢٠١٢
٧٦. علم الاسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٥
٧٧. علم الاصوات ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، د ط ، ٢٠٠٠

٧٨. علم الاصوات النطقي دراسات وصفية تطبيقية ، الاستاذ الدكتور هادي نهر ، عالم الكتب الحديث ، ط ١ ، اريد ، الاردن ، ٢٠١١
٧٩. علم البديع ، د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د . ط ، د . ت
٨٠. علم الدلالة اصوله و مباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل ، د ط ، دمشق ، ٢٠٠١ ،
٨١. الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٠
٨٢. فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٤
٨٣. فضاءات الشعرية دراسة في ديوان امل دنقل ، سامح الرواشدة ، المركز القومي للنشر ، اريد ، ط ١٩٩٩
٨٤. فن الجناس ، علي الجندي ، طبعة دار الفكر العربي ، مصر، د . ط ، د . ت
٨٥. في ظلال نهج البلاغة ، الشيخ محمد جواد مغنية ، تحقيق : سامي الغريزي ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، ط ١ ، ٢٠٠٥
٨٦. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي ت ٨١٧هـ ، المطبعة الأميرية ، مصر ، ١٩٧٨م ، ١٣٩٨هـ
٨٧. القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلار ، اندربول ، ترجمة : مجموعة من الباحثين ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، ٢٠١٠
٨٨. الكافي ، الشيخ الكليني ، ت ٣٢٩ هـ ، تحقيق ، علي أكبر الغفاري ، ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية ، طهرا ، إيران ، ١٣٦٣ ش
٨٩. كتاب الاضداد ، محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧
٩٠. كتاب البديع ، عبد الله بن المعتز ، تعليق : اغناطيوس كراتشوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢

٩١. كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٩٥٢
٩٢. كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩١٤
٩٣. كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، ١٤٢٤ هـ
٩٤. الكتاب، (الكتاب لسيبويه) ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ
٩٥. كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د. ط ، ١٩٨٩
٩٦. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠
٩٧. لسانيات التلفظ و تداوليات الخطاب ، ذهبية حمو الحاج ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، ط ٢ ، تيرزي وزر ، ٢٠١٢
٩٨. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الاثير ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة : مصطفى البابي ، مصر ، د . ط ، ١٩٣٩
٩٩. مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار العلوم للتحقيق و الطباعة و النشر ، ط ١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥
١٠٠. مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الحلي، تحقيق: مشتاق صالح المظفر ، مطبعة عمران ، ط ١ ، ١٣٨٨ هـ
١٠١. المدخل النفسي في قراءة الشعر الجاهلي (قراءة إسقاطيه في نقد النقد) ، د. لارا عدنان ستيتي ، دار أرواد ، ط ١ ، طرطوس ، سوريا ، ٢٠١٩
١٠٢. المدخل الى علم اصوات العربية ، د . غانم قدوري الحمد ، دار عمار للطباعة و النشر ، عمان ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٤
١٠٣. المدخل الى علم اللغة ، كارل - ديتر بونتج ، ترجمة : سعيد حسن البحيري ، مؤسسة المختار للتوزيع و النشر ، ط ١ ، ٢٠٠٣

١٠٤. المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر ، نوفل ابو رغيف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٨
١٠٥. المشترك اللغوي نظرية و تطبيقا ، د . توفيق محمد شاهين ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٠
١٠٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي الفيومي ت ٧٧٠هـ، مكتبة لبنان ، د ط ، د . ت
١٠٧. معجم النقد العربي القديم ، أحمد مطلوب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩
١٠٨. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط ٤ ، ٢٠٠٤
١٠٩. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٧٩
١١٠. المعنى في الدراسات البلاغية (الثراء - التمكن - التوجيه)، د . مزاحم مطر حسين ، ط ١ ، تموز للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١٣
١١١. مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ابن هشام الانصاري ، تحقيق : د عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط ١ ، الكويت ، ٢٠٠٠
١١٢. المفردات في غريب القرآن ، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت ٥٠٢هـ ، تحقيق : محمد سيد ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ، د ط ، د . ت
١١٣. المقتضب ، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ، تحقيق : عبد الخالق عضيمة ، وزارة الاوقاف المصرية ، مصر ، د . ط ، ١٩٩٤
١١٤. المنجد في اللغة : أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي المشهور بـ كراع ، تحقيق : أحمد مختار عمر و ضاحي عبد الباقي ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦
١١٥. منهاج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د . ط ، ص ١٢٥

١١٦. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي ت ٥٧٣هـ ، تحقيق : عبد اللطيف الكوهكمي ، مطبعة الخيام ، قم ، د . ط ، ١٤٠٦هـ
١١٧. موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، ١٩٧٢
١١٨. ميزان الحكمة ، محمد الرিশهري ، دار الحديث ، ط ١ ، قم المقدسة ، ١٤٢٢هـ
١١٩. الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط ١ ، ١٩٩٧
١٢٠. ناسخ التواريخ حياة الإمام سيد الشهداء الحسين ، ميرزا سيد محمد تقي سبهر ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف ، مطبعة مدين ، ط ١ ، قم المقدسة ، ٢٠٠٧
١٢١. نحو النص ، أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ، ط ١ ، ٢٠٠١
١٢٢. نحو نظرية أسلوبية لسانية ، فيلي ساندريس ، ترجمة : الدكتور خالد محمود جمعة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٣
١٢٣. نهج البلاغة ، للإمام علي بن ابي طالب جمع محمد عبدة ، منشورات ذوي القربى ، قم المقدسة ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ
١٢٤. نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق : د . صبحي الصالح ، أنوار الهدى ، قم ، ايران ، ط ٤ ، ١٤٣١ هـ

الرسائل و الأطاريح الجامعية

١٢٥. أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية ، ميثاق علي عبد الزهرة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢
١٢٦. الأثر الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة ، هادي شندوخ حميد ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٨
١٢٧. أثر السياق في توجيه المعنى لألفاظ الطبيعة في نهج البلاغة ، ندى عبد الأمير هادي رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ٢٠١٥ .

١٢٨. أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف الدلالية و الجمالية ، خالد كاظم حميدي ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب / جامعة الكوفة ، ٢٠١١
١٢٩. استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي ، دليلة قسمية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة لخضر - باتنة ، ٢٠١٢
١٣٠. اسلوبية الانزياح في النص القرآني ، احمد غالب النوري ، اطروحة دكتوراه ، جامعة مؤته ، ٢٠٠٨
١٣١. آليات الاقناع في الخطاب القرآني (سورة الشعراء انموذجا)، هشام بلخير ، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، كلية الآداب و اللغات ، ٢٠١٢ .
١٣٢. الاليات اللسانية في بنية الخطاب الحجاجي في كتاب أخبار الظرف و المتماجنين لابن الجوزي ، صليحة هروج ، نسيم هروج ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية ، ٢٠١٧
١٣٣. الاليات اللسانية في بنية الخطاب الحجاجي في كتاب أخبار الظرف و المتماجنين لابن الجوزي ، صليحة هروج ، نسيم هروج ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية ، ٢٠١٧
١٣٤. الانسجام الصوتي في خطب نهج البلاغة ، ظافر عبيس عناد الجياشي ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٤
١٣٥. بلاغة الاقناع في الخطبة البتراء لزياد بن ابيه ، سناء زايدي ، رسالة ماجستير جامعة العربي بن مهيدي (ام البواقي) ، كلية الآداب و اللغات ، ٢٠١٠
١٣٦. التقابل الدلالي في القرآن الكريم ، منال صلاح الدين عزيز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٤
١٣٧. جماليات الخطاب القرآني و إبداعه البياني (دراسة بلاغية لآيات الاسماء الحسنى ، محمد بوهند ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، ٢٠١٧

١٣٨. جمالية الانزياح في القرآن الكريم ، عبد القادر بن زيان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة ابي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر ، ٢٠١٢
١٣٩. الحب في التراث العربي في ضوء الفكر السيميائي المعاصر (طوق الحمامة أنموذجا) ، كهينة أيت ساحل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و العلوم الانسانية ، جامعة مولود معمري ، الجزائر ، ٢٠١١
١٤٠. الحجاج بين الاقناع و الامتاع في رسالة القضاء و القدر للحسن البصري ، ليلي أبركان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة ٨ ماي ، ٢٠١٥
١٤١. خطب نهج البلاغة بحث في الدلالة ، أحمد هادي زيدان ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٦
١٤٢. دعاء الامام علي عليه السلام دراسة نحوية اسلوبية ، محمد اسماعيل عبد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ٢٠٠٦
١٤٣. رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة لغوية ، رملة خضير مظلوم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٩
١٤٤. الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم لغة النص ، ورود سعدون عبد ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القادسية ، ٢٠١٦
١٤٥. شعر زهير بن أبي سلمى دراسة اسلوبية ، أحمد محمد علي محمد ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥
١٤٦. العدول في نهج البلاغة ، ضياء فاخر جبر ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ٢٠١٢
١٤٧. العلاقات الدلالية بين الفاظ الطبيعة ، آلان سمين مجيد زنكنه ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢
١٤٨. فن الالتفات في البلاغة العربية ، قاسم فتحي حسون ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨
١٤٩. المباحث اللغوية في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ، هادي عبد علي هويدي ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٢

١٥٠. مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة للشيخ كمال الدين ميثم البحراني ، وصال عبد الواحد خضير ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠١١
١٥١. المصاحبة اللغوية و أثرها في تحديد الدلالة ، حمادة محمد عبد الفتاح ، اطروحة دكتوراه ، كلية الدراسات الاسلامية ، جامعة الازهر ، ٢٠٠٧
١٥٢. مفهوم الترادف وقيمه الدلالية بين لغة القرآن الكريم ونهج البلاغة ، فراس تركي عبد العزيز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب للعلوم الانسانية ، الجامعة الاسلامية في لبنان ، ٢٠١٠

البحوث و المقالات الالكترونية

١٥٣. الاتساق الصوتي في عهد الامام علي (ع) لمالك الاشتر دراسة في ضوء لسانيات النص حوراء غازي عناد السلامي ، كلية الفقه ، جامعة الكوفة، بحث منشور في مجلة كلية الفقه
١٥٤. الاضداد في اللغة (بحث) : حسين محمد ، مجلة اللسان العربي ، الرباط ، المغرب الأقصى ، مج ٨ ، عدد ١ ، ١٩٧١
١٥٥. الاقناع و التأثير و اثرهما في انجاح الدعوة الاسلامية ، رعد حميد توفيق ، البحث نُشر في مجلة ديالى ، العدد ٤٧ ، ٢٠١٠
١٥٦. تحليل الخطاب الادبي في نهج البلاغة، أمير فرهنك نيا، بحث منشور .
١٥٧. التكرار في الحكم و المواعظ في نهج البلاغة دراسة دلالية ، د . تحسين فاضل عباس ، الباحث : ميثاق علي عبد الزهرة ، بحث مشترك ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة
١٥٨. التكرار في نهج البلاغة دراسة في وظائفه الدلالية الجمالية ، خالد كاظم حميدي ، بحث منشور
١٥٩. الدعاء في نهج البلاغة ، د . خليل خلف بشير ، بحث منشور ، كلية الآداب ، جامعة البصرة

١٦٠. ظاهرة التضاد في سورة الأعراف و أثرها في إيصال المعنى ، هادي حسن محمد ،
بحث منشور
١٦١. ظاهرة التوازي في شعر الخنساء ، موسى ربايعة ، بحث منشور ، مجلة دراسات
للعلوم الانسانية ، العدد : ٥ ، ١٩٩٥
١٦٢. ظاهرة الجناس في خطب الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) و رسائله ، د
حسن عبد العال ، (بحث منشور)
١٦٣. الظواهر الصوتية و دلالتها في خطب البشير الابراهيمي ، فاطمة بن عدة ،
جامعة أحمد بن بلة ، وهران ، الجزائر ، بحث منشور
١٦٤. المطر والغيث في القرآن والحديث دراسة بلاغية اسلوبية ، د . خليل محمد ايوب ،
بحث منشور
١٦٥. معهد بحوث الالكترونيات ، د . سلوى حمادة . بحث منشور على النت
١٦٦. من القيم الصوتية في نهج البلاغة ، تحسين فاضل عباس ، بحث منشور
١٦٧. نحو اجرومية للنص الشعري ، سعد مصلوح ، (بحث منشور)
١٦٨. الاسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، مديرية النشر ، مجلة جامعة باجي
مختار ، عنابة ، الجزائر ، د . ت
١٦٩. الالتفات في القرآن الكريم ، الشاذلي الهيشيري ، مجلة حوليات الجامعة التونسية
جامعة تونس ، العدد ٣٢ ، ١٩٩١
١٧٠. التنعيم صوت و دلالة ، سعاد بسناسي ، مجلة القلم ، عدد ٣ ، جامعة وهران ،
٢٠٠٦
١٧١. التوازي و لغة الشعر، محمد كنوني ، مجلة فكر و نقد ، السنة الثانية ، العدد ١٨ ،
١٩٩٩
١٧٢. مجلة أنساق ، مجلة علمية دولية تصدر عن قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ،
جامعة قطر ، المجلد الاول ، العدد الثاني ، ٢٠١٧
١٧٣. نظرية التشكيل الدلالي للكلمة في ضوء اوهاج السياق و الابلاغية و الاسلوبية
، عبد الله عنبر ، مجلة دراسات ، عدد ١ ، ٢٠٠٤

١٧٤- موقع: العتبة الحسينية المقدسة ،

<http://imamhussain.org/islamic/24040>

١٧٥ - موقع شبكة المعارف الإسلامية:

<https://www.almaaref.org>

١٧٦ - موقع طريق الإسلام:

<https://ar.islamway.net/article/45193>

١٧٧ - موقع صيد الفوائد:

<https://www.saaaid.net/Doat/slman/147.htm>

١٧٨ - موقع (موضوع):

<https://mawdoo3.com>

١٧٩ - موقع الدرر السنية:

<https://dorar.net/akhlaq/1036>

١٨٠ - موقع الولاية:

<https://alwelayh.com>

١٨١ - موقع لهاون لاين:

<https://www.lahaonline.com/articles/view>

١٨٢ - موقع آفاق الشريعة:

www.alukah.net/sharia/0/82281

١٨٣ - موقع منتدى الكفيل:

<https://forums.alkafeel.net>

١٨٤ - موقع مدونات الجزيرة:

<https://blogs.aljazeera.net>

١٨٥- العدالة الاجتماعية في نهج الإمام أمير المؤمنين (ع)
<https://hawzah.net/ar/Article/View/90927>

١٨٦- شبكة الفكر:
<https://research.rafed.net>

١٨٧- موقع لحظات :
<https://www.ml7zat.com/116622>

١٨٨- موقع معرفة الله :
<https://knowingallah.com/ar/articles>

١٨٩- شبكة الإمام الرضا :
<https://www.imamreza.net/old/arb/imamreza.php?id=1037>

١٩٠- موقع دار الفتوى:
<https://www.darulfatwa.org.au/ar>

١٩١- موقع مغرس:
<https://www.maghress.com/attajdid/104885>

١٩٢- موقع السيد كمال الحيدري:
alhaydari.com/ar/2011/09/3651

١٩٣- موقع موسوعة الإمام الحسين :
https://www.ansarh.com/maaref_details

Abstract

Nahj al-Balaghah is a book in which Al-Sharif al-Razi collected a selection of speeches, books and the proverbs of Imam Ali bin Abi Talib (Peace be upon him). It is considered as the finest and informed book that contains the basic texts of the Arabic language after the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet. This book, as it has been said, is under the words of the Creator and above the words of the humans. I have seen some studies that talk about the discourse of love, whether in the Koran or Arabic poetry. Therefore, I have the desire to study this subject in Nahj al-Balaghah for the great service of studying language through its high-end texts.

The research contains an introduction, a preface, three chapters and a conclusion, which includes the results of the research in the of love speech in Nahj al-Balaghah.

In the introduction, I discussed the reasons for choosing the topic , the method followed by the study and the most important sources that were relied upon, explaining the most important difficulties that I faced during the study.

In the preface, I provided a summary of the concept of communication in the West and the East and the concept of love in the Arab heritage. I also mentioned the most important resources in the love speech in the texts of Nahj al-Balaghah.

The first chapter, marked by "The Displacement in the Love speech" which contains three topics: the first was about the audio

A

displacement , the two topics of rhyme and repetition. The second one deals with the lexical change and the subject of synonymy in the words , the submission and delay, attention and deletion.

The third chapter, marked by "The effect and impression in the Love Speech", contains three meanings: the first is the influence and the vocal effect. I addressed the phenomenon of harmonizing , balancing and their effect on the receiver. The second topic is concerned with the impression and lexical effect through the topic. The third one was the title of the impact , structural effect , the issue of balancing , their aesthetic and affective effects on the receivers themselves.

The conclusion contains the result of the research in this study, which is added to the aspects of displacement , persuasion , the consensual and influential of the signs of aesthetic attracted to the minds and souls in the love speech to the texts of the silver tongue Imam Ali bin Abi Talib (Peace be upon him).



ana

**Ministry of Higher
Education
Scientific Research
University of Muthanna / College of Education
Department of Arabic language**

Speech of love in Nahj al-Balaghah

Stylistic study

A thesis from the student

Haider Waheed Majeed Wadi Al- Qur'awi

Submitted to the college of Education for Humanities at
University of Muthanna as a partial fulfillment of the
requirements for a master's degree in the Arabic
language and literature.

Supervised by

Dr. Najeh Jaber Al- Mayali

1440

2019



